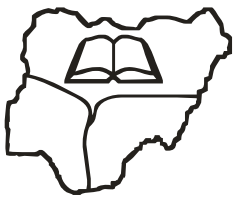

جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا

منظور الدراسات العربية والإسلامية في تصحيح وضع التعليم القرآني في نيجيريا

المؤتمر الوطني السابع والثلاثون

لجمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية في نيجيريا

المنعقد بجامعة أولابيسي أونابنجو، أغو إويي- ولاية أوغن نيجيريا

كتاب المؤتمر المقوَّم

٢٠١٩م/١٤٤٠هـ

الدكتور عبد الفتاح كولا ماكندي

رئيس اللجنة التحريرية

جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا

منظور الدراسات العربية والإسلامية في تصحيح وضع التعليم القرآني في نيجيريا

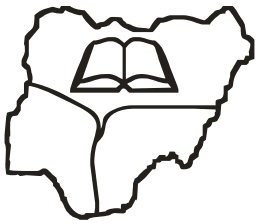

المؤتمر الوطني السابع والثلاثون

لجمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية في نيجيريا

المنعقد بجامعة أولابيس أونابنجو، أغو إويى- ولاية أوغن

كتاب المؤتمر المُقّوم

٢٠١٩م/١٤٤٠هـ

الدكتور عبد الفتاح كولا ماكندي

رئيس اللجنة التحريرية

لجنة التحرير

الدكتور عبدالفتاح كولا ماكندى	رئيس اللجنة
الأستاذ الدكتور عيسى محمد ميشانو	عضو
الأستاذ الدكتور مشهود محمد جمبا	عضو
الأستاذ الدكتور رفيع إبراهيم أديبايو	عضو
الأستاذ الدكتور ماهر هارون ماهر	عضو
السيد عمر رفاعي	عضو والسكرتير

اللجنة التنفيذية الوطنية

الأستاذ الدكتور ثاني عمر موسى	الرئيس
الأستاذ الدكتور حفيظ أيندى أولادوس	نائب الرئيس العربي
الأستاذ الدكتور بدماص أولانريواج يوسف	نائب الرئيس الإسلامي
الدكتور أبوبكر كاو حسن	السكرتير العام
السيد آدم لبُّو جيغا	نائب السكرتير العام للتقرير
الأستاذ الدكتور محمد يحيى	نائب السكرتير العام للإعلام
السيد إبراهيم عيسى ريمي	نائب السكرتير للتنفيذ
الدكتور عبدالفتاح كولا ماكندى	المحرر العام
الدكتور عبدالله آدم سليمان	أمين الصندوق
الأستاذ الدكتور موسى أديسنا عبدالرحيم	السكرتير المالي
السيد عمر رفاعي	المدير التجاري العام
الأستاذ الدكتور ماهر هارون ماهر	الفاحص المالي
الأستاذ الدكتور مرتضى أريمو محب الدين	عضو شرف ١
د .أمين الله آدمو الغمبري	عضو شرف ٢

كلمة التحرير

يرجع تاريخ التعليم القرآني في نيجيريا إلى أيام دخول الإسلام في المنطقة، أينما وصل الإسلام ينشأ التعليم القرآني تلقائيا. لك لأن القرآن الكريم يمثل مصدرا أساسيا للإسلام، وكل من اعتنقه يلزمه دراسة القرآن الكريم. ذلك مما جعل مدارس العلوم العربية تدعى "المدارس القرآنية" في نيجيريا؛ وتدرس مادتا اللغة العربية والدراسات الإسلامية مع بعض.

لقد لعبت هذه المدارس دورًا كبيرا في تطوير التعليم الإسلامي والتربية وتخريج علماء وأولياء وإيجاد مراكز تعليمية هامة في البلد.

إن وضع مدارس القرآن الأهلية (الملقّبة بمدارس المهاجرين) تحوَّل مؤخرًا وأصبح طلابها متسولين في الشوارع ومصدرا إزعاج في المجتمع، فجذبت انتباه الحكومات والمهتمين ونقاش في وسائل الإعلام والمُحللين السياسيين والأكاديميين والخطباء على المنابر وغيرها. أصبحت هذه المدارس والتسول موضوع نقاش الهيئات غير الحكومية المحلية منها والدولية.

ولما كان التعليم لاسيما القرآني من مجالات اهتمام جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية بصفتها جمعية متخصصة رأت الحاجة ماسة للإدلاء بدلولها في تطوير هذا التعليم في البلد؛ فقررت تخصيص مؤتمرها الوطني السابع والثلاثين لدراسة هذه القضية من منظور اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

أُقيم المؤتمر بين ١٧ و ٢١ نوفمبر، ٢٠١٩م لتحقيق الغرض المذكور أعلاه حيث التقى العلماء والمتخصصون في المادتين من مختلف المعاهد في البلد، التقَوا في جامعة أُولابِيسي أُونَابَنْجُو بمدينة أُوغُو إوى، بولاية أُوغُنْ النيجيرية لتقديم مقالات علمية حول المحور الرئيس للمؤتمر "منظور الدراسات العربية والإسلامية في تصحيح وضع التعليم القرآني في نيجيريا", درس عدد من المقالات المقدمة تحديات التعليم القرآني في البلد وحلول لتلك التحديات.

قسم الكتاب إلى قسمين، قسم يحتوى على مقالات باللغة العربية، وقسم آخر احتوى مقالات مكتوبة باللغة الإنجليزية، وذلك بعد تقويمها من قِبل مقومين. والمنشور دليل لطلاب العلم والباحثين والهيئات المحلية والدولية وكل من يرغب في معرفة وضع التعليم القرآني في نيجيريا وما يحتاج إليه من تطوير. لقد أبرزت الإسهامات امتيازات تخصصية في مادتي اللغة العربية والدراسات الإسلامية من حيث تشخيص مشكلاتها

واقتراح حلول ووسائل موصلة إلى تلك الحلول. لقد تناولت الإسهامات مظاهر التطوير المأمولة في المادتين. وسوف يجد خبراء سياسة التعليم في نيجيريا وخارجها هذا الكتاب مفيدًا إن شاء الله.

فهرس

لجنة التحرير أ

كلمة التحرير ب

فهرس المحتويات ث

المدارس القرآنية وظاهرة التسول في شمال نيجيريا ١
علي هارون محمد

الرسم والخط العربي كمصدر محاربة البطالة لطلبة القرآن الكريم ١١
جابر الحسن عبدالسلام

الغلام والولد في القرآن الكريم، دراسة لغوية دلالية ٢٥
محمد سراج محمد و عيسى عبد السلام

منهج تحفيظ القرآن الكريم للسيدات في مدينة كشنه بشمال نيجيريا مدرسة ترتيل القرآن نموذجًا ٣١
د. جابر موسى سليمان

المركز التدريبي للدراسات القرآنية بجامعة بَايَرُو كَنُو بين الآمال والانجازات من سنة ٢٠١٤م إلى سنة ٢٠١٨م ٤٢
أمين الله آدمو الغمبري و نور ثاني

تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية وآدابها ٥١
آدم محمد محمد

إعادة مجد مدينة إيبى صاحب القران (*Epe Alalukurani*) بتنظيم المدارس القرانية ٥٨
معروف الدين أديني شئث

دور المدارس القرآنية والعربية في نشر علوم القرآن ٦٩
محمد سراج آدم

التحديات التي تواجه نظام تعليم القرآن الكريم في مدينة غُومْبِي وحلولها ٧٨
محمد بشير محمد

دور البلاغة العربية في تفسير القرآن الكريم ٨٧
تُكُرْ أبوبكر و عمر موسى غُدُنْ

نظام المدارس القرآنية في نيجيريا: المدارس المدمجة النموذجية للمهاجرين في صكتو أنموذجا ٩٦
الدكتور محمد عمر موسى وسليمان محمد بلّو

الأعمال الأدبية لدى معلمي المدراس القرآنية والعربية في نيجيريا: الشيخ عبد القادر التالكي وديوانه "تهنئة الوُرَّاد في مدح خير العباد" أنموذجا ١٠٦
إبراهيم أبوبكر موسى

مساهمة المدارس القرآنية في دعم مسيرة اللغة العربية في نيجيريا ١١٧
إبراهيم محمد يعقوب

دور علم الدلالة ودوره في تفسير القرآن الكريم كلمات مختارة من القرآن الكريم نموذجا ١٢٧
محمود أبوبكر غربه

دور علم الدلالة في تفسير القرآن الكريم :سورة البقرة نموذجًا ١٤٠
علي أبوبكر
و بخاري علي

دور اللغة العربية في تطوير المدارس القرآنية في نيجيريا ١٤٩
محمد بشير

المدارس القرآنية وظاهرة التسول في شمال نيجيريا

د. علي هارون محمد
محاضر بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية، ونائب مدير مركز البحوث
والدراسة القرآنية، جامعة بايرو كانو نيجيريا،
ahmuhammad23@gmail.com
ahmuhammad.cqs@buk.edu.ng
+2348023732824/+2347060895150

مقدمة

الحمد لله الكريم المنان, الذي أكرمنا بالقرآن, وجعله لنا إماما ونورا وهدى ورحمة, والصلاة والسلام على من تلقى القرآن من لدن حكيم عليم, سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

مما لا شك فيه أن حفظ القرآن الكريم سوره وآياته من أجلّ الأمور وأرفع المهمات في حياة المسلمين, لأنه من أهم الوسائل المعينة على تدبر وتأمل مقاصد الآيات الكريمة وفرصة للتفكر فيها. ويحثّ النبي ﷺ أصحابه على تعلّم القراءة والكتابة، بل إنّه ﷺ جعل التعليم مساويًا للحريّة، حيث جعل فداءَ بعض أسرى بدر ممّن لا مال لهم أن يعلّم الواحد منهم عشرةً من الغلمان الكتابةَ فيُخلّى سبيلُهُ، فكان ممّن تعلّم منهم زيدُ بن ثابتٍ ﷺ، وكانت هذه الحادثةُ نقطةَ نشوءِ الكتاتيب في التاريخ الإسلاميّ.

والمطالع لسِيَر علماء الأمة والصالحين قديما وحديثا يجد أن حفظ القرآن الكريم يعدّ من أولى الأولويات في حياتهم العلمية, فقد دأب علماء الأمة المشهورة سيرهم بحفظ القرآن والتّمكن من آياته منذ صغرهم ثم تدرجوا بالإقبال على العلوم الشرعية الأخرى على اعتبار أن حمل القرآن الكريم أساس لكل العلوم الأخرى, والقرآن الكريم محفوظ في صدور الرجال ومحفوظ في المخطوطات (المصاحف)، وكل ذلك بفضل الخلاوي والمدارس القرآنية وطريقة تعليمها.

وعليه يحاول الباحث تسليط الأضواء على بعض القضايا المتصلة بهذه المدارس, واستكشاف أنواعها, ونظمها, ومنهجها, وعلاقتها بظاهرة التسول. ومن الله يستمد العون والتوفيق، فهو حسبنا ونعم الوكيل, ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مفهوم المدارس القرآنية (الخلاوي).

أطلق على المدارس القرآنية أسماء خاصة ذات دلالة مستمدة من البيئة البدوية والريفية التي تكثر فيها هذه المدارس مثل: مَكَرَنْتَرْ أَلُّو(Makarantar allo), أو ظَنْغَيَا (Tsangaya) أو مَكَرَنْتَرْ تُوكَا (Makarantar Toka) أو مَكَرَنْتَرْ محمدية (Makarantar Muhammadiyya) في

شمال جمهورية نيجيريا الاتحادية, ودُودَالْ (بلغة الصنغاي) ودُغْسِي في الصومال, كما يطلق عليها اسم "الدارا" في السنغال, و"غَرِيبُ" في مالي و"المسيد" في المغرب, كما يطلق عليها اسم الخلوة أو الخلاوي في السودان, والكتَّاب في جمهورية مصر العربية, والمحاظر في جمهورية موريتانيا الإسلامية, وتعرف في بلاد الشام بالكتاتيب, وكل هذه الأسماء لمسمى واحد يعنون بها: المدارس القرآنية القديمة أو التقليدية إن صح التعبير.

ويُعَدُّ هذه المدارس من أقدم المراكز التعليمية عند المسلمين، وقيل بأن العرب عَرَفُوها قبل الإسلام باسم "الكتّاب", ولكن على نطاق محدود، وكان العبرانيون يطلقونها على المدارس التي تُدرّس القراءة والكتابة ومبادئ المعرفة، تمييزًا لها عن المدارس التي تعلم الديانة والعبرانية والمعارف التي لها علاقة بالديانة.

فالمدارس القرآنية تعتبر مؤسسة تعليمية عالية يقودها عالم واحد لتحفيظ عددا من الصبيان والشباب القرآن الكريم، وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة، وتربيتهم على القيم والمبادئ الإسلامية الرفيعة لوجه الله تعالى.

ويعود تاريخ إنشاء هذه المدارس إلى عهد ظهور الإسلام في ربوع هذه المنطقة أو إلى ما بعده بقليل، إذ أن اهتمام الملوك والزعماء والشعوب بالتعليم يبدو من أولوياتهم بعد دخولهم في الإسلام, ولا تزال تنتشر هذه المدارس بأعداد كبيرة لا تكاد تخلو منها مدينة من مدن الولايات الشمالية. وكان الدعاة والتجار هم الذين بدءوا في تعليم القرآن وتحفيظه قبل أن يأخذه أهل البلد بعين الاعتبار.

والهدف الذي تسعى لأجله قديما وحديثا هو حفظ القرآن الكريم ومقاومة الأمية في المجتمع وإيصال المعلومات الحقيقية لدى أبناء المسلمين عامة, وإرساء الأسس التربوية والنفسية عند الأطفال.

أنواع المدارس القرآنية:

١- مدرسة اللوح (الخَلْوة):

هي: "مكان يسع عددا من الصبيان تحت إشراف معلم، أو معلمين وقد يكون غرفة في بيت المعلم، أو حانوت أو دهليز من دهاليز المنزل أو المسجد يذهب إليه الصبي غالبا إذا بلغ ست سنوات من العمر، ليتلقى التعليم نظير أجر، أو جُعل معين، في كل أسبوع، أو كل شهر، أو سنة".

وتقع هذه المدارس – قديما – خارج المدن، أو القرى حيث يبنون بيوتا يسكنونها بالقرب من فقيههم. وقد تكون ملحقة بالمسجد, أو بيت المعلم, أو تكون متجولة من قرية إلى أخرى, يعسكر فيها التلاميذ خارج القرية وينعزلون فيها عن المجتمع بقصد التركيز في تحصيل العلم.

وهي المدرسة التقليدية, يلتحق بها التلميذ من سن ثلاث سنوات إلى نحو الرابعة عشرة من عمره, وفيها يتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. وأهل شمال نيجيريا يهتمون بحفظ القرآن الكريم حتى أنهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر لهم التقصير في حفظه, فلا تفك عنهم حتى يحفظوه.

تستخدم هذه المدرسة الألواح المصنوعة من الخشب, وهو بمنزلة السبورة, والطلاب فيها يستعملون الطريقة الفردية، التي هي إفصاح المجال أمام الطلبة للتنافس والانطلاق في التلاوة والحفظ كل حسب الإمكانية التي وهبه الله تعالى إياها. وسيأتي الكلام عن منهجها ونظام التعليم فيها قريبا.

ومن أمثالها: خلوة محمد الأمين الكانمي (SHEHUN BARNO), وخلوة مالم سلي (MAI BAKIN KARFE) وخلوة مالم (BUZUN GWAMI) (PATASKUM), وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وجد عدد قليل من الحفاظ المتقنين كوّنوا حلقة قرآنية في "كنو" حيث يجتمعون ويتدارسونه فيما بينهم. وهم: غوني حمد، وغوني مالم منذو أرزي، وغوني إبراهيم طن ثرو منلادن (Gwani Dan charo manladan) وغوني ندود (Nadudu) وغوني رابع طن تنقى، ومالم طن كروفي مي ياشي (Dankarofimaiyashi) وهؤلاء الحفاظ هم الذين كوّنوا حلقة قرآنية في "كنو" حيث يجتمعون ويتدارسونه فيما بينهم, وهذه الحلقة هي أول حلقة قرآنية لتلاوة القرآن من الحفظ التي كُوِّنت في "كنو".

ومنها خلوة غوني طن زرغ قبل تحويلها إلى مدرسة نظامية, مدرسة غباري القرآنية (GABARI) وخلوة غوني زكريا يونس في حارة سرري قوق. وهذه الخلوات كثيرة جدا في المدن والقرى في شمال نيجيريا.

٢- المدارس القرآنية النظامية (للتحفيظ):

هي المعاهد أو المدارس العلمية التي أدخلت نظاما حديثا مستعارا من نظام الغرب الإنجليزي باتخاذ الفصول والسبورة والطباشير والألعاب والإجازات وغيرها. ولهذه المدارس تمويل حكومي أو أهلي منتظم ومناهج متطورة تضم بعض العلوم الحديثة كاللغة الإنجليزية والرياضيات والجغرافيا وغيرها.

ومنهج حفظ القرآن في النظام التعليم الحديث منهج متكامل، غير أنه – في بعض الأحيان - ينقصه عدم التطبيق الكامل، والسبب في ذلك هو أن الذين يخططون منهج المدارس القرآنية ليسوا متخصصين في هذا الفن وهذا يؤدي إلى عدم تطبيق المنهج.

ويمتد التعليم في هذه المدارس لمدة خمس أو ست سنوات. ومن أمثالها: في كنو كلية عبد الله بايرو لعلوم القرآن, ومدرسة غوني طن زرغ لتحفيظ القرآن الكريم, وفي زمفرا مدرسة الرابعة لتحفيظ القرآن, ومدرسة أبي هريرة لتحفيظ القرآن في سكوتو, ومدرسة نانا أسماء لتحفيظ القرآن في سكوتو أيضا.

٣- المدارس القرآنية الحديثة (الحلقات القرآنية):

هي عبارة عن جهة تعليمية تُعْنَى بتحفيظ القرآن الكريم للناشئة في أوقات محدودة, ولا تدخل هذه المدارس أي شيء من المواد الدراسية غير القرآن الكريم. وأوقات دوامها من يوم الجمعة مساء إلى يوم الأحد مساء, ويبيت الطلاب في المدرسة حيث تجهز المدرسة لهم احتياجاتهم خلال هذه الأيام.

ويقوم أولياء الأطفال في جميع المناطق التي فيها المسلمون في نيجيريا بإرسال أطفالهم إلى المدارس القرآنية بعد انتهاء الدوام في مدارسهم الغربية الإنجليزية أملا في أن تكون لهم ملكة في حفظ القرآن الكريم.

ومنها: مدرسة دار السلام هوساوى كنو, وحلقة عيسى وزيري كنو, ومدرسة أعماق العالمية كنو.

٤- المدارس الإسلامية القرآنية:

وهذه المدارس تكون في الأحياء والبيوت أو أماكن مخصصة, وأحيانا تتناوب مع المدارس الابتدائية في ذات الفصول, وتستخدم هذه المدارس الطريقة الجماعية يقوم المدرس بقراءة مقدار معين على الطلاب، ثم يختار الطلاب المتميزين ليعيد كل منهم على حدة قراءة ذلك القدر, ثم يقوم بقية الطلاب بقراءة ذلك القدر.

والطلاب يذهبون إلى المدارس الغربية الحديثة في الفترات الصباحية, وفي الفترات المسائية يحضرون إلى المدارس الإسلامية القرآنية, وهذه المدارس بعضها لم تدخل العلوم الحديثة الأخرى ضمن مناهجها, وهمها تعليم القرآن الكريم وتجويده, وبعضها أضافت مواد الدراسات الإسلامية في مناهجها.

وقد تختلف هذه المدارس من بلد لآخر في الشكل لا في المضمون والهدف, فجميعها تتولى مهمة تحفيظ كتاب الله لأبناء المسلمين, وهذا هو الهدف والغاية عند الجميع.

وبعض المدارس تقيم دورات رمضانية أو في مواسم العطلة تحفظ الطلبة المقدار الذي يحددونه في بدايات الدورة. ومن المدارس التي تقوم بتنظيم مثل هذه الدورات معهد السلام لتحفيظ القرآن، ريجير زاكي، ومدرسة غوني طن زرغ لتحفيظ القرآن الكريم, وغيرهما.

منهج المدارس القرآنية (الخلاوي) وثقافتها التربوية

وجود الكتاتيب في عهد نبينا ﷺ يوضح وجودَ منهجٍ تعليمي وطريقة تسير عليه هذه المدارس، ولم تكن مجرد التخبط العشوائي, فإن التلاميذ يتعلمون فيها القرآنَ الكريم بالدرجة الأولى وبعض العلوم الأساسية كالكتابة والحساب، ولها معلمون محددون، ومكان يجتمع فيه التلاميذ، ومن غير اللائق أن نعتقد أن هذه المدارس تسير بعشوائية.

ونجد في المدارس القرآنية المعلم يأمر التلاميذ بقراءة آية الكرسي و"لقد جاءكم" ثم من سورة الفيل إلى سورة الناس, راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يحمي التلاميذ من شياطين الإنس والجن. والتربية الإسلامية في المدارس القرآنية عمومًا لها غاية كبرى، وهي تخريج جيلٍ يحمل القرآن في قلبه ويتمثل أحكامه ويتخلق بأخلاقه.

فكل عمل تربوي تعليمي يُحْدِث تغيّرًا في الطالب يعتبر من الأهداف التربوية, وتجعل هذا التغيّر مقصودًا بذاته، يتطلّع المربي إليه ويسعى نحوه، فهو يبدأ عمله التربوي ويرسم النتيجة في ذهنه. مثال ذلك: أن يلتزم الطالب أذكار الصباح والمساء كل يوم. هذا هدف تربوي، يرسمه المعلم قبل البدء بالعمل، ويوجّه أنشطته التربوية لغرس هذا الهدف في نفس الطالب. وبعد جهود حقيقية على هذا النحو، ولمدة معينة محددة، نجد أن الطالب يلتزم أذكار الصباح والمساء كل يوم فعلًا.

نظام التعليم في المدارس القرآنية (الخلاوي).

تعتمد المدارس القرآنية (الخلاوي) على معلم واحد يشرف على عدد من الطلاب قد يصلون إلى المائة بمعاونة المتقدمين من الطلبة في التدريس، حيث يتم توزيع الطلبة الجدد على الطلبة المتقدمين في الدّراسة ليقوموا بتدريس إخوانهم، كما يشرف الشيخ على هؤلاء المتقدمين في الدراسة مع مراقبة قراءة إخوانهم. كما أن شيخ الخلوة يحدّد لكل طالب المقدار الذي يناسبه من الآيات القرآنية ليحفظها حسب ذكائه، وهذه الطريقة قد أثبتت نجاحها وأعطت ثماراً طيبة في إتقان أبناء المسلمين لحفظ القرآن الكريم طوال القرون السابقة.

وتسير المدارس القرآنية الشمالية في نيجيريا وفق نظام دقيق متوارث من مئات السنين, فهي تنقسم إلى مراحل:

المرحلة الأولى: يتعلم الصبيان قراءة القرآن من غير حفظ, حيث يلتحق التلميذ والتلميذة بهذه المدارس عندما يبلغ أو تبلغ من العمر خمس سنين أو أقل أو أكثر, ويبدأ التلميذ تعلمه

بحفظ سورة الفاتحة والسور المكونة للجزء الأخير من القرآن, من سورة الناس إلى سورة الفيل شفاها بتلقين من المعلم.

المرحلة الثانية: إذا ظهرت أمارات نضوج ذاكرة التلميذ ومقدرته الحفظية في المرحلة السابقة، يلتحق التلميذ بهذه المرحلة, ويطلق عليها في العرف المحلي "مدرسة اللوح" لأن الصبيان يتعلمون قراءة القرآن فيها وهو مكتوب على هذه الألواح. فهذا النوع من المدارس لا حصر له لأنه قلما تجد المرء يترك ولده أو بنته لم يلتحق أو تلتحق بها, إذ إن ضمير الأب المسلم لا يرتاح إلا بعد أن يدخل ولده أو بنته فيها.

أما طريقة التعليم فهي أن يكتب المعلم للولد الحروف الهجائية (أعوذ بالله) أولا غير مشكولة على اللوح ليتعلمها, ثم يكتب له سورة الفاتحة غير مشكولة أيضا ليتعلم النطق بحروفها متصلة, ثم المعوذتين, ثم سورة الإخلاص, فسورة اللهب, فسورة النصر, وهكذا حتى يصل إلى سورة الهمزة, وهي التي تسمى (BABBAKU) ثم يعود إلى الأول ليتعلم نفس هذه السور وهي مشكولة, وهي التي تسمى ب (FARFARU) ثم يطالب بحفظها وهذه الطريقة تسمى أيضا (TATTASHIYA) وهذه المرحلة تستغرق الولد عدة شهور, ثم يواصل قراءة السور مع الحفظ حتى يصل إلى سورة الأعلى. وهنا تنتهى مطالبته بالحفظ غالبا, فيواصل قراءة السور وهي مكتوبة على ذلك اللوح إلى سورة النبإ وهو الحزب الثاني, وهكذا حتى يختم القرآن كله قراءة, وفي أثناء ذلك يتعلم الكتابة بنفسه فيريح معلمه من عبء الكتابة على اللوح.

فهذه الطريقة تأخذ الولد أربع سنوات أو أكثر قبل أن يختم القرآن كله, وهنالك سور معينة وأحزاب يطالب المعلم أبا الطالب بالتصدق له بطعام أو شاة أو خروف إذا وصل إليها. وهذه الصدقة طبعا تذهب إلى المعلم نفسه ويبدو أن السبب في ذلك هو أن معظم الآباء أو أولياء الأولاد لا يعطون هذا المعلم شيئا في مقابلة تعليمه لأولادهم, لذلك اخترع المعلمون هذه الطريقة وأوهموا الآباء أن عدم القيام بهذه الصدقة يجعل الولد غبيا وثقيل الفهم. لذلك فإن الأولاد أنفسهم يُلِحُّون على آبائهم في إعطاء هذه الصدقة ليفتح الله عليهم ويزيدهم حدة الذكاء. أما إذا ختم الولد القرآن فلا بد أن يقيم والده احتفالا رائعا يحضره الأقارب والأصدقاء ليباركوا في الولد أو البنت, وليملئوا جيب المعلم أيضا على حد تعبير النيجيريين.

المرحلة الثالثة: يتعلم فيها التلميذ حفظ القرآن, ولا يلتحق بها الولد في الغالب إلا إذا أتم المرحلتين السابقتين.

وطريقة الحفظ هي أن يكتب التلميذ الثُمُن من القرآن على لوحة, ثم يأتي به إلى المقرئ الذي يُقرِؤه إياه بدقة ثم ينصرف التلميذ لحفظ هذا الثمن حتى إذا أتقن حفظه عاد إلى المقرئ وأسمعه إياه, فإذا اقتنع أمَرَه بالمضي إلى الثمن الذي يليه, وهكذا حتى يحفظ القرآن كله,

وتختلف مدة الحفظ حسب اختلاف قوة ذاكرة التلميذ, ولكنها في الغالب تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس وربما زادت على ذلك.

وبعد المرور بكل هذه المراحل، والاقتناع من قبل معلميه من جودة حفظه لكتاب الله، يلقّب التلميذ في حفلة خاص تعقد لتكريمه بألقاب تدل على مهارته في التعليم القرآني، فيلقب بألقاب نحو غوني Goni أو ماهر أو حافظ، وما إلى ذلك من الألقاب.

مميزات منهج المدارس القرآنية (الخلاوي)

يتميز منهج المدارس القرآنية عن بقية مؤسسات التعليم الأخرى, ويعتبر منهجها هو الأقدم, وقد تأثرت به جميع المؤسسات القرآنية التي جاءت بعدها, ومنها ما يلي:

١- أن المدارس القرآنية (الخلاوي) تقبل الصغير والكبير.
٢- لا تحدد عددا للملتحقين بها.
٣- القبول بها مفتوح, وليس له وقت معين بل تستقبل القادمين إليها في كل الأوقات.
٤- جميع طلابها يدرسون في مكان واحد.
٥- الاعتماد على الكتابة, وتكرار المحفوظ مما يجعل الحفظ قويا وراسخا.
٦- يقوم منهجها على تعليم مادة واحدة في الوقت الواحد.
٧- تكسب الطالب ملكة الخط وجودته.
٨- مجّانية التعليم, بل تقدّم لطلابها الخدمات الضرورية من إعاشة وسكن وغيرها.
٩- مراعات الفروق الفردية بين الطلاب وإفساح المجال أمام الطلاب ذوي القدرات الجيدة للتقدم في الحفظ.

بهذا أدت المدارس القرآنية (الخلاوي) دورها الفاعل في تخريج العديد من الحفظة, وتوحيد الأمة الشمالية النيجيرية, وتمتين الأخوة الإسلامية بين أبنائها وذلك من خلال اجتماعهم على تلاوة القرآن وحفظه ومدارسته فيها.

العلاقة بين المدارس القرآنية (الخلاوي) وظاهرة التسول.

تعد ظاهرة التسول ظاهرة إجتماعية سلبية وغير حضارية وهي ظاهرة تنتشر في العديد من الدول وتعاني منها المجتمعات. فهي ظاهرة خطيرة حيث أن المتسولين والذين هم عاطلون عن العمل يلجأون للتسول كأسهل وسيلة لجلب المال.

معظم طلاب هذه المدارس من الفقراء والمحتاجين يأتي بهم أهلُهم من أماكن شتى ويسلمونهم إلى الشيخ ومن هنا يخرج الطالب من ذمة أهله إلى ذمة شيخ الخلوة, ولم يقدر شيخ الخلوة أن ينفق على كل طلاب الخلوة, وهذا مما يجعل الطلاب يذهبون إلى البيوت المجاورة ويستغل

أصحاب هذه البيوت حاجتهم للخدمة والمراسيل بين الأحياء من أجل وجبة يتناولونها أو مبلغ بسيط من المال, وقد يتسولون من أجل تحصيلهم قوة اليوم وتوفير متطلبات تدريسهم ومعاشهم وأن الغالبية من ذي هؤلاء الأطفال لا يمانعون في ذلك بحكم أنها عادة توارثتها الأجيال. وكانوا في بداية الأمر يرسلون أطفالهم إلى المُدرسين للقرآن يثقون في علمهم وورعهم يعلمونهم القرآن وعلومه ثم يدربونهم على التواضع والاختلاط مع الناس عبر هذا النوع من الأساليب.

لكن الظاهرة اليوم أخذت منعطفا آخر مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية حيث صار التسول وسيلة للتكسب في أوساط تلاميذ المدارس القرآنية وغيرهم من الأطفال لأسباب عدة منها: تراجع الدور الاجتماعي بين الناس في المجتمع, وغياب الشعور بالعدالة الاجتماعية. والفقر المنتشر في المجتمع النيجيري, وهذا مما أدى إلى ترك بعض الآباء مهمة تربية أولادهم دون عناية جيدة.

وهناك بعض المدارس القرآنية تكلف على الآباء النفقة على أبنائهم ولا يسمح لهم بالخروج إلى البيوت المجاورة أو إلى الشارع للتسول, وفي بادئ الأمر يملأ الآباء استمارة فيها بياناتهم للاتصال بهم على الفور إن حدث لطالب مرض أو شيء من قبيل ذلك, يتكفل الآباء ذلك, ونوع هذه المدارس كثيرة وخاصة في الآونة الأخيرة بعد قيام بعض علماء الخلوات والآباء لإصلاح هذه المدارس على أحسن وجه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات, فهذا ختام ما كتبه الباحث, وسيكتمل بملاحظات المطلعين والمناقشين إن شاء الله. وقد توصل الباحث إلى أهم النتائج وخرّج بجملة من التوصيات.

النتائج:

- إن هدف الذي تسعى إليه المدارس القرآنية هو تعليم الناس القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم.
- وقد اشتهر عدد من المعلمين في المدارس القرآنية قديما وحديثا, ومن أشهرهم في نيجيريا: محمد الأمين الكانمي, وغوني ندود, وغوني طن زرغ, ومالم رابع طن تنقي, وغيرهم.
- احترام جماعة شمال نيجيريا للقرآن الكريم بحيث يقيمون الحفلات المتنوعة الرائعة عند حفظهم للقرآن الكريم.
- ارتبط تاريخ ظهور هذه المدارس القرآنية بدخول الإسلام في المنطقة الشمالية.

- لعبت دورا بارزا في نشر القرآن الكريم وتمسك الشعب به.
- تتنوع المدارس القرآنية في شمال نيجيريا كلها تقوم بتعليم أبناء الأمة الإسلامية القرآن الكريم.
- مرونة القبول في المدارس القرآنية يتيح الفرصة للكثيرين من حفظ القرآن الكريم.
- عدم العناية بالإجازة القرآنية ذات السند المصل برسول الله ﷺ.
- منهج المدارس القرآنية يقوم على تعليم مادة واحدة في الوقت الواحد، وهذا ما ييسّر حفظ القرآن الكريم دون معرفة معانيه وأحكامه.
- عناية الأمة الشمالية النيجيرية بالقرآن الكريم من جهة حفظه كبيرة، لكن هنا قصور كبير من ناهية الاهتمام بالمدارس القرآنية التي لا تزال تحفظ أبناءهم القرآن الكريم.
- عدم وجود مواد أخرى التي تساعد الطلاب في فهم القرآن الكريم وتدبرها وتطبيقه.
- عدم قيام بعض الآباء بواجبهم تجاه أبنائهم أدى إلى تجول أبنائهم في البيوت المجاورة والشوارع بحثا عن الطعام.

التوصيات:

- أن يكون قبول الطلاب في المدارس القرآنية بحسب القدرات والإمكانيات المتاحة للشيخ، وذلك حتى لا تؤدي الحاجة بالطلاب إلى سلوك طرق قد تسيئ إليهم، وتؤثر في تربيتهم وتنشئتهم.
- أما بالنسبة لتصحيح الأخطاء والنواقض المنهجية، لا بد من المساعدات الجبارة من قبل الحكومة والأفراد بالنفقات على المدارس القرآنية والوسائل التعليمية التي تكون متواصلة للخواص والعوام.
- على الحكومة تنظيم وزارة مستقلة التي تقوم بتنظيم المدارس القرآنية على نمط واحد وأن يكون للقائمين بالتدريس فيها راتب شهري من قبل الحكومة، وإعطاء، طلابهم المنحة الدراسية.
- وعلى الآباء أن يعتنوا بأبنائهم عناية تامة ويربونهم تربية إسلامية محضة من حيث ترغيبهم وترهيبهم وتأديبهم على حب كتاب الله تعالى، وأن يدفعوا لعلماء المدارس القرآنية نفقات أولادهم، لأن هذا سيساعد على تصحيح النواقص لها خاصة جانب التسول.

هذا وصلى الله على نيبنا محمد وآله وصحبه وسلم, وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

قائمة المصادروالمراجع:

١- ابن كثير, إسماعيل بن عمر, *البداية والنهاية*, مكتبة المعارف بيروت ١٩٩١م.

٢- الزاكي, مأمون عبد الرحمن, *الخلوة بين التقليد والتجديد*, مجلة مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – العدد الثاني ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٣- سالو الحسن وأيوب لولي, *المدارس القرآنية في النيجر وظاهرة التسول*, المجلة الثقافة الجزائرية ٢٠١٣م.

٤- جواد علي, *المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام*, دار الساقي, الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥- شيخ أحمد غلادثي, *حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦ م*, الطبعة الثالثة شركة دار الأمة.

٦- سكيرج سليمان أرزي, *الكتاتيب في كنو بين الماضي والحاضر*, بحث تكميلي لنيل الشهادة الجامعية العالية "الليسانس" مقدم إلى الجامعة الإسلامية بالنيجر كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية, قسم اللغة العربية, عام ١٩٩٧م, تحت إشراف الدكتور إبراهيم أمين.

٧- آدم عبد الله الورى, *نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي*, دار العربية بيروت, الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٨- علي أبوبكر, *الثقافة العربية في نيجيريا*، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

٩- الطاهر محمد داود, *المدارس القرآنية في نيجيريا نشأتها ونظامها وآفاق المستقبل*, من ضمن أوراق المؤتمر العالمي للقرآن الكريم الخرطوم – السودان, ٢٠ – ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ الموافق ١٥ – ١٧ ديسمبر ٢٠١١م.

١٠- حبيب مختار, *طرق تحفيظ القرآن ووسائله وسبل تطويرها في مدينة كنو*, بحث مقدم إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية لنيل درجة الماجستير, جامعة الحاج محمود كعت العالمية جمهورية النيجر عام ٢٠١٨م.

١١- محمد جلال عباب, *اللغة العربية في إفريقيا*, الدار ١٤٠٣هـ.

١٢- مجلة البيان, *منهج التربية والتعليم في الحلقات القرآنية*, ٢٢\٣\٢٠١٥م.

١٣- جون فول, الأستاذ، *الحياة الدينية والثقافة في كنو* ط١, بالولاية المتحدة ١٩٧٣

الرسم والخط العربي كمصدر محاربة البطالة لطلبة القرآن الكريم

جابر الحسن عبدالسلام
قسم اللغة العربية، Centre for Continuing Education, (IJMB)
، جامعة جوس، ولاية بلاتو النيجيرية،
jabiragkan@yahoo.com،08103760940

المقدمة

يعد الخط العربي من أقدم الخطوط التي عرفته البشرية منذ العهود الغابرة، فقد غدا ابتكار الخط العربي – بلا ريب – نقطة تحوّل هامة في المسار التاريخي للحضارة الإنسانية عموما، والعربية الإسلامية خصوصاً، حيث يعتبر من أجلّ المبتكرات الحضارية التي اكتشفها العقل البشري، فهو الوسيلة الهامة التي استطاع الإنسان من خلالها أن يحوّل لغته المسموعة إلى لغة مرئية مكتوبة مقروءة، وقد تطوّر الخطّ العربي وكثرت أنواعه وتعدّدت، وهذا ما عكس فنية الخطّاط العربي وعبّر عن ذوقه الحضاري الراقي. فقد ساهم في حفظ التراث العربي والإسلامي منذ العهود الغابرة، متمثلا بذلك حفظ الوحي الإلهي، والسنة النبوية المطهّرة، والآثار الأدبية الخالدة.

وتأتي هذه المقالة محاولة للوقوف على جمالية الخط العربي، وتبيّن كيف تمكّنت العقلية العربية الإسلامية من الإرتقاء بفنية الخط العربي حتى أصبح مكسبا للخطّاط المسلم في العهود الراهنة، لتطلع البشرية على جانب مهمّ من الجوانب الجمالية في الحضارة العربية الإسلامية. ولتكشف أدوار الخط العربي في الحضارة العربية الإسلامية، وأهمية إدراك المسلمين له، ومدى إسهامه في بناء الحضارة العربية الإسلامية من حفظ الكتاب العزيز، وتوثيق التراث العربي والإسلامي الأصيل، ثم توضيح الجهود الجبارة التي بذلها الخطاطين المسلمين في الارتقاء بالخط العربي، حيث جمعوا فيه بين الزخرفة الجمالية والرمزية اللغوية، محاولين بذلك إبراز مكامن الجمال والإعجاز الإلهي المبثوث فيه مما أضفى عليه هيبة وقداسة جعلت منه خطاً جماليا متفرّدا عن خطوط لغات العالم يستحقّ مَن أتقنه أن يتّخذه حرفة يتكسّب بها.

وتناولت المقالة الحديث حول المحاور الآتية:

- ماهية الخط العربي
- دور الخطّ العربي وأهميّته في الحضارة العربية الإسلامية
- أثر القرآن الكريم في الارتقاء بالخط العربي
- الخط العربي كمصدر مكافحة البطالة لطلبة القرآن العظيم
- الخاتمة

- التوصيات

وعلى الله قصد السبيل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

ماهية الخط العربي

أ- المفهوم اللغوي:

الخط في اللغة من خطط، وهو الطريقة المستطيلة في الشيء، والجمع خطوط وأخطاط، وخطّ بالقلم أي كتب، وخطّ الْخُطوط أي رسمها وأبدع فيها، والتّخطيط: التسطير.[١]

"والخط: السّطر والطريق المستطيل، والخط؛ ما يقبل الانقسام طولا، والخطّ نهاية النقطة".[٢]

وقد وردت كلمة "خط" في الذكر الحكيم في قوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ [٣]، وذلك في مخاطبة الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم محمد ﷺ بأنّه لم يسبق له أن أحسن الكتابة أو خطّ سطراً أو حرفاً بيده قبل نزول القرآن الكريم... وتلك معجزة الله إليه، وفضله الذي خصّه به تأييداً لدعوته التي بعثه بها.[٤]

ب- المفهوم الاصطلاحي:

"الخط: هو أسلوب من أساليب التعبير الكتابي له أنواع متعدّدة ومقاييس محدَّدَة.[٥] ولقد تنوّعت تعاريف الدارسين لمفهوم الخط، ومن ذلك تعريف العلامة ابن خلدون حيث يقول: " هو رسومٌ وأشكالٌ حرفية يدلّ على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، هو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميّز بها عن الحيوان.[٦] ويعرّفه كذالك بأنّه " هندسة روحانيّة وإن ظهر بآلة جسمانية، وهو أداة التعبير الكتابي للغة".[٧] وقيل بأن الخطّ هو " لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووحي الفكرة، وملح المعرفة، وناقل الخبر، وحافظ الأثر.[٨]

وإذا كان مفهوم (الخط) هو المفهوم المحدّد للكتابة الفنّيّة المعروفة لدى الأوربيين بـ"Calligraphy"[٩] فبالإضافة إلى ذلك يُعدّ " الخط وسيلة تخاطب الحاضر والغائب، ويترجم إلى كل اللغات، ويبقى على مدى الأزمان".[١٠]

فالخط العربي إذن: يمثل أشكالاً ورسوماتٍ ورموزاً شكلية عن اللغة المسموعة لأمة من الأمم، ويعكس الوجه الجمالي لحضارتها.[١١]

ج- الخط العربي كمركب إضافي:

يقصد بالخط العربي " كتابة العربية بقواعد مخصوصة"، [١٢] فالخط العربي هو خط الحرف المقدّس الذي نزل به القرآن العظيم، إذ من فضل الله على العرب أن جعل آخر كتبه بلغتهم، فالقرآن الكريم كتاب العربية الأول، ومعجزتها البيانية الخالدة[١٣] التي أدهشت الثقلين، حيث يقول الباري تبارك وتعالى: قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [١٤]

إذن: فبفضل القرآن الكريم اكتسب الخط العربي فضلاً وهيبة، شأنه في ذلك شأن فنون اللغة العربية قاطبة. [١٥]

ولقد رجّحت الدراسات العلمية الحديثة، القائمة على مقارنة الأبجديات السّامية على أن الخط العربي قد اشتقّ من الخط النبطي، بل هو آخر شكل من ذلك الخط، [١٦] وكان الأنباط في أرجح الأقوال من العربض [١٧]

د – أنواع الخط العربي:

تذكر مصادر تأريخ الخط العربي أنواعاً كثيرة من الخط، تارة تنسب إلى المُدُ والبلدن، ومرّة إلى نوع ما يكتب عليه، أو الغرض الذي يكتب من أجله، وكرّة تعزى إلى حجم الحرف من حيث دقّته أو ثخانته، وأكثر هذه الأنواع منقرض أو مجهول حيث لا يعرف عنه إلا التسمية فقط، ولقد أحصى باحث معاصر أسماء أنواع الخطوط العربية القديمة، فبلغ ما أحصاه اثنين وأربعين نوعاً، أما الخطوط المشهورة في الزمن الراهن فلا تتجاوز سبعة أنواع، وهي: الخط الكوفي، الخط النسخي، الخط الثّلثي، خط الإجازة، الخط الرقعي، الخط الديواني، الخط المغربي، الخط الحديث (الحرّ، الفارسي، التعليق). [١٨]

الخط العربي في الحضارة العربية الإسلامية

يمثل الخط لسان الأمة وهويّتها الحضارية، والأمّة العربية ليست بدعا من ذلك، فقد " عرف العرب الخطَّ منذ غابر العصور، وقبل الأبجدية التي عثر عليها في "أوغاريت رأس شمرا" بآلاف السنين، كما عثر في الجزيرة العربية وفي أماكن مختلفة على كتابات عربية مدوّنة بخط المسند، لذا اعتبره الباحثون والمؤرخون القلم العربي الأول والأصيل، وهو خطّ أهل اليمن، ويسمّونه خطّ (حمير). [١٩]

بناء على هذا؛ فالخط المسند هو الخط العربي الذي كان شائعا قبل الإسلام، بل واستمرّ حتى بعد مجيء الإسلام عند أهل اليمن. لكن كان لعرب مكة قلم خاص يكتبون به مُتباينٌ عن قلم المسند، وهو الموسوم عندهم بالقلم العربي، أو الخط العربي، وبه نزل الوحي وكُتب في المصاحف، ومنذ ذلك الحين أصبح خط مكة هو الخط العربي الرسمي للأمة الإسلامية. [٢٠]

وكان للخط العربي دورٌ هامٌ في الحضارة العربية الإسلامية، فهو حامل القرآن الكريم وإعجازه، وشاهد على الإبداع والأصالة العربية الإسلامية. ولا يمكن لأيّ أمّة أن تصون تراثها دون إتقان أبنائها للخط والكتابة، لذلك عندما أنزل الباري تبارك وتعالى كتابه؛ كان أول ما أنزله قوله تعالى: قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ [٢١]، فحث الله تبارك وتعالى على تعلّم الكتابة والقراءة، وكان ذلك إشارة إلهية إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خصوصا وإلى الأمة الإسلامية عموما إلى أن من شروط القائد الحضاري أن يكون على دراية بفنون القراءة والكتابة حتى يشيد الحضارة المنشودة التي جعلها الله سبحانه وتعالى قدراً مقسوما في الأمة العربية الإسلامية تكليفا. الخط العربي كان صنيع إبداع إنساني مسلم أدرك مهمّته في هذه الحياة في ظلّ عطاء حضارة إنسانية أضاءت المعمورة بنور الهداية، وأخرجت أُمماً من دياجير الجهل والظلام.

وتكمن أهمية الخط العربي في الحضارة العربية الإسلامية في النقاط الآتية:

- حفظ القرآن الكريم، وذه كانت الغاية الأولى التي دعت إلى تطوير الخط العربي وإتقانه، فقد كان ذلك الإبداع في صناعة الخط خلال قرون عديدة ناتجا عن حبّ الخطّاطين العرب لحرف الذكر الحكيم، وعلى ذلك فالقرآن كان – ولا يزال – يوقد الهمم الفاترة في العناية الخاصة بالخط العربي، والتفنّن فيه، لأنه حرف الوحي الإلهي، ودليل إعجازه على مرّ العصور.[٢٢]
- يُعدّ الخط العربي مُعجزة كتابة القرآن الكريم، فلم يشهد أيّ خط في العالم مثلما لخط المسلمين من قوّة وتأثير، وجمال، فالله تبارك وتعالى شاء لحرف القرآن أن يكون معجزة في كتابته مثلما شاء أن تكون لغته معجزة في بلاغتها، فعلى ذلك ؛ يكون الاهتمام بالخط العربي والعناية به اهتماما وعنايةً بالقرآن الكريم، وتقديس حرفه.
- الخط صورة الأمة، فهو يعبر عن أصالتها وانتمائها العرقي، فإن اندثر ومات ماتتْ معه هُويّة الأمة، وذا ما تعاني منه الأمة العربية الإسلامية، فلكي تعود إلى سابق عهدها؛ عليها أن تجدّد عنايتها بالخط، وتبدع في تشكيله، مثلما فعل الرعيل الأول من الخطّاطين والكُتّاب.

الدّعوة إلى التّأمّل في الجمال والزخرفة،[٢٣] ففي الخط العربي جمال لا يكاد يوجد في أي خطوط لغات العالم، فهو صورة عن الجمال الذي دعا إليه الباري جلّ وعلا في قوله: قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ[٢٤]

فالقرآن الكريم يدعو الإنسانية إلى التّحلّي بروح الجمال، فالتأثير الجمالي الذي يعكسه الخط العربي على النفوس والعقول مردّه إلى القرآن الكريم، فقيم الجمال هي سرّ نجاح

الخط العربي، وهذا الجمال دعا إلى تحسسه وإدراكه القرآن الكريم.[٢٥] يعبر الخط عن أغراض النفس، فيتفاعل جمال المعاني مع جمال الحسّ، فيؤثر في العقول والنّفوس، فيمتع النّظر، ويطيب النفس، وينمّي الذّوق.[٢٦]

- الخطّ أشرف العلوم منزلة وأعمقها نفعا، فبه تدوّن العلوم والْمعارف، وتحفظ الثقافات والعادات، يقول الخليفة العباسي المأمون واصفا الخط العربي: " لو فاخرتنا الملوك والأعاجم بأمثالها لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط يقرأ بكل مكان ويترجم بكل لسان، ويوجد في كل زمان.[٢٧]
- يعدّ الخطّ العربي وسيلة صامتة لإبلاغ الدّعوة الإسلامية إلى العالمين، وتوصيل رسالة الإسلام العالمية، وذلك من خلال ما رسم من كتابات على جدران المساجد والجامعات والمعاهد، فهو يحل أينما حلّ الإسلام، فهو خط عالمي عالمية الرسالة المحمّديّة.[٢٨]
- يكسب الخط العربي صاحبه روحاً توازنيّة تجمع بين الجمال والالتزام والتّعبير.
- نظراً لأهميّة الخطّ وقيمته في الحضارة العربية الإسلامية برع فيه الخطّاطون العرب الأوائل وتفنّنوا في صناعته وإجادته حتى يتحقّق الغرض، والمقصد الذي جعل القرآن ينزل ويكتب به عن سواه من لغات الأمم الأخرى.[٢٩] فالخط العربي هو خطّ الحضارة العربية الإسلامية بلا منازع، وإتقانه وإجادته فريضة إسلامية وواجب ديني على المسلمين[٣٠]

أثر القرآن الكريم في الارتقاء بالخط العربي

بزغ الإسلام بشريعته العالمية الخاتمة بلسان عربي مبين، يقول الباري تبارك وتعالى: وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢)نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣)عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤)بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)[٣١]، ليخرج الناس من دياجير الوثنية والجهل إلى نور الهداية والحق المبين، وقد اختار الله سبحانه وتعالى اللسان العربي لسانا لكتابه الكريم، وحقق بذلك قفزة نوعية في الحياة العربية، حيث نقل العرب من أمّة أُمّيَّة منغمسة في جاهليّتها إلى أمّة حضارية نعتها الله تبارك وتعالى بقوله: كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ[٣٢]، فكان القرآن الكريم " نقطة البدء، وعودة الوعي إلى الأمة التي امتلكت زمام الحضارة منذ آلاف السنين الخالية، فأصبحت تتنفس الصعداء بعد هذا الرّكام الطويل الذي غيّر كثيرا من معالمها، وطمس صفحات من تاريخها، أصبحت مجهولة لدى أبنائها، وأتعبت الباحثين في التنقيب عن أصالة الجذور ورحلة الأصالة والتطوّر لهذا الحرف الذي كان نسيا منسياً فكانت الآية الكريمة (اقرأ) صلصلة

الجرس الذي نبّه النائمين أو حرّك مشاعر وأحاسيس الغافلين عن تراث هذه الأمة الذي عفا عليه الزّمن.[٣٣]

إن لكلمة "اقرأ" دوراً فعالاً في تأسيس معالم ومقوّمات الحضارة العربية الإسلامية، هذه الحضارة التي كان أساسها الأول العلم والكتابة، يقول الله تعالى: قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ [٣٤]، ففي هذه الآية ترغيب وتحريض للأمة المسلمة على تعاطي القراءة والكتابة، وتلك نعمة فضّل الله بها بني آدم عن سواهم من مخلوقاته، وهيَّأ لهم مستلزمات ذلك الأمر، وسخّر لهم وسائله وأدواته، فخلق القلم، وجعله الأداة التي يؤخذ بها العلم ويقيّد.

وورد في الأثر: "قيدُوا العلم بالكتابة" [٣٥]، فإن القلم أخو اللسان، ونعمة من الرحمن على عباده... وفي القسم بالقلم... إشادة إلى فضل الكتابة والقراءة، فالإنسان من بين سائر المخلوقات خصّه الله تعالى بمعرفة الكتابة ليفصح عمّا في ضميره.[٣٦]

ومما يدلّ " على شرف القلم؛ أنّ الله أقسم به في هذه السورة تمجيدا لشأن الكاتبين، ورفعا من قدر أهل العلم، ففي القلم البيان كما في اللسان، وبه قوام العلوم والمعارف"[٣٧] وبنزول كلمة "اقرأ" هذه بدأت تتشكل قداسة الحرف العربي، مع أن الخط العربي قبل الإسلام كان متمثلاً في الصور والتماثيل، ثم تمثل بعد الإسلام خطاً عربياً.

ومما سبق يمكن القول؛ بأن بداية إبداع الخط العربي كانت في عصر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم،[٣٨] ومنذ ذلك الوقت أصبح الخط العربي فناً عربياً إسلامياً تربطه صلة وثيقة بالقرآن الكريم، حيث إنه لم يسبق للكلمة أن كانت فناً مرئياً، وزخرفة جمالية في أمة من الأمم إلا في الأمة العربية الإسلامية التي شرفها الله تعالى بالقرآن الكريم الذي نزّل بلغتها العربية، وخُطّ بخطّها العربي الأصيل، مما أضفى على هذا الأخير قداسة وهيبة وجلالاً.[٣٩]

ولقد شاءت قدرة الباري تبارك تعالى أن يكون القلم العربي هو القلم الذي يُدوّن به الوحي الذي نزل بلسان عربي مبين، فتبوّأت الكلمة العربية "بهذا الوحي مكانتها، قمة مرتبطة بالسّماء، تعلو ولا يعلى عليها، وأضفت عليها هوية المصدر سربال القداسة، فشرفت بنسبتها إلى الذات الإلهية... وخفضت لها الكلمة البشرية جناح الذلّ معلنة عبوديتها وعجزها في صمت خاشع، وخضوع متبتّل".[٤٠]

ومن المعلوم؛ أن العرب قومٌ كانوا يعتمدون في تدوين علومهم وآدابهم على الرّواية والحفظ لا على الكتابة، وتجمع المصادر على أن القرآن الكريم أول كتاب عربيّ يدون ويحفظ كتابه، فبعد حفظه في الصدور والنفوس أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بكتابته، حيث اتّخذ عليه الصلاة والسلام كُتَّاباً يكتبون له الوحي المنزّل عليه من السماء في العسب والرقاع واللخاف وغيرها من أدوات الكتابة التي كانت متوفرة آنذاك.[٤١] وبعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وتولي صاحبه أبوبكر الصديق ﷺ خلافة المسلمين جمع القرآن الكريم باقْتراح من عمر بن

الخطاب ﷺ خوفاً من ضياعه، في كتاب واحد وسمّاه المصحف[٤٢]، وكان أبوبكر الصديق أول من أطلق على القرآن الكريم اسم المصحف[٤٣]، ثم نسخ في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وبعث إلى كل مصر من الأمصار بنسخة منه[٤٤]، ومن ذلك الحين إلى وقتنا الراهن لا يزال مصحف الخط العربي العثماني هو خط القرآن الكريم المتّفق عليه بين المسلمين. هذا الخط الذي جال الأقطار والأمصار على اختلاف الأزمنة والعصور، ونقل للعالم صورة عن الجمال والإعجاز الرباني المقدس، وعبّر عن روعة القرآن الكريم الذي جمع بين الجمال الحضاري والهداية النورانية. فالخط العربي رسالة حضارية، وإن كانت اللغة العربية للقرآن الكريم لغة بلاغية إعجازية، فإن الكتابة العربية أيضا كتابة جمالية إعجازية، أعجزت الثّقلين إنسَهُم وجنّهم.

وإنّ ما خطّته أيادي الفنّان العربي المسلم وزخْرَفتْه ريشتُه من خطوط وكتابات رُسِمت على جدران المساجد والمعاهد الدينية والمكتبات، ودور العلم؛ لدليل على الرّوح الإسلامية التي أدركت الإعجاز الإلهي، وتذوّقت الجمال الربّاني، فأبدعت في توصيل رسالة القرآن الحضارية التي جمعت بين الهداية والبلاغة والجمال، ومثلما أبدعت مزامير طيبة في ترتيل القرآن الكريم بين إمتاع العين والأذن، وتعددت زخرفتهم للآيات القرآنية مثلما تعددت تلاواتهم الخاشعة بل وتنافسوا في ذلك فتعددت أنواع الخطوط وكثرت.[٤٥]

وبهذا فإن الخط العربي " لم ينل عند أمة من الأمم ذوات الحضارة، ما ناله عند المسلمين من العناية به والتفنن فيه، فاتّخذوه بادئ الأمر وسيلة للمعرفة، ثم ألبس لباساً قدسياً من الدين.[٤٦]

ويعدّ الخط العربي أبرز ما أبدعته العقلية العربية المسلمة في ظل عطاء الحضارة العربية الإسلامية، حيث كتب به القرآن الكريم، ودوّنت الأشعار، وسجّلت الحكم والمواعظ مما حفظ للمسلمين تراثا عربياً إسلامياً تستفيد به الناشئة العربية المسلمة على اختلاف عصورها وأمصارها. وإن كانت اللغة المنطوقة تعبر عما في خلجات النفس وتبدي ما يدور في خاطرها، فإن اللغة المكتوبة تعبّر أيضا عن ذلك لكن بإبداع جمالي يبرهن عن صدق إحساسي مؤمن بالجمال والروعة.

وأساسا على هذا تحوّلت اللغة العربية من لغة مسموعة إلى لغة كتابية مزخرفة ذات دلالات رمزية، إذ لم يقف الفنَّان المسلم في فنّ الخط عند حدود الحرف وتحسينه وتجميله وإبداعه، بل قطع شوطا آخر إذ جعل الحرف نفسه مادة زخرفية، فتحوّلت لوحات الخط إلى لوحات جمالية زخرفية، فإذا أُمعن النظر فيها؛ يستطاع أن يُلمح الأحرف وهي تطلّ على ناظرها من وراء حجاب، وقد زادها ذلك البرقع بهاءً وحسناً، فإن التعبير الجميل يقدم لفكر المفكر المتعة، من خلف المشهد الفتان الذي متعت ناظريه به. وإنك لتعجب من قدرة الفنان

على التحكّم في اللوحة، إذ استطاع أن يُحمل اللوحة مهمّتين في آنٍ واحدٍ، المهمة التعبيرية والمهمة الزخرفية، ثم جعل من المهمة الثانية جلباباً للمهمة الأولى، الأمر الذي يغريك بالتأمل والنظر، وهكذا يأخذ بيدك إلى مواطن الجمال برفق وأناة.[٤٧]

فقد كان للزخرفة دورٌ كبيرٌ في إبراز جمالية الخط العربي حيث أضفت عليه نوعا من الفخامة والأبهة مما أعطى للكتابة العربية تفردا جماليا بين الكتابات العالمية، ولا توجد أمة من الأمم دونت كتاباتها على الجدران بزخرفة جمالية وهندسة توازنية مثل الأمة العربية الإسلامية، وذلك دليل على فخرها بقرآنها الكريم ولغتها العربية الأصيلة.

ولعل جمع الفنّان المسلم بين الخط العربي والزخرفة كان عن مقصد وغرض تمثل في محاولة إبراز جمال الوجود الإلهي، فتعدى بذلك رسمه من مخاطبة لغة البصر إلى لغة البصيرة، إذ نجده يجعل من البسملة أو آيات قرآنية، أو نصوص عربية أخرى شكلاً من أشكال النباتات، أو الحيوانات أو المخلوقات المتعددة، بنمط هندسي متوازن يثبت توازن النفس الإنسانية المسلمة المؤمنة بالوجود الإلهي وجماله المتجلي في الكون، فكانت هذه الخطوط ذات دلالات رمزية تعبّر عن محبة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وما يمت إليهما بصلة، ورموزاً دالة على توحيده وعبوديّته والدّعوة إلى التقرب إليه.[٤٨]

وبهذا يمكن القول بأنّ الخط العربي مثّل قمّة الجمال وأبهة الإبداع الذي توصّلت إليه الحضارة العربية الإسلامية في أيّام عزّها وازدهارها، حيث كان لسان لغتها الأصم وسفيرها الذي مثّلها أحسن تمثيلٍ أينما حلّ وارتحل.

الخط العربي كمصدر مكافحة البطالة لطلبة القرآن العظيم

تدور مادة (ب، ط، ل) حول التوقف عن العمل، أو عدم توافر العمل لشخص قادر عليه، وراغب فيه ومستعد للقيام به على نشاط وحيوية[٤٩]،

وإذا استمرت البطالة لفترة طويلة، فإن تأثيراتها الضارة تتضاعف، وخاصة في أوقات الكساد الاقتصادي، خصوصا إن كان الفرد عائلا أو ربا لأسرة، حيث تؤدي إلى تصدع الكيان الأسري، وتفكّك العلاقات الأسرية، وإلى إشاعة مشاعر البلادة والاكتئاب. ولا سبيل إلى مكافحة البطالة والقضاء عليها إلا بإتاحة فرص العمل التي تصونها الضوابط العادلة من شرع الله تبارك وتعالى، والتي تهتم بالحاجات العامة للإنسان، فالدين والعمل هما إذن أنجح الطرق للنجاة والإفلات من شرك البطالة والأزمات الاقتصادية، وفي النصوص الإسلامية آثار واضحة، ومنها قول الباري تبارك وتعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ(١٠) [٥٠] وقوله: وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ

فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ [٥١]، وقال عزّ وجل: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا [٥٢]

ولقد كان طلبة القرآن الكريم من أحسن الطلاب المسلمين إجادة للخط العربي، وخصوصا أولئك الذين حفظوا القرآن عبر الدراسات التقليدية، فإنهم كانوا يتدرّبون على كتابة القرآن الكريم آية تلو أخرى قبل حفظها، الأمر الذي يمكنهم من إتقان الخط العربي المعروف بالخط المغربي [٥٣]، وكانوا يعانون من قلة الفرص المتاحة للاكتساب بما تدرّبوا عليه من إتقانهم للخط العربي، سوى أن ينخرطوا في سلك التدريس والتحفيظ، فما زالوا يعانون من مكيدة المستعمر الذي حاول كل بوسعه في إبعادهم عن الوظائف الحكومية، فأصبحت فرصهم في العمل الحكومي محدودة جداً، ولكنهم إذا طوّروا مهارتهم الخطّية، فإن الخط العربي يمكنه أن يتيح لهم فرصاً للتكسب والاحتراف، وتتمثل مكافحة الخط العربي لبطالة طلبة القرآن الكريم في النقاط الآتية:

١) **استعمال الخط العربي على المنتجات الفنية**: فقد تطوّرت الحياة، وتطوّرت المواد التي يُكتب ويُخَط عليها، فتطور الخط ودخل مرحلة الإبداع، فنجد الخطاطين يختارون الخامات التي تتفق ومهارة ما ينتجه الصنّاع من أعمال راقية من أنفس الأعمال، من التحف والهدايا والصناعات الفنية. [٥٤]

٢) **صناعة الخزف**: فقد حقق الخزف – منذ أقدم العصور – فكرة الحضارة الإسلامية في جوانب متعددة؛ ذلك، أن روح الإسلام السمحة لم تكن تتماشى والترف، واستعمال الخامات الغالية، كالذهب والفضة؛ ولذلك أقبل الفنانون المسلمون والعرب على فن الخزف إقبالاً عظيما، وأخرجوا منه تُحفاً غاليةً، تعويضاً عن النقدين، فقد أنتجوا خزَفاً مطلياً طلاءً ذهبياً، عُرف بالخزف ذي البريق المعدني، الذي يُعدّ صفة خاصة انفرد بها الفنّ الإسلامي.

٣) **تزيين الأبواب والجدران والأخشاب، واللافتات والأنسجة بالخطوط العربية المرصعة عليها**، ولقد برع كثير من البلدان في صناعة: الأبواب، والمنابر، والأضرحة، والشبابيك، وقطع الأثاث، واعتنوا بزخرفتها وإدخال الخط العربي في ثناياها من خلال الحفر أو التطعيم، أو التلبيس بالخشب أو المعدن. ومن النماذج الرائعة للخطوط العربية على الخشب ضريحٌ أمر بصُنعه الخليفة المستنصر بالله (ت ٦٢٤هـ)،حُفرت على وجوجه الأربعة كتابات كوفية زخرفية بديعة، بحروفها الناتئة العريضة، على أرضية نُقشت بزخارف دقيقة. وتوجد في مصر على الأبواب والأضرحة أجمل الخطوط على الخشب المطعم [٥٥]، كل ذلك لكراهية الإسلام للصور الآدمية، والحيوانية، خشية مضاهاة خلق الله، ورغبة في ملء أسطح المواد.

كما يُعدّ الخط العربي دخلاً لأكثر من مائة وستّين (١٦٠) خطّاطاً وفنّانا يحترفون به في صناعة كسوة الكعبة المشرفة طوال كل عام، حيث يعكفون على صناعة كسوة واحدة للكعبة، برسم خطوط مقدسة بماء الذهب طوال كل عام هجري، ليتمّ استبدال الكسوة القديمة بالجديدة في تاسع كل ذي الحجّة.[٥٦]

٤) **استخدام الخط العربي في صناعة القوالب والبواتق في أغراض متعددة**: كعناوين المؤلفات، وسكّ النقود، وقرض الخواتيم الإدارية التي تتخذ من الخطوط العربية رمزا لها، ويعد مَن رسم رمز جامعة بللو بزاريا بخطوطه العربية الرائعة من أكبر الأثرياء الذين استفادوا – وما زالوا - من إتقانهم ومهارتهم بالخط العربي بأنواعه المختلفة.

وقد صنعت العملات والدنانير الإسلامية في العصر العباسي من بواتق وقوالب عربية بحتة، ورسم فيها أول اسم للخليفة باسم (هارون) ويُقصد به هارون الرشيد، وكانت الخطوط في أكثرها كوفية بسيطة.[٥٧]

٥) **كتابة الشهادات والإجازات**: لقد كانت الخطوط اليدوية الرائعة التي تعبّأ بها الشهادات أكثر تأمينا للشهادة من التزوير، وكان المتقنون للخط العربي يتكسبون بكتابة الشهادات العربية من نواح مختلفة، بما في ذلك الشهادات العلمية، والأوسمة التقديرية وغيرها. حيث تكسبها ذِه الخطوط جمالاً ورونقاً.

الخاتمة

هكذا وصلت هذه الورقة إلى نهاية حديثها بتسليط بعض الأضواء عن الخط العربي منذ عهود نشأته وإسهاماته في الاحتفاظ بنص الوحي الإلهي، حيث لاحظت الورقة أن أغلب طلبة القرآن الكريم مستعدون لإتقان الخط العربي بأنواعه المتعددة، ورأت أن هناك حاجة إلى وجود طائفة من الفنيين الذين يدرسون الخط العربي على أساسي علمي حديث، بحيث يصبح ذلك لهم مكسباً يتكسبون به أقوات يومهم. وأخيراً، اختتمت القول بالإشارة إلى النواح المتباينة التي يمكن للخطاط المسلم أن يستفيد من مهارته الخطية، بحيث يغني نفسه عن البطالة والاتكال على الأعمال الحكومية الضيقة.

ولله درّ القائل:

تعلم قوام الخط يا ذا التّأدّب * فما الخطّ إلا زينة المتأدّب

فإن كنت ذا مال فخطّك زينة * وإن كنت مُحتاجا فأفضل مكسب

وقال آخر:

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه * وكاتب الخط تحت الأرض مدفُونُ[٥٨]

التوصيات

بعد دراسة متواضعة ووقفة متأنية عن الخط العربي ودوره في مكافحة البطالة لطلبة القرآن الكريم؛ تقترح هذه الورقة المتواضعة وتوصي بالنقاط التالية:

١- أن الخط العربي هو لسان الأمة الإسلامية الذي ينطق بتأريخها وأمجادها، ويشهد على منجزاتها في مختلف بقاعها على الجدران والمساجد والقباب، فعلى المسلمين عموما، وطلبة القرآن الكريم واللغة العربية خصوصا أن يزيدوا من العناية به في إتقانه وتعلّمه وتعليمه للناشئين، لكي يظلّ حافظا للنصوص الإسلامية المقدسة، منشراً للدعوة الإلهية الخالدة.

٢- يمكن لطلبة القرآن الكريم أن يتخذوا مهارتهم للخط العربي مكسبا لأقوات يومهم في نواح مختلفة؛ كالتكسب به في المنتجات الفنية، وصناعة الخزف، والقوالب، وعبء الشهادات العلمية والأوسمة التقديرية.

٣- على الحكومة أن تيسّر السبل لاستيراد الأدوات الخطية التي يستخدمها طلبة القرآن الكريم في الفنون الخطية المختلفة، كاللافتات، وغلافات المؤلفات العلمية، والأوسمة التقديرية عوضاً عن استيراد تلك الحاجات من الدول الخارجية.

٤- أن البطالة لا سبيل إلى مكافحتها والقضاء عليها إلا عن طريق الدين والعمل، فعلى المسلمين عموماً، وطلبة القرآن الكريم خصوصا أن يتّخذوا من الوحي الإلهي أساسا لمكافحة البطالة، بأن يجمعوا بين طاعة الله تعالى والعمل بمقتضى النصوص الشرعية المقدسّة.

٥- مما انتشر في الألسنة "مَن جدّ وَجَدَ"، و" يغوص البحر من طلب اللآلئ"؛ فعلى طلبة القرآن الكريم الجدّ والمثابرة في إتقان الخط العربي، لأنه مهارة تُكتسب بالتدرّب والمران.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمراجع

١- ابن منظور، محمد بن المكرم الأفريقي: "**لسان العرب**"، لبنان، بيروت، دار صادر، ط١٩٩٧م، ج٢، ص ٢٧٧ مادة (خطط).

٢- عبدالحق مغرور: "**الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين**"، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د. ط، ٢٠٠٢م، ص ٤

٣- سورة العنكبوت، الآية ٤٨
٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: "**تفسير القرآن العظيم**"، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ج٦، ص ٢٨٦
٥- حنان قرقوتي: "**اللغة العربية والخط وأماكن العلم**"، مجد، المؤسسة ا لجامعية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص ٩
٦- ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون: "**المقدمة**"، الجزائر، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٩م، ص ٥٠٢
٧- المصدر نفسه، ص ٥١٢
٨- حنان قرقوتي: "المرجع السابق"، ص ٣٧
٩- إدهام محمد حنش: "**الخط العربي في الوثائق العثمانية**"، عمان، أردن، دار المنهاج، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٨
١٠- الجميلي، كمال عبد جاسم الصالحي: " **أثر القرآن الكريم في الخط العربي**"، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد ٩، ص ٥٠٤
١١- عبدالله يونس حسين: " **الخط العربي رمزية لغوية وقيمة حضارية** "، النظارة: مجلة عربية جامعة، جامعة جوس، نيجيريا، العدد الثاني، الجزء الرابع، ص ٥١
١٢- الجميلي: "المرجع السابق" ص ٣٠٥
١٣- بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن: "**التفسير البياني للقرآن الكريم**"، مصر، دار المعارف، ط٥، د. ت، ج١، ص١٣
١٤- سورة الإسراء، الآية ٨٨
١٥- عبدالله يونس حسين: "المرجع السابق"، ص ٥٢
١٦- صلاح الدين المنجد: " **دراسات في تاريخ الخط العربي، منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي**"، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد، ط ٢، ١٩٧٩م، ١٣
١٧- R. Dassaud, La Penetration des Arabes en Syrie, p 16
١٨- غانم قدوري الحمد: " **الخط العربي: تطوّره وأنواعه**"، مجلة الحكمة – صفر ١٤١٨هـ - العدد ١٢، ص ٤٣١- ٤٤٣
١٩- أحمد شوحان: "**رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث**"، دمشق، منشورات إتحاد كُتّاب العرب، د. ط، ٢٠٠١م، ص ١٩
٢٠- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
٢١- سورة العلق، الآية ١
٢٢- الجميلي: "المرجع السابق"، ص ٣١٩

٢٣- عبدالله يونس حسين: "المرجع السابق"، ص ٥٦
٢٤- سورة الأعراف، الآية: ٣٢
٢٥- عماد الدين خليل: "**حديث عن الجمال في الإسلام**"، مطبعة الموصل، ١٩٨٤م، ص ٢٠ – ٢٩
٢٦- الجميلي: "المرجع السابق"، ص ٣٠٤
٢٧- سهيلة ياسين الجبوري: " **الخط العربي وتطوّره في العصور العباسية في العراق**"، بغداد، مطبعة الزهراء، د.ط، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م، ص ٤
٢٨- صلاح أحمد الشامي: "**الفن الإسلامي التزام وإبداع**"، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١٩٦
٢٩- سهيلة الجبوري: "المرجع السابق"، ص ٣
٣٠- عبدالله يونس حسين: "المرجع السابق"، ص ٥٦
٣١- سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ – ١٩٥
٣٢- سورة آل عمران، الآيات: ١١٠
٣٣- أحمد شوحان: "المرجع السابق" ص ٢٥
٣٤- سورة العلق، الآية ١
٣٥- ابن كثير: "المرجع السابق"، ج٨، ص ٤٣٧
٣٦- الصابوني، أحمد علي: " **صفوة التفاسير**"، بيروت، دار القرآن الكريم، ط٤، ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م، ج٣، ص٤٢٤
٣٧- نفس المرجع السابق، والصفحة نفسها.
٣٨- أحمد شوحان: "المرجع السابق"، ص ٢٦
٣٩- صالح أحمد الشامي:"المرجع السابق"، ص ١٩٦
٤٠- المرجع نفسه، ص ١٩٥
٤١- القلقشندي: "**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**"، القاهرة، ١٩١٤م، ج٢، ص ٤٧٥ بتصرف
٤٢- الزرقاني، حمد عبد العظيم: "**مناهل العرفان**"، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ج١، ص ٢٠٦
٤٣- السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر: " **الإتقان في علوم القرآن**"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٧٤م، ج١، ص ١٧٥
٤٤- الزرقاني: "المرجع السابق"، ص ٢١٠ – ٢١١
٤٥- صالح أحمد الشامي:"المرجع السابق"، ص ١٩٨
٤٦- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
٤٧- صالح أحمد الشامي:"المرجع السابق"، ص ٢٠٠

٤٨- عبدالله يونس حسين: "المرجع السابق"، ص ٥٥
٤٩- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: "**المعجم الوسيط**"، القاهرة، ١٩٨٥م، د.ط، ج١، ص ٦٣ مادة (ب، ط، ل) بتصرف
٥٠- سورة الجمعة، الآية ٩ – ١٠
٥١- سورة الأعراف، الآية ٩٦
٥٢- سورة الطلاق، الآية ٢ – ٣
٥٣- عمر أفا وآخرون: " **الخط المغربي: تاريخ وواقع وآفاق**"، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١٤
٥٤- الألوسي، عادل : " **الخط العربي نشأته وتطوّره**"، القاهرة، مصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ٢٠١٨م، ص ٧٢
٥٥- الألوسي: "المرجع السابق" ص ٧٤
٥٦- /www.aa.com.tr: موقع الحجّ والعمرة بتاريخ ٢٠١٩/٨/٩م، وأيضا: www.albayan.ae
٥٧- الألوسي: "المرجع السابق" ص ٧٥
٥٨- دهام محمد حنش: "المرجع السابق" ص ٦١

الغلام والولد في القرآن الكريم: دراسة لغوية دلالية

الدكتور محمد سراج محمد

الدكتور محمد سراج محمد، sirajosharhi2015@gmail.com، ٠٧٠٣٩٣٥٤٩١١

و

عيسى عبد السلام

محاضران بقسم اللغة العربية، كلية شيخ شاغاري للتربية صكتو نيجيريا

isahabdussalam5@gmail.com ، 08066845400

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهذه مقالة بعنوان: " **الغلام والولد في القرآن الكريم، دراسة لغوية دلالية**"

وتتضمن النقاط التالية:

_ الملخص.

_ المقدمة.

_ الغلام والولد.

_ الغلام في اللغة.

_ الولد في اللغة.

_ الغلام في القرآن الكريم.

_ الولد في القرآن الكريم.

_ الخاتمة.

_ الهوامش والمصادر والمراجع.

الغلام والولد

كثيرا ما يطلق على الطفل الصغير لفظ **الغلام والولد** وهذان اللفظان واردان في اللغة وفي القرآن الكريم، والسؤال الذي يطرح نفسه هل يدل اللفظان على معنى واحد، أم لكل منهما دلالة خاصة لايغنى عنها غيره؟

الغلام في اللغة: "الغُلامُ الابن الصغير و جمع القلة (غِلْمَةٌ) بالكسر و جمع الكثرة (غِلْمَانٌ) و يطلق (الغُلامُ) على الرجل مجازا، باسم ما كان عليه. كما يقال للصغير: شيخ مجازا باسم ما يئول إليه. وجاء في الشعر غلامة بالهاء للجارية. قال

(يُهَانُ لَهَا الغُلامَةُ و الغُلامُ ...)

قال الأزهري و سمعت العرب تقول للمولود حين يولد ذكرا: (غُلامٌ) وسمعتهم يقولون للكهل (غُلامٌ). و هو فاشٍ في كلامهم. و (الغُلْمَةُ) وزان غرفة، شدة الشهوة. و (غَلِمَ) (غَلَمًا) فهو (غَلِمٌ) من باب تعب إذا اشتد شبقه.[1]

وقال القالي في المقصور والممدود : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : ذكر أبو عبيدة وأحسب الأصمعي قد ذكره أيضاً قال : لَقيَت السّعلاة حسانَ بن ثابت في بعضُ طُرُقَات المدينة وهو غلام قبل أن يقول الشعر فبركت على صدره وقالت : أنت الذي يرجو قومك أن تكون شاعرهم قال : نعم قالت : فأنشدني ثلاثة أبيات على رويّ واحد وإلاّ قتلتك فقال:

(إذا ما تَرَعْرَعَ فينا الغُلاَمُ ... فما إنْ يُقالُ له مَنْ هُوَهْ) - المتقارب - (فقالت : ثَنّه فقال) :

(إذا لم يَسُدْ قبل شَدّ الإزار ... فذلكَ فينا الذي لا هُوَهْ) – المتقارب[2]

الولد في اللغة

(الوَلَدُ) بفتحتين، كل ما ولده شيء. و يطلق على الذكر، والأنثى، والمثنى، والمجموع. فَعَل بمعنى مفعول. وهو مذكر. وجمعه (أَوْلاَدٌ) و (الوُلْدُ) وزان قُفْل لغة فيه. وقيس تجعل المضموم جمع المفتوح. مثل: أُسُد جمع أَسَد. و قد (وَلَدَ) (يَلِدُ) من باب وعد. وكل ماله أذن من الحيوان فهو الذي يلد.[3]

الغلام في القرآن الكريم

لاحظ الباحث ورود لفظ (الغلام) في القرآن الكريم مفردا، ومثنى، ومجموعا ومن وروده مفردا وهو الكثير كما قوله تعالى:

هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ {[آل عمران: ٤٠]

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ [يوسف: ١٩]

قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ [الحجر: ٥٣]

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا [مريم: ٧]

وجاء مثنى في موضع واحد في القرآن في قوله تعالى:

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا [الكهف: ٨٢]

وأتى بصيغة الجمع في قوله:

وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ [الطور: ٢٤]

والغلام في القرآن إمّا أن يدل على ولد يافع مراهق ، كما في سورة يوسف؛ إذ ورد في كتب التفسير، أنّ يوسف عليه السلام كان عمره اثنتي عشر سنة، لمّا قصّ رؤياه لأبيه. وذلك قبل القائه في غيابات الجبّ. وعلى هذا، يمكن أن يقال: إنّ وارد السيارة قال: يا بشرى هذا غلام. عندما رأى يوسف ولدا يافعا في هذه المرحلة. وكما جاء في سورة الكهف؛ إذ روى القرطبي في تفسير قوله تعالى في قصة موسى وخضر [حتى إذا لقيا غلاما فقتله] " في البخاري قال يعلى قال سعيد " وجد غلمانا يلعبون، فأخذ غلاما كافرا فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين".[٤]

وهذا دليل على أنّ الغلام ولد يافع وليس طفلا صبيا. حتى اختلف العلماء هل الغلام الذي قتله الخضر بالغ أم لا؟

أو تكون دلالته بشرى بأن المولود سيبلغ أشده، ويكون نبيا. كما في بشارة إبراهيم، وزكريا، ومريم صلوات الله وسلامه عليهم. وجاء الغلام موصوفا بالعليم وبالحليم. ولا يخفى أن الصفتين تنسب إلى العاقل الرشيد غالبا.

الولد في القرآن الكريم

تكرر لفظ (ولد) في القرآن الكريم بصيغ متنوعة. ورد مفردا في آيات متعددة في سور كثيرة ومن ظهوره مفردا، قوله تعالى:

وقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ [البقرة: ١١٦]

وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ [النساء:١٢]

وورد جمعا بصيغة فِعْلَان (وِلْدَان)، وبصيغة أَفْعَال(أَوْلَاد) في آيات كثيرة. ومن وروده جمعا على (وِلْدَان) قوله تعالى:

قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ [آل عمران : ٩٨]

ومثال مجيئه على (أَوْلَاد) قوله تعالى:

كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ [النساء:١١]

والملاحظ أنّ لفظ (ولد) على وروده مفردا، وجمعا، يدل على طفل صغير ضعيف كما في ظاهر آية والمستضعفين من الرجال والولدان الذين لايستطعون حيلة الخ. وتعمّ دلالته على الانسان في جميع مراحل حياته: مراهقا كان، أو شابا، أو كهلا، أو شيخا. كما في قوله تعالى: " يوصيكم الله في أولادكم" الآية. ولا فرق بين من كان صبيّا غير عاقل، ومن هو رجل عاقل. وبين من هو الابن للصلب، وابن الابن. والدليل على عموم اللفظ لكل من وُلِدَ بلا فرق، ما أورده ابن كثير في تفسيره حيث قال: " لما نزلت الفرائض التي فَرَضَ الله فيها ما فرض، للولد الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم وقالوا: تُعطَى المرأة الربع، أو الثمن، وتعطى البنت النصف، ويعطى الغلام الصغير؟ وليس أحد من هؤلاء يقاتل القوم، ولا يحوز الغنيمة.. اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله ﷺ ينساه، أو نقول له فيغير، فقال بعضهم: يا رسول الله، نعطي الجارية نصف ما ترك أبوها، وليست تركب الفَرَس، ولا تقاتل القوم ونُعطِي الصبي الميراث وليس يُغني شيئا.. وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية، لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم، ويعطونه الأكبر فالأكبر. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.[٥]

كما يلاحظ أيضا إطلاق لفظ (الولد) بصيغة الافراد على الذكر و الأنثى و المثنى و المجموع. وجاء في تفسير قوله تعالى "ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد) من بطنهن أو من بنيهن أو بني بنيهن وإن سفل ذكرا كان أو أنثى.[٦]

الخاتمة:

تناولت هذه المقالة _بعد المقدمة_ نقاشا حول اللفظين وهما: **الغلام، والولد** في اللغة وفي القرآن الكريم، ومن خلال ذلك توصل الباحثان إلى نتائج أهمها ما يلي:

_ لفظ (غلام) ورد في القرآن الكريم مفردا، ومثنى، ومجموعا. وجاء مجردا في الأكثر وقلّ اتيانه بال. وتفصيل مواقعه كالآتي:

لفظ (غلام) مفردا [آل عمران: ٤٠] [يونس: ١٩] [يوسف: ١٩][الحجر: ٥٣] [الكهف: ٧٤، ٨٠][مريم: ٧، ٨، ٢٠] [الصافات: ١٠١] [الذاريات: ٢٨]

لفظ (غلامين) مثنى [الكهف: ٨٢]

لفظ(غلمان) جمعا [الطور: ٢٤]

ومجموع ما ورد في القرآن من لفظ (غلام) مفردا ومثنى وجمعا ١٣لفظة

_ مادة (و ل د) جاءت في القرآن الكريم بصيغ متنوعة: جاءت اسما مفردا، ومثنى، ومجموعا. واسم الفاعل، واسم المفعول، وفعل ماض، ومضارع، نحو: ولَدٌ_أولادٌ وِلْدانٌ_ والدٌ_ والدةٌ_ والِدَاتُ_ مولودٌ_ وُلِدْتُ_ وَلَدَ – ولَدْنَ _

يَلِد- يُولَد.

وهذه المادة باعتبار جميع صورها تكررت في القرآن الكريم ٨٩ مرة على حسب ما وصل إليه الباحثان.

_ ولم يرد لفظ (ولد) في القرآن الكريم مثنى، وإنما ورد مفردا، وجمعا بصيغتين، الأولى: أوْلَاد، على وزن (أفْعَال) والثانية وِلْدَانٌ على وزن (فِعْلان)

وتنحصر الإشارة في مواقع هذه الصيغ الثلاث في القرآن الكريم دون غيرها؛ لأن الكلام بصدد الحديث عن (الولد) وتفصيل تلك المواقع كالتالي:

مواقع (ولد) بصيغة الافراد: [البقرة: ١١٦، ٢٣٣] [آل عمران: ٤٧] [النساء: ١١، ١٢، ١٧١، ١٧٦] [الانعام: ١٠١] [يونس: ٦٨] [يوسف: ٢١] [الاسراء: ١١١] [الكهف: ٥، ٣٩] [مريم: ٧٧، ٨٨، ٩١، ٩٢] [المومنون: ٩١] [الفرقان: ٢] [القصص: ٩] [لقمان:٣٣] [الزمر: ٤] [الزخرف: ٨١] [نوح: ٢١] [الجن: ٣] وجملة ما ورد بصيغة الافراد ٢٩ لفظة.

مواقع (أوْلَاد) جمعا (أفْعَال) [البقرة: ٢٣٣] [آل عمران: ١٠، ١١٦] [النساء: ١١] [الانعام: ١٣٧، ١٤٠، ١٥١] [الانفال: ٢٨] [التوبة: ٥٥، ٦٩، ٨٥] [الاسراء: ٣١، ٦٤] [سبا: ٣٥، ٣٦] [الحديد: ٢٠] [الممتحنة: ٣، ١٢] [المنافقون:٩] [التغابن: ١٥] وجملة ما ورد بهذه الصيغة ٢١ لفظة.

مواقع (وِلْدان) جمعا بصيغة (فِعْلان) [النساء: ٧٥، ٩٨، ١٢٧] [الواقعة: ١٧] [المزمل: ١٧] [الانسان: ١٩] وجملة هذه الصيغة ٦ ألفاظ

ومجموع ما ورد في القرآن الكريم من لفظ (ولد) مفردا وجمعا ٥٦لفظة. والله أعلم.

_ كل غلام ولد والعكس ليس كذلك،

_ الغلام خاص لمفرد الذكور، والغالب اطلاقه على من ترعرع ووصل إلى مرحلة المراهقة.

_ الولد أعم من الغلام لشموله الذكر والأنثى والمفرد والجمع.

وهنا وصل البحث إلى خاتمة المطاف ونسأل الله تعالى القبول وحسن الخاتمة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمصادروالمراجع:

_ القرآن الكريم

١_ المقري، أحمد بن محمد بن علي، **المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير**،ج/ ٢/ص:١٤١

٢_ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، المجلد الثاني،/ دار الكتب العلميةبيروت ١٩٩٨ ص: ٤١٧

٣_ الفيومي **المصباح المنير**/ المصدر السابق. ج/٢/ ص: ٨٣٩

٤_ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**. ج/١١، / دار الحديث القاهرة ٢٠٠٧م ص:٢٢

٥_ ابن كثير، اسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ، الطبعة الثانية ١٩٩٩م ترقيم الكتاب موافق للمطبوع للمكتبة الشاملة،ج/٢ ، ص:٢٢٦

٦_ ابن فودي عبد الله، **ضياء التأويل في معاني التنزيل** الجزء الأول، مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٨٠هـ /١٩٦١م

منهج تحفيظ القرآن الكريم للسيدات في مدينة كشنه بشمال نيجيريا:

مدرسة ترتيل القرآن نموذجًا

د/جابر موسى سليمان
قسم الدراسات الإسلامية،
جامعة عمر موسى يرأدوا كاتسينا نيجيريا،
jabir.musa@umyu.edu.ng & jabrimu@yahoo.com
07033126981

مقدمة

لا شك أن أولوية حفظ كتاب الله في بلاد الهوسا بشمال نيجيريا من الحقائق التي لاخلاف فيها، بل من العادات التي ترسخت في أذهان مواطني هذه البلاد، فقد كان اهتمام الآباء تجاه أبنائهم منذ سنواتهم المبكرة حفظ كتاب الله تعالى، وأفضلية مدارس تحفيظ القرآن الكريم على غيرها من المدارس التقليدية في الفترات الأولى حقيقة لا يكاد ينكرها أحد، هذا مما أدى إلى كثرة مدارس تحفيظ القرآن الكريم في هذه المنطقة، إلا أنها تعتمد على منهجها واحداً متكاملاً وتقليدياً ومعروفاً لدى الجميع، وهو حفظ كتاب الله عن طريق الكتابة على الألواح بخطط ومراحل متبعة ومحكمة، حسب مستويات الطلاب، بحيث يتدرج الطالب ويترقى خطوة بعد خطوة، حتى يختم كتاب الله حفظاً متقناً. و سيأتي شيئا من التفاصيل لهذ المنهج في ثنايا هذ البحث. وبتقدم الزمن والتطورات الحديثة- إضافة إلى كثرة الراغبين لحفظ كتاب الله تعالى- ظهرت أنواع أخرى من المدارس بمناهج متعددة ومتنوعة، تهتم بتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون واستخدام وسائل حديثة، فهناك مدارس لتحفيظ الصغار كتاب الله، وهناك مدارس لتحفيظ الكبار من السادات والسيدات، كلاً بمنهج يتلاءم مع مستواه، رغم ما شاع بين الخاصة والعامة من أن كل من كبر سنه انقطع حبله عن حفظ كتاب الله تعالى، بل يعتبر هذا من المستحيلات لدى الكثير، إلا أن شدة رغبة البعض وعلو همتهم دفعتهم إلى محاولة حفظه حتى ولو في لحظات الأخيرة من حياتهم، فشاء الله أن نجحت التجربة، وأصبح المجال واسعاً للصغار والكبار إلا أن المنهج يختلف تماماً. وفي ضوء هذه المعاني تسعى هذه الدراسة إلى بيان منهج مدرسة تحفيظ القرآن للسيدات لما لهذا المنهج من الأصالة والإيجابية ولمواكبته لمناهج حديثة من حيث استخدام التقينات الحديثة لسهولة المراجعة وإتقان الحفظ لدى الطلاب.

أهداف البحث:

يتوقع هذا البحث الوصول إلى الأهداف الآتية:

١- تقديم منهج جديد لحفظ كتاب الله تعالى

٢- بيان كيفية استخدام التقنية الحديثة لسهولة المراجعة وإتقان الحفظ لدى الطلاب.

٣- تعليم الطلبة كيفية مراجعة وتكرار وردهم اليومي من القرآن الكريم عبر التقنينات كالجوال أوالحاسوب أو ما أشبه ذلك من الآلات والأدواة الحديثة المتنوعة، بالإضافة إلى منهجهم الأصلي المعتمد عليه.

أهمية البحث:

يساهم هذا البحث في تقديم مناهج جديدة لسهولة حفظ كتاب الله تعالى، وتعليم الطلاب كيفية استخدام أوقاتهم الفارغة عن طريق مراجعة القرآن عبر الآلات الحديثة المتوفرة في متناول أيديهم سماعةً وتلاوةً وحفظاً.

هيكل البحث:

هذا البحث يتراوح حول النقاط الآتية:

- نبذه تاريخية عن نشأة مدارس تحفيظ القرآن الكريم في مدينة كشنه.
- بيان المنهج التقليدي لمدارس تحفيظ القرآن الكريم بمدينة كشنه.
- منهج مدرسة ترتيل القرآن للسيدات.

نبذه تاريخية عن نشأة مدارس تحفيظ القرآن الكريم في مدينة كشنه.

يقال إن إسم "كشنة" اسم لزوجة الرجل الذي أسس هذه المدينة، ويدعى "جنزما" ولا يعرف لماذا سمي باسم الزوجة دون الزوجة.

أما شعب كشنه ينتمي إلى قبيلة اليول والبربر والونغار والتوارك. ولقد تحضرها أهلها وتمدنت المدينة بازدهار سوقها الكبيرة التي ترتادها القوافل من بلاد العرب والبربر والبرنو وسنغي وغيرها حتى صار لكل واحد من هذه البلاد شوارع وأحياء تسمى باسمها.

وقد تنافست مع ضرتها مدينة كنو على تجسيدها، وقد حدث تنافس اقتصادي وسياسي بين كنو وكشنه قبل الإسلام حتى قامت بينهما حروف دامية استمرت مائة عام سجالًا.

وأول ملك لها هو المسمى "كمايو" أحد أحفاد بايجيد، وقد دامت الدولة في أسرته مئات السنين.

دخول الإسلام في مدينة كشنه:

لا يعرف بالتحديد وقت دخول الإسلام في مدينة كشنة ولكن المتفق عليه عند المؤرخين أن أهلها اعتنقوا الإسلام منذ وقت مبكر وعلى أيديهم انتشر في بلاد الهوسا، ولقد أسلم أهل كشنة على أيدي التجار الوافدين إليها من الونغارا والعرب والبرابرة.[١]

وخرج أهلها طلبًا للعلم منذ وقت مبكر إلى تمبكتو وتونس ومصر، ثم رجعوا إلى بلادهم وأسسوا بها مدارس كبيرة بلغت مستوى الجامعات، وقد نبغ فيهم عدد كبير من الفقهاء والأدباء والعلماء حلفوا من التراث الأدبي ما يدل على نبوغهم ووفرة علمهم وعلى سبيل المثال:

١-الشيخ عبد الله ثقة

٢-وابن الصباغ محمد بن محمد السباغي

٣-وابن مسنى أبو عبد الله محمد بن مسنى

٤- ومحمد بن محمد الكشناوي الفلاني[٢]

وغيرهم من الذين تركوا مؤلفات قيمة. وبجانب هؤلاء هناك جل من العلماء الذين تقدموا إلى كشنه للتدريس فيها وفي مدارسها، حتى أصبحوا من إعلام الإسلام فمنهم العرب والبربر ، ومن علماء مالي وغانه، وكما زارها الإمام المشهور عبد الررحمن السيوطي-رحمهم الله-ومكث فيها مدة طويلة يدرس، وقد دخل فيها أيضا الإمام المغيلي التلمساني حتى تولى الإمامة والقضاء سنة ١٤٠٣م.[٣]

ويؤيد ذلك ما قاله أحمد بابا التمبكتي" إن بلاد برنو وكنو وكشنه وزكزك قد أسلم أهلها منذ القرن الخامس الهجري طوعاً من غير استيلاء أحد عليها. وكان ذلك عن طريق التجار الذين يأتون إليها من بلاد الشرق للتحارة وكانوا يأتون ببضاعتهم من الأسلحة كالسيف والرماح والملابس الصوفية والحريرية من شمال إفريقية إلى غربها ويتوزعون لبيعها في غانه ومالي وكشنه وكنو وسنغي وبرنو ثم يعودون من هذه البلاد بريش النعام والعاج والعبيد والذهب وبضاعات إفريقية.[٤]

نشأة مدارس تحفيظ القرآن الكريم (الكتاتيب) في مدينة كشنه:

ليس هناك تاريخ محدد عن نشأة أول مدرسة كتاتيبية، والتي تهتم بتحفيظ القرآن الكريم في مدينة كشنه، لذا قام الباحث بمقابلة شفوية مع أحد كبار المشايخ الذي يعتبر من أقدم من أسس مدرسة كتاتيبية اسمه معلم كبير "هَيدَارى"، حيث قال: يقال: "إن أول من أسس مدرسة كتاتيبية هو ولي الله هيدارى"، وعليه يمكن إرجاع هذا إلى أول تاريخ تأسيس مدرسة كتاتيبية في مدينة كشنه.[٥]

وقد قيل هناك مدرسة كتاتيبية أخرى تعتبر من أقدم المدارس، ومؤسسها يعرف بمعلم ثاني طَنْ زَنْغُو، إلا أنها اندرست بوفاته. وبوفاة ولده الذي تولى خدمتها بعده.[٦]

بيان المنهج التقليدي لمدارس تحفيظ القرآن الكريم بمدينة كشنه.

كان المنهج لتحفيظ كتاب الله تعالى في مناطق غرب إفريقيا بشكل عام وفي بلاد هوسا بصفة خاصة منهجاً تقليدياً ومعروفاً لدى الجميع، وهو ليس له نظام محكم، غالبا ما يعتمد على حفظ كتاب الله عن طريق الكتابة على الألواح، وبرواية ورش عن نافع.

فقبل الحديث عن تفاصيل هذا المنهج يحسن بنا بهذا الصدد إلقاء نظرة عامة عن هيكل المدارس (الكتاتيبية) والتي تعنى بتحفيظ الأولاد كتاب الله تعالى في هذه المناطق. وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه المدارس لا تعتمد على أي نظام يحكمها، وهي تجرى بشكل عشوائي. ومما يلي تفاصيل هذا المنهج:[٧]

التسمية:

فمن الناحية الإسمية غالباً ما نجد هذه المدارس لا يوجد لها اسم رسمي محدد، كغيرها من المدارس الرسمية، وإنما المعروف عند الكافة أن المدرسة تنسب اسمها إلى مؤسسها، أو صاحب البيت الذي تقام فيه الدروس.

نظام قبول الطلبة:

أما من ناحية قبول الطلبة فليس هناك نظام يحكم على ذلك، ولا يوجد ولو دفتراً يسجل فيه أسماء الطلاب، ولا أسماء المدرسين، ولا حدود لعدد الطلبة التي تتحملها طاقة المدرسة أو المدرسين، الطلاب تقبل بشكل عشوائي ، وفي أي لحظة قدم إليها.[٨]

نظام الفصول

لا وجود لنظام الفصول في أمثال هذه المدارس، الطلاب يجلسون بشكل عشوائي، أحياناً فوق الفراش العادي ،وتارة فوق الأرض بدون فراش، لا يعرفون شيئاً اسمه كرسي، ولا مقاعد للطلاب ولا الأساتذة، كل يجلس حيثما وجد الفراغ، وحسب الأسبقية. ولا يراعى فيها أية فترة أو مرحلة زمنية يترقى الطلاب فيها من فصل إلى فصل آخر، أو يتخرج فيها بشهادة معينة.

منهج مدارس الكتاتيب:

إن لمن الغريب في شأن هذه المدارس، أن الظروف والملابسات والتجربة اليومية هي التي تحكم على ما يمكن أن نعتبره كمنهج لهذه المدارس، بل النظام فيها تقليدي موروث محفوظ غير مدون خلافاً للمدارس النظامية حالياً. وخلاصة القول أن المنهج المتبع في مدارس القرآن في بلاد الهوسا قريب من منهج أهل الغرب الذي أشار إليه ابن خلدون في مقدمته حيث قال:"

أما أهل الغرب فمذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن.. والاكتفاء بحفظ بعض السور القصار.[٩] إلا أن هناك خطوات ومراحل ينبغي الإشارة إليها فهي كالتالي:

الخطوة الأولى:

فالطلاب غالبا ما يبدأون من سورة الفاتحة إلى سورة الفيل، ثم بعد ذلك ينتقل الطالب إلى معرفة الحروف، وإتقان نطقها، وبعد تلقين الحروف ومعرفة الطالب بها وبكيفية نطقها نطقاً صحيحاً ينتقل إلى الخطوة الثانية وهي كالتالي:

الخطوة الثانية:

ففي هذه الخطوة يكتب للطالب على اللوح صغير الحجم" التعوذ"، أي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم "البسملة" أي: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. فيقصد بالطالب في هذه المرحلة معرفة جميع حروف الاستعاذة والبسملة معرفة جيدة.

الخطوة الثالثة:

وبعد إتقان الطالب حروف الاستعاذة والبسملة، يؤمر بمحو ها، ثم يكتب له سورة الفاتحة بأكملها، وبدون تشكيل أيضاً، ثم سورة الناس، ثم الفلق، وهكذا إلى آخر سورة الفيل..... وهذه المرحلة هي التي تسمى بمرحلة بلغة الهوسا مرحلة (Babbaku) يعني معرفة الحروف العربية بأصواتها.

الخطوة الرابعة:

تعليم الطلاب "الحركات والأشكال" عن طريق نفس السور المذكورة، وهذه المرحلة أيضا تسمى بلغة الهوسا "فرفرو" (Farfaru) أي مرحلة محاولة تعليم الطالب كيفية القراءة والإملاء.

الخطوة الخامسة:

وإذا جاوز التلميذ تلك المراحل، يتقدم إلى المرحلة الأخيرة وفيها يبدأ بالقراءة والكتابة بنفسه، ثم يبدأ بمحاولة قراء تها وتكرارها قبل إتيانه إلى المدرس حتى يذلل القراءة تذليلاً، وهكذا يستمر إلى أن يختم القرآن، ثم يأخذ في المراجعة حتى يصير حافظاً متقناً، وغالباً إذا ختم التلميذ القرآن الكريم تلاوة أوحفظاً أو معاً تقام له الوليمة تهنئة له وتشجيعاً له ولإخوانه التلاميذ، وقد تقام أثناء القراءة عندما قطع التلميذ أحزاب أو سور معينة.[١٠]

منهج مدرسة ترتيل القرآن للسيدات

إن الأسبقية والأفضلية لفكرة تأسيس مدرسة ترتيل القرآن يرجع إلى الشيخ يحيى على رفاعي وذلك فى سنة ١٩٨٩م وسماها بالإسم المذكور آنفا[١١]، "مدرسة ترتيل القرآن".

بدأت هذه المدرسة بالأولاد الصغار ذكوراً وإناثاً، وعددهم لا يجاوز مائة وعشرون تلميذاً، وأعمارهم من بين خمس إلى خمسة عشر سنة، وعدد المدرسين وقتئذ ثلاثة فقط. وكان عدد الفصول ثلاثة، ومستوياتها العلمية هى: الحضانة والإبتدائية.ثم بدأت تزدهر بفضل الله حتى بلغ عدد التلاميذ فيها أكثر من سبعمائة تلميذاً، وذلك من خلال مدة قصيرة من الزمن.

فلما رأى الشيخ يحيى بن على بن رفاعي ما وصل إليه من النصر والزجاج الهائل فى إجراء هذه المدرسة أتته فكرة جديدة، وهي فتح أقسام أخرى التابعة لهذه المدرسة، ففتح القسم الثانوية وهو خاص للشباب والفتيات، ويجرى التدريس فى هذا القسم يومين[١٢] فى الأسبوع: من الساعة الثانية إلى الساعة السادسة مساءاً بمنهج جيد على مستوى الكلية فى اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وعدد الطلاب فى هذا القسم أكثر من مائتين طالبًا.[١٣]

وبمرور الزمن تفكر الشيخ أيضًا إلى ضرورة فتح قسم آخر للسيدات، بغية إيصال الفائدة للجميع، وقد تم فتح هذا القسم، ويجرى التدريس فيه ليلا بعد صلاة العشاء إلى الساعة العاشرة تماما، ويجرى التدريس فى هذا القسم على منهج يساوى مناهج سائر المدارس الإسلامية الليلية، وبعد مدة من الزمن أمعن النظر فى هذا القسم وأمثاله من المدارس الإسلامية الليلية المخصصة للسيدات فرأى أن الطالبات يمكثن فى مثل هذه المدارس ويقضين سنوات عديدة دون أن يتخرجن منها. بعضهن يسأمن من التعليم فيها ويقعدن فى بيوتهن وبعضهن يلزمنها هكذا بدون أى تطور. وليس هناك مدرسة إسلامية أخرى ذات منهج جيد ومناسب تلحق بها الطالبة لتزداد منها بعض المعلومات الدينية واللغوية. وهذه هى الفكرة الأولى فى تأسيس قسم الدعوة والتعليم.[١٤]

ثم لاحظ وأمعن النظر مرة ثانية فى تلك المدارس الليلة المخصصة للسيدات فإن أكثر من يدرس فيها رجال فعلم أن هناك حاجة إلى تبديل الرجال بالنساء ولكن هذا أمر غير ممكن لأن معظم النساء ليس لديهن كفاءة علمية تمكنهن للقيام بذلك، ربما لضعفهن فى منهج الدراسى فى تلك المدارس الليلية، ولذلك اهتم الشيخ بتأسيس قسم الدعوة والتعليم فاقترح على أعوانه من الأساتذة هذه الفكرة فقبلوها وفرحوا بها، ثم قام بالاستعداد لما ينبغى فتم إنشاء هذا القسم فى سنة ١٩٩٣م بمائة من الطالبات فى الفصلين وكان عدد المدرسين وقتئذ خمس مدرسا فقط.

منهج تحفيظ المدرسة في تحفيظ القرآن للسيدات:

يبدأ هذا المنهج من سورة الفاتحة ثم البقرة وينتهي إلى سورة الناس. وفيما يلي تفصيل هذا المنهج:[١٥]

الفصل الأول:

يبدأ المنهج من الآية الأولى من سورة الفاتحة ويتوقف عند قوله تعالى في سورة البقرة ﴿**تلك ءايت الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين**﴾.[١٦] هذا في الفترة الأولى.

وفي الفترة الثانية يواصل من قوله تعالى: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾[١٧] إلى قوله تعالى: ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالتكم وبنات الأخ وبنات الأخت**﴾[١٨] وفي الفترة الثالثة: يقوم المدرس بتدريسه من قوله تعالى: ﴿**والمحصنات من النساء إلا ما مكلت أيمانكم كتاب الله عليكم**﴾[١٩] إلى قوله تعالى: ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين أشركوا**﴾[٢٠]

الفصل الثاني:

ويبدأ المنهج من قوله تعالى: ﴿**وإذا سمعوا إلى ما أنزل إلى الرسول...**﴾[٢١] حتى يصل إلى قوله تعالى: ﴿**وإن كان طآئفة منكم ءامنوا بالذي أرسلت به وطائفة...**﴾[٢٢]

وفي الفترة الثانية يدرس قوله تعالى: ﴿**قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين ءامنوا من قريتنا**﴾[٢٣] إلى قوله تعالى: ﴿**ولا على الذين إذا ما أتك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم نفيضوا من الدمع...**﴾[٢٤]

وفي الفترة الثالثة يبدأ التحفيظ من قوله تعالى: ﴿**إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء**﴾[٢٥] حتى يصل إلى قوله تعالى: ﴿**ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين**﴾[٢٦]

الفصل الثالث:

ويبدأ المنهج في الفترة الأولى من قوله تعالى: ﴿**وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي...**﴾[٢٧] إلى قوله تعالى: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾[٢٨]

وفي الفترة الثانية يدرس من قوله تعالى: ﴿**سبحان ال\ي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام**﴾[٢٩] إلى قوله تعالى: ﴿**قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى**﴾[٣٠]

وفي الفترة الثالثة يبدأ بالتحفيظ من قوله تعالى: ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**﴾[٣١] حتى يصل إلى قوله تعالى: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم...**﴾[٣٢]

الفصل الرابع:

يقوم المعلم حسب هذا المنه بتحفيظ الطلاب في الفترة الأولى من قوله تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾[٣٣] وينتهي عند قوله تعالى: ﴿**أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون الناس بل أنتم قوم تجهلون**﴾[٣٤]

وفي الفترة الثانية يدرس قوله تعالى: ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا ءال لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**﴾[٣٥] إلى قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين...**﴾[٣٦]

وفي الفترة الثالثة يبدأ بالتحفيظ من قوله تعالى: ﴿**ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما**﴾[٣٧] حتى يصل إلى قوله تعالى: ﴿**بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين**﴾[٣٨]

الفصل الخامس:

يقوم المعلم حسب هذا المنه بتحفيظ الطلاب في الفترة الأولى من قوله تعالى: ﴿**وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين**﴾[٣٩] وينتهي عند قوله تعالى: ﴿**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**﴾[٤٠]

وفي الفترة الثانية يدرس قوله تعالى: ﴿**إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾[٤١] إلى قوله تعالى: ﴿**قال كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم**﴾[٤٢]

وفي الفترة الثالثة يبدأ بالتحفيظ من قوله تعالى: ﴿**قال فما خطبكم أيها المرسلون**﴾[٤٣] حتى يصل إلى قوله تعالى: ﴿**ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا...**﴾[٤٤]

الفصل السادس:

يقوم المعلم حسب هذا المنه بتحفيظ الطلاب في الفترة الأولى من قوله تعالى: ﴿**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير**﴾[٤٥] وينتهي عند قوله تعالى: ﴿**من الجنة والناس**﴾[٤٦] وفي الفترة الثانية والثالثة تكون المراجعة العامة لكل محفوظ قبل وليمة اختتام.

الخاتمة:

وتختتم هذه المقالة بعرض أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وهي:

- هذا المنهج يعين السيدات في حفظ القرآن الكريم في ست سنوات.
- يساعد الطالبات في متابعة حفظ القرآن الكريم بدون انقطاع في السنوات الست.

- يكون المنهج صعب عند التطبيق وخصوصا كثير من الطالبات يشتغلن ببعض الأعمال المدرسية الأخرى وبعضهن زوجات لهن الأعمال المنزلية التي في أكثر الأحايين لا تسمح لهم لأداء ما عليهن من حفظ الأسبوع.
- كثير من الطالبات يصعب عليهن مراجعة المحفوظ الأسبوعي لأن الحفظ يكون متواصل بدون انقطاع.
- يصعب على المدرس سماع المحفوظ من الطالبات لأجل ازدحامهن في الفصل إذ الفصل المتوسط تجد فيه أكثر من خمسين طالبة.
- الوقت المخصص لحصص التحفيظ غير كافية؛ إذ لا تسمح للمدرسين تسميع الطالبات تلاوته للمفوظ الأسبوعي عند قرائته له.

قائمة الهوامش المراجع:

١- آدم عبد الله الإلوري الإسلام في نيجيريا ص ٨٨.

٢- محمد لواء الدين أحمد، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ٢٠٠٩م. ص٥٣.

٣- Charanchi R, Katsina Dakin Kara, Published by Northern Nigeria Publishing Company Limited 1st Published 1999, Page:1.

a. د سعيد غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيحيريا، ص ٤٣.

b. مقابلة شخصية مع المعلم كبير هيداري في بيته بحارة قوفر بي، بتاريخ ١١-٠٥-٢٠١٩م.

c. المرجع نفسه.

٤- ثاني موسى أياغي، نظام التعليم القرآني الحديث ودوره في إجادة القراءة وفهم القرآن في نيجيريا – بحث قدم في المؤتمر العالمي للقرآن، جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم جمهورية السودان (١٥-١٧ ديسمبر ٢٠١١ م) ص:٢.

٥- المرجع نفسه، ص:٤.

٦- ثاني موسى أياغي ، نظام التعليم القرآني الحديث ودوره في إجادة القراءة وفهم القرآن في نيجيريا – بحث قدم في المؤتمر العالمي للقرآن ، جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم جمهورية السودان (١٥-١٧ ديسمبر ٢٠١١ م) ص:٢.

٧- Muhammd Sani Muhammad,The development and The Integration of Qur'anic Schools and Their Role in The Development of Human

Knowledge in Nigeria. – a Thesis Submitted in Fulfillment of The Award of PhD in Islamic Studies ,Sudan University of Science and Technology ,DEC,2014

٨- أخذ هذا الاسم من قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾.

٩- يوم السبت ويوم الأحد.

١٠- مقابلة شفوية مع الشيخ يحيى علي رفاعي مدير مدرسة ترتيل القرآن في بيته بتاريخ ٢٠١٩/٠٣/٢٣م.

١١- المرجع نفسه.

١٢- مقابلة شفوية مع الأستاذ أبوبكر آدم يوسف رئيس قسم السيدات في ساحة المدرسة بتاريخ ٢٠١٩/٠٣/٥م. ووريقات مخطوطة لمنهج تحفيظ القرآن الكريم للمدرسة

١٣- سورة البقرة، الآية: ٢٥٢.

١٤- سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

١٥- سورة النساء، الآية: ٢٣.

١٦- سورة النساء، الآية: ٢٤.

١٧- سورة المائدة، الآية: ٨١.

١٨- سورة المائدة، الآية: ٨٢.

١٩- سورة الأعراف، الآية: ٨٧.

٢٠- سورة الأعراف، الآية: ٨٧.

٢١- سورة التوبة، الآية: ٩٢.

٢٢- سورة التوبة، الآية: ٩٣.

٢٣- سورة يوسف، الآية: ٥٢.

٢٤- سورة يوسف، الآية:٥٣.

٢٥- سورة النحل، الآية: ١٢٨.

٢٦- سورة الإسراء، الآية: ١.

٢٧- سورة طه، الآية: ١٣٥.

٢٨- سورة الأنبياء، الآية: ١.

٢٩- سورة الحج، الآية: ٧٨.

٣٠- سورة المؤمنون، الآية: ١.

٣١- سورة النمل، الآية: ٥٥.
٣٢- سورة النمل، الآية:٥٦.
٣٣- سورة الأحزاب، الآية: ٣٠.
٣٤- سورة يس، الآية: ٢٧.
٣٥- سورة يس، الآية: ٢٨.
٣٦- سورة فصلت، الآية: ٤٦.
٣٧- سورة فصلت، الآية: ٤٧.
٣٨- سورة الذاريات، الآية: ٣٠.
٣٩- سورة الذاريات، الآية: ٣١.
٤٠- سورة التحريم، الآية: ١٢.
٤١- سورة الملك، الآية: ١.
٤٢- سورة الملك، الآية: ١.
٤٣- سورة الناس، الآية: ٦.

المركز التدريبي للدراسات القرآنية بجامعة بَايَرُو كَنُو بين الآمال والانجازات من سنة ٢٠١٤م إلى سنة ٢٠١٨م

د .أمين الله آدمو الغمبري
elgambarimiyattiallah@gmail.com
و
د.نور ثاني
محاضران بقسم الدراسات الإسلامية والشريعة، جامعة بايرو كنو،
nuradiso329@gmail.com

المقدمة:

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، وتكمن أهميته في أنه الدليل الذي يحمله الفرد المسلم بين يديه للمشي في طريق مرضاة الله تعالى، يأخذ منه عقيدته وشكل عبادته وينهل منه التوجيهات والارشادات، قال تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا"، الاسراء:٩. ولذلك اهتم المسلمون بالقرآن الكريم تلاوة وتدبرا، كما أمرهم بذلك خالقهم فقال تعالى: "إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور"، فاطر: ٢٩. وقال أيضا: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولى الألباب". هذا، وقد أسس الكثير من المسلمين في بلدانهم مراكز تعني بكل ما من شأنه أن يساهم في تعليم القرآن وتسهيل حفظه.

تقع جمهورية نيجيريا في غرب أفريقيا على طول المحيط الأطلسي فى خليجِ غِينِيا. وأغلب المقاطعات فى نيجيريا متوجة بالأنهارِ، خصوصا منطقة النَّيْجَرْ نهر بِينُوَيْ. اشتق اسم الوطن من هذا النهر الفياض الممتد من أراضى جمهورية مالي وجمهورية النيجر. وبما أن النهر توسط أعماق نيجيريا لذلك تحول اسم الجمهورية إليه. وتعتبر أكثر البلدانِ الأفريقية سكانا، ذلك لأن أكثر مِنْ خمس وثلاثين فى المائة من ساكني القارة من أهالى نيجيريا. وخلفية القاطنين فيها راجع إلى العديد مِن المجموعات العرقيةِ المختلفةِ. وتمنح هذه الظاهرة ثقافات غنية ومختلفة للبلاد، كما أن هذه تشكّل تحديات رئيسية فى بنايةِ وحدة الأمةِ. فمثلا أصابَ النزاع العرقي نيجيريا منذ أن كَسبتْ الإستقلال في عام ١٩٦٠م. وتتبنى نيجيريا النظام الفدرالى الموحد، فالدولة منقسمة إلى ست وثلاثين ولايةِ وعاصمة بمقاطعة أَبُوجَا، ولكل ولاية مناطق محلية أو بلديات صغيرة ويصل مجموعها إلى

سبع مائة وسبعين محلية. واسمَ المنطقة الرسمي هو جمهورية نيجيريا الفيدرالية، وكانت مدينة لاَغُوسْ هي العاصمة الأولى لنيجيريا، وهي تقع على طول الساحلِ من الأطلسي و هى مدينةُ كبيرة ومركزُ البلاد الإقتصادي والثقافي. وانتقلتْ العاصمة منها إلى أَبُوجَا في عام ١٩٩١م، وهي الأخرى مدينة تقع في وسط البلاد بنيتْ أثناء السبعيناتِ والثمانيناتِ. على أمل تكوين الوحدة الوطنية، فأبوجا بلد لا يوجد فيه أحد القبائل الكبيرة ولا يفرض فيه السلطة سوي قبائل صغار من مجموعات البلادِ العرقيةِ.

نشأة مراكز تدريس القرآن الكريم

يرجع تاريخ نشأة الدراسات القرآنية في نيجيريا إلي العهد الذي دخل الإسلام فيه. فالتعليم القرآني قديم قدم دخول الإسلام علي يد التجار والعلماء والرحالة، وحيث توافد العلماء والرحالة إلي شمال نيجيريا وجنوب الصحراء بصفة عامة إما بحثا عن الحقائق التاريخية والجغرافية أو عن السلع التجاريه والأرباح، فنتج ذلك أن استحسن الأفارقة للإسلام واعتناقهم تعاليمه أفواجا[١]. ولعل أبرز ما دونه التاريخ هو قدوم الشيخ عبد الرحمن الزيتي الداعية الإسلامي من مملكة مالي المسلمة، حيث عرج عن سفره إلي الحج واختار أن يكون داعية وناشرا للإسلام وتعاليمه في خارج بلده. ولقد سجل بعضهم في هذا الصدد ما يأتي:

> *صار الشيخ عبدالرحمن الزيتي القاضي الكبير يقضى بالكتاب والسنة والاجماع. ثم عين الاستاذ غردمس اماما لمسجد مدابو Madabo, والاستاذ محمد المندولى امام الجامع والمشرف علي الذبائح الشرعية فى المجزرة العامة. ثم بعث الشيخ محمد ششى Sheshe لحارة ششى فى نفس المدينة مرشدا في بعثة دعوية، يذكرهم بتعاليم الدين الحنيف ويقضى بينهم بالعدل والاحسان. وارسل الشيخ احمد المندولى Mandawari الى حارة مَنْدَوَرِ ليقوم بينهم بالوعظ والارشاد ويقضى بينهم فى الحقوق والجنايات. وتم تعيين عبد الله إماما لحارة مطاتى Madatai داعيا وإماما. أما الشيخ محمد بنسرون دال Dala Bunsurun بصفة كونه شجاعا وليثا بارزا تم تعيينه قائد الكتائب الجهادية على الكفار والمشركين هو وتلميذ الشيخ محمد مى بلوقيه Bulukiyya فهؤلاء الجاهبذة جميعا لهم الفضل في تأسيس وترسيخ العقيدة الإسلامية وإعلاء كلمة الله في كنو*[٢]

ومن الطرف الآخر دخل الإسلام إلى مملكة كانم برنو من الشمال الأفريقي حيث يمتد الوجود الإسلامي في المملكة أكثر من ألف سنة. وكانت الدراسات القرآنية راسخة الكيان في أوساط ابناء المملكة، و هذا الفضل يرجع إلي داعية الإسلام عقبة بن نافع الفهري الذي أسس مركزا للدراسات القرآنية في المغرب العربي عام ٦٦٦م لأبناء البربر[٣]، وبذلك توافد إليه جم كبير من أبناء كانم برنو[٤]، ثم استمر هذا التوافد من أبناء كانم إلي جامع الأزهر الشريف بتنسيق تام بين دولتي كانم ومصر حيث بني فيه ملك برنو الرواق البرناوي[٥] فازدهر بذلك التعليم القرآني في الكتاتيب والخلاوي، لاسيما بعد رجوع وفود العلم من الأزهر والزيتونة والقيروان. ومما زاد هذه المبادرة إزدهارا أيضا هو تعيين الخليفة عمر بن عبد العزيز إسماعيل بن عبد الله واليًا على المغرب والذي جاء بدوره بكوكبة من العلماء والقراء لتدريب العلماء في القيروان[٦]. وقد قام أحد سلاطين كانم برنو ببناء مراكز لتدريس القرآن الكريم علي نمط الأزهر والزيتونة والقيروان في مدن كبيلا وماشينا ودفو[٧]، فازدهر بذلك التعليم القرآني بتشييد السلاطين وحفاوة الأمراء، فكان بعض الأمراء والسلاطين أنفسهم يجلسون علي أقدام العلماء يتعلمون القرآن الكريم، فمثلا مَيْ بولو Bulu Mai حفظ خمسة أحزاب من القرآن الكريم، ومَيْ أركي Araki Mai حفظ من سورة الناس إلي سورة يس، ومَيْ كادي Kadi Mai حفظ من سورة مريم إلي سورة الناس، ومَيْ جلأ Jala`a Mai أوشك أن يحفظ القرآن كله من سورة الناس إلي الأعراف، أما مي همي جلمي Hummi Julmi فيقال إنه حفظ القرآن الكريم كاملا[٨].

هذا، ويعتبر فترة ما قبل الإستعمار في نيجيريا بالعصر الذهبي للدراسات القرآنية وذلك لعناية السلاطين والأمراء بحفظة القرآن الكريم. فبينما الأمر كذلك إذ جاء الإنكليز باستعمارهم الذي خلف آثار وخيمة لدراسة القرآن الكريم، حيث بدأت المشكلات تتسرب إلى هذا التعليم، فمن تلك المشاكل :

١. الاهتمام الشديد والرعاية التامة للتعليم الغربي الإنكليزي وتقديمه على التعليم القرآني من قبل الاستعمار.

٢. تحول حال الأمراء والسلاطين من دعم الدراسات القرآنية إلي التساهل بها واستقبال النظام التعليم الجديد من الغرب، الأمر الذي بلغ أمير كَشِنَا الحاج كبير نَغُغُّو Maiturawa يتجول في مملكته لدعوة الناس إلي استقبال النظام التعليم الإنكليزي جبرا.[٩]

٣. الإهمال الشديد الذي مارسته الكتاتيب والمدارس القرآنية من الدولة والنظام، فبدأ التعليم القرآني يجري بشكل غير منظم وإن كان ذلك لم

يخلف أثر التراجع في الاستمرار على حفظ القرآن الكريم رغم الظروف القاسية.

٤. المتخرجون في الكتاتيب والخلاوي القرآنية كانوا حينئذ لا يتمكنون من التقدم في مسايرة ركبهم التعليمي، لأنهم بعد حفظ القرآن الكريم والتفنن في تحكيم الحفظ وضبطه لا يسمح لهم بالإلتحاق بالمعاهد العليا بعد التخرج، كما أنه لا يسعهم التوظيف في السلك الحكومي وغير ذلك.

وهناك كثير من المشكلات التي يواجهها التعليم القرآني في هذه البلاد. هذا، وقد قامت الحكومات المحليه في فترة ما بعد الإستعمار ببعض المحاولات بغية إعادة المياه إلي مجاريها. فمثلا تأسست لجنة قوية من مؤسسة إقليم شمال نيجيريا حيث طلب منها زيارة بعض المناطق الإسلامية التي تشابه الأراضي النيجيرية والبحث في كيفية حلها لبعض مشاكلها التعليمي، غير أن الإنقلاب العسكري الذي تزعمه العقيد إيرونسي Ironsi جعل هذه المحاولة باءت بالفشل.

ثم جاء الدور للحكومة الفدرالية النيجيرية الموحدة حيث نظر الحكام إلي أن التعليم القرآني لازم من لوازم الحياة الإنسان في الشمال النيجيري، حيث لا يقدر أن يعيش الانسان إلا به، فبدأت بالإسهامات وإنشاء برامج مختلفة بغية دماج التعليم القرآني مع التعليم الغربي من خلال البرامج التعليمية ك UBEC MADARAH COMMITTEE و ذلك تحت رئاسة البروفيسور شيخو أحمد سعيد غَلاَدَنْثِي في سنة١٩٧١م[١٠]. وبعد هذه الإسهامات تزاحمت المنظمات الغير الحكومية في هذا المشروع حيث قدمت مساعدات مادية وغذائية وتحرير مناهج تعليمية وغير ذلك حيث ساهم بذلك كل من المنظمات الدولية المتمثلة في USAID, UNICEF, UNESCO, DFID[١١]، أما علي مستوي الولايات فقد حاول بعض حكام الولايات رفع مستوي التعليم القرآني، فمثلا في عام ٢٠٠٣م أعلن حاكم ولاية كنو إبراهيم شِيكَرَوْ بأن كل من يحفظ القرآن ستتعامل معه الولاية كأنه تخرج بدرجة باكلوريس في الآداب[١٢]، غير أن ذلك باء بالفشل بدعوى أن ذلك خالف كل قوانين التوظيف الحكومي، وإن كان رفع من مستوي القراء شيئا من الإهتمام. أما في عهد سيادة المهندس رابع موسي كُونْكُوسُو، فقد أسس معهدا لتأهيل القراء والحفظة حيث يتعلم من خلاله التعليم الغربي مع التعليم القرآني المعهود[١٣].

تأسيس مركز البحوث والدراسات القرآنية بجامعة بايرو كنو:

أسس مركز البحوث والدراسات القرآنية التابع لجامعة بايرو بكنو نيجيريا سنة ٢٠١٤م، وهو الأول من نوعه في إفريقيا جنوب الصحراء، ويعتبر إنشاؤه بادرة

فريدة تهدف إلى تحقيق خطة عمل حيّ في مجال تطوير الدراسات والثقافة القرآنية في المجتمع المعاصر، والاهتمام بالمدارس القرآنية التقليدية (الكتاتيب) في غرب إفريقيا عموما ونيجيريا خصوصا، لإيجاد حل مناسب وهادف يلبي احتياجتها ومتطلباتها والتحديات العلمية المعاصرة التي تعيق رسالتها نحو المجتمع.

يتطلع المركز أن يكون رائداً في البحث والتاهيل العلمي في مجال الدراسات القرآنية والعلوم الإسلامية والتدريب الفني المهني لحفظة القرءان الكريم، كما أنه يهدف إلي التجديد العلمي والثقافي في حقل الدراسات القرءانية عموما ، والتلقي القرآني وعلومه خصوصا ، وحفظ وتوثيق التراث القرآني في المنطقة، وتنمية الوعي القرآني في المجتمع. ومن أهداف المركز ما يلي:

١. إحياء سنة التلقي للقرآن الكريم وعلومه، وتخريج الكوادر العلمية، وإجازتهم في القراءات العشر الصحيحة المتواترة.

٢. إقامة دورات علمية مكثفة في التجويد والتلاوة.

٣. تحفيظ الراغبين من طلاب الجامعة في مختلف المستويات والتخصصات.

٤. تأهيل حفظة القرآن الكريم علميا وتأهيلهم حِرفيًا للاعتماد على أنفسهم بعد التخرج.

٥. الاشراف والمراقبة على تدوين المصاحف القرآنية المحلية وتصحيحها.

٦. يتطلع المركز أن يكون محورا لتوثيق وجمع البيانات في مجال الدراسات القرآنية، والعمل مع المؤسسات الإسلامية ذات الصلة بأعماله.

٧. نشر الكتب والمجلات والدوريات والبحوث العلمية في الدراسات القرآنية.

٨. تنظيم دورات وورشات عمل تدريبية، وإقامة مؤتمرات وندوات علمية في مجال الدراسات القرآنية مستهدفة للشرائح التالية:

- إعداد حفظة القرآن الكريم ومفسريه
- الأئمة والدعاة من حفظة القرآن الكريم والاسعاف ونحوهم.
- رجال الحسبة، وغيرهم.

٩. ربط العلاقة وتعزيزها بين المركز والمجتمع المدني والمؤسسات العلمية بداخل نيجيريا وخارجها من خلال البرامج والأنشطة التي يقيمها المركز من حين لآخر.

١٠. إيجاد المنهج الملائم للمدارس القرآنية النظامية، وتسهيل عملية توحيد مناهج هذه المدارس مع مناهج وزارة التربية والتعليم.

١١. إيجاد برامج نموذجية للتوعية العامة من خلال تعاليم القرآن الكريم والتي تهدف إلى خلق التفاهم وتوطيد العلاقات الودية بين شرائح المجتمع، وإزالة أسباب الفرقة والاختلاف.

وسائل تحقيق الأهداف :

ويسعى المركز جاهداً لتوفير احتياجاته المادية والمعنوية عبر تنفيذ برامجه الآتية:

١. تقديم الاستشارات الفنية المتعلقة بالبحوث العلمية والتدريب الفني ورسم سياسات مدارس القرآن الكريم وتطوير إدارة المدارس القرآنية التقليدية وكل ما له علاقة بذلك.

٢. تعزيز الشراكة الاستراتيجية وربط العلاقة مع الجهات الرسمية كالحكومات الولائية، والمؤسسات والمراكز المماثلة داخل البلاد وخارجها.

٣. يقوم المركز بتنفيذ هذه السياسات والأنشطة والبرامج وفق أهدافه وصولا إلى الرؤى والغاية التي رسمها لنفسه لصالح التعليم القرآني وحفاظه.

٤. يتقبل المركز أي دعم مادي أو معنوي أو أدبي من أي جهة كانت بشرط ألا يخالف ذلك الشريعة الاسلامية ولوائح الجامعة وقوانين الدولة النيجيرية.

وفي الختام يأمل المركز أن يتحقق محور الأنشطة الذي يتركز على البحث والتلقي العلمي، والتوثيق، والنشر، وتنمية المناهج التعليمية.

بعض إنجازات المركز:

أقام المركز منذ تأسيسه مؤتمرات دولية ووطنية وورشات عمل عديدة، منها:

١. مؤتمر وطني حول موقف الدراسات القرآنية قبل وبعد الاستعمار، قدم فيه ما لا يقل عن خمس وأربعين ورقة.

٢. مؤتمر دولي حول حرية الرأي والتعبير في القرآن الكريم، قدم فيه أكثر من أربعين ورقة.

٣. مؤتمر دولي تشريفا للمرحوم الشيخ إسحاق رابع خادم القرآن.

٤. ورشة عمل للقراء المحليين.[١٤]

كما أن المركز أجرى دروسا لمدة أسابيع للحفاظ المحليين نالوا بعد إكمالها شهادات.

بعض آمال المركز:

لهـذا المركـز آمـال كثيـرة تسـعى إلى تحسـين موقـف الدراسـات القرآنيـة والحفـاظ في المجتمع الكنوي خاصا، والمجتمع النيجيري بصفة عام، منها:

١. تقريـب الحفـاظ والقـراء المحليـين إلى الحكومـات المحليـة والولائيـة والفدراليـة بحيـث تعتـرف هـذه الحكومـات بهـم، ويـوفر لهـم فرصـة العمـل في مرافـق الحكومات المناسبة لهم.

٢. يأمـل المركـز أن يكـون همـزة وصـل بـين الحكومـات والمـدارس القرآنيـة المحليـة في برنامج Tsangaya Programe.

الخاتمة:

هـذا، يتبـين مـن خـلال هـذا العـرض السـريع أنـه لـم تـزل الدراسـات الإسـلامية هي المنبـع الروحـاني الوحيـد بـين الأمـة الإسـلامية النيجيريـة، فهـو همهـا الشـاغل عبر القـرون منـذ أن وطـيء الإسـلام هـذه الأراضـي إلـي يومنـا الحاضـر، وبمجـيء الإسـتعمار ورغـم محاولاتـه الفاشـلة واخـتلاق العقبـات المختلفـة بغيـة الهجـوم علي الدراسـات القرآنيـة واخـتلاق المشـاكل لهـا ولـم يكـن ذلـك ردعـا للشـعب للإسـلامي النيجيـري الأبـيّ في التخلـف عـن هـذه الظـاهرة التي ورثهـا كـابرا عـن كـابر. وبالمسـاهامات مـن الجهـات الحكوميـة وغيرهـا لا سـيما جهـود الخليفـة الراحـل الشـيخ إسـحاق رابـع في بسـط العنايـات واكتنافهـا لحفظـة القـرآن الكـريم وعلـي رأس ذلـك كلـه تبرعـه ببنـاء مركـز الدراسـات القرآنيـة في جامعـة بـايرو بكـانو نيجيريـا فـإن ذلـك ممـا يسـاعد المركـز في رفـع الهمم عالية وحفظ الأمة يالحفظ القرآني.

قائمة الهوامش المراجع

١- Smith A. (1971), 'The Early States of the Central Sudan', in Ajayi F. A and Crawder M, '*History of West Africa',* Volume 1, London.

٢- انظر كتاب تاريخ الأبرار لموسي حسين مدابو , سكالي لوكالة المطبوعات كنو نيجيريا ص ٨.

٣- البربر جبل في المغرب يسمى ساكنو شعبه به البرابرة البربرة

٤- [1]B.G. Martins (1961), Kanem-Borno and Fezzan, notes on the political history of a Trade Route" JAH, Vol. X number I (pp15-27).

٥- [1]Abul-Nasr, J.M. (1975), A History of the Maghreb, Cambridge, London, 2nd edition, pp70-72

٦- [1]Trimingham. J.S. (1974), A History of Islam in West Africa, HIWA, Oxford University Press, London, P115 – 116

٧- [1] Abubakar Mustapha, The Contriubtion of Sayfawa Dynasty to the Development of Islamr Mustapha

٨- [1] Ibid

٩- [1]Munir M. K. (1992) 'Learning in Katsina State from colonial conquest to Date (1903-1992)'. Unpublished paper presented during an International Seminar on the History of Learning in Katsina (1992) p.12.

١٠- [1] Musa, Shehu Sheka , The Development of Islamiyyah Schools in Kumbotso Local Government unpublished MDS Thesis History Department, Bayero University, Kano. 2002 p.24.

١١- [1] Bashir S. Galadanchi, **Reforms for the Promotion and Development of Tsangaya Schools in the Context of the Nigerian Educational System.**National Sensitization Workshop on Quranic Education, organized by Bayero University, Oct. 2004

١٢- [1] Sani N. A Survey of Problems Facing Teaching Islamic Studies in Primary Schools of Gwale Local Government unpublished PGDE project, Federal College of Education, Kano, 2008. P. 21

١٣- [1] http://www.kanostate.net/culture.html retrieved on 07/05/ 2019 at 12:14 pm

١٤- مقابلة مع الأستاذ المساعد عثمان ثاني عباس نائب مدير مركز الدراسلت القرآنية، جامعة بايرو، بتاريخ ٢٠٢٢/٠٣/٠١.

- Smith A., 'The Early States of the Central Sudan', in Ajayi F. A and Crowder M, '*History of West Africa',* 1971,Volume 1, London.
- انظر كتاب تاريخ الأبرار لموسي حسين مدابو، سكالي لوكالة المطبوعات كنو نيجيريا
- B.G. Martins Kanem-Borno and Fezzan, notes on the political history of a Trade Route" JAH, 1961,Vol. 5, No. I

- Abul-Nasr, J.M., A History of the Maghreb, Cambridge, London, 1975, 2nd edition,
- Trimingham. J.S, A History of Islam in West Africa, HIWA, Oxford University Press, 1974, London,
- Abu-Bakr Mustapha, The Contribution of Sayfawa to the Development of Islam, Unpublished PhD Thesis submitted to Dept. of Islamic Studies, Bayero University, Kano
- Munir M. K. 'Learning in Katsina State from Colonial Conquest to Date (1903-1992)'. Paper presented during an International Seminar on the History of Learning in Katsina, 1992.
- Bashir S. Galadanchi, Reforms for the Promotion and Development of Tsangaya Schools in the Context of the Nigerian Educational System.National Sensitization Workshop on Quranic Education, organized by Bayero University, Oct. 2004.
- Musa Shehu Sheka , The Development of Islamiyyah Schools in Kumbotso Local Government, unpublished MDS Thesis, History Department, Bayero University, Kano. 2002.
- http://www.kanostate.net/culture.html retrieved on 07/05/ 2019 at 12:14 pm.

تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية وآدابها

آدم محمد محمد

adammuhammadmuhammadrrw@gmail.com

٠٧٠٨٢٨٠٠١٩٥,- ٠٨١٣٦٨٣٠٩٩٢

و

عمر جبريل علي

٠٨٠٦٥٦٨٧٦٠١ jibrilumar11@gmail.com

طالبان للدكتوراه بجامعة ولاية نصراوا –كيفي،

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعله عوجا؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، وبعد:

فإن من أسباب خلود اللغة العربية الاسلام، نزول القرآن الكريم بها، تحتوي هذه المقالة على النقاط التالية: أفضلية لغة قريش على غيرها، تهذيب اللغة الأدبية، توسعة اللغة العربية إلى استخدام مصطلحات دينية جديدة، تأثير القرآن في فنون الأدب العربي، انتشار اللغة العربية، ترقية فن الخطابة والكتابة العربية ثم الخاتمة والهوامش.

أفضلية لغة قريش على غيرها:

نزل القرآن العظيم بلغة قريش فكان ذلك سببا لتثبيت سلطانها نهائيا، إذ أقبل العرب على دراسة القرآن والسنة فتأثرت ألسنتهم بطوابع هذه اللغة[١]. ومن ذلك شيوع اللغة القرشية، ثم توحيد لغات العرب المتمثل في استخدامهم للغة قريش كما اندماجت سائر اللهجات العربية فيها، وبعض هذه الأسباب يرجع إلى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق الحج وحكومة قريش، وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم وظهور ذلك الداعي العظيم منهم، وانتشار دينه وسلطانه على أيدهم[٢]. ولقد جمع القرآن الكريم علي لهجة قريش، وحقا كانت هذه اللهجات تسود القبائل الشمالية في الجاهلية. وغير أن هذه السيادة لم تكن تامة، فقد كان الشعراء هم الذين يستخدمونها غالبا، أما قبائلهم فكانت تستخدم لهجاتها التي تختلف عن اللهجة القرشية قليلا أو كثيرا.حسب قربها من مكة أو بعدها، فعمل القرآن على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكمال السيادة للهجة القرشية، إذ كان العرب يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وأخذت هذه اللهجة تعم بين القبائل الجنوبية متغلغلة والأنحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحمرية. ولما تمت فتوحات الأمصار والمدن أخذت لهجة القرشية القرآنية تسود في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، إذ كانت تلاوة القرآن فرضا مكتوبا على كل مسلم، ولقد حث الإسلام على حفظه وترتيله، ويقول عز شأنه: ﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾[٣]، كما

قال أيضا: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾[٤] وبذلك تحول المسلمون في جمهورهم إلى حفظة القرآن، يتلوه كبيرهم وصغيرهم حتى سكنوا منهم الصحاري البعيدة ورءوس الجبال، مما جعلهم ينطبعون بطوابعه اللغوية[٥].

تهذيب اللغة الأدبية:

كان لشيوع التعابير القرآنية والسنة النبوية أثر كبير في تهذيب اللغة الأدبية، إذ تأثر الخطباء والشعراء بألفاظها، فرقت مشاعرهم ورهفت مذاقهم، فهجروا الألفاظ الوحشية، وراجت على ألسنتهم مصطلاحاتها، مثل:القرآن، الإسلام، السنة، الوضوء، الصلاة، الزكاة، الكفر، الإيمان، الفسوق، الإمام، الخليفة، السلام، إلي غير ذلك من الكلمات التي اكتسبها الإسلام معاني لم تكن معروفة من قبل[٦]. وكذلك هذب اللغة من الحوشية ومن اللفظ الغريب، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة أسلوبا جزلا، له رونق وطلاوة، مع وضوح القصد والوصول إلى الغرض من أقرب مسالكه. وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول، فاللفظ على قدر المعنى، وكأنما رسم له رسما، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب، بل يقرب منها حتى يلمس الشغاق. ومما لا شك فيه أن القرآن هو الذي ابتدع هذا الأسلوب المحكم، بل هذا الأسلوب السهل الممتنع الذي تلتذ الآذان حين تستمتع إليه، والأفواه حين تنطق به، والقلوب حين تصغى إليه، هذا الأسلوب الذي يميز عربيتنا، والذي استطاع أن يفتح القلوب حين فتح العرب الأمصار فإذا أهلها مشدوهون وإذا هم يهجرون لغاتهم المختلفة إلى لغته الصافية. واقرأ في قوارعه حين يتحدث عن البعث والحساب والعذاب وفي ملاطفاته حين يتحدث عن الرحمة والمغفرة أو حين يتحدث إلى رسوله فإنك ستجد الأسلوب دائما مطردا في جودة الأفهام وروعته مع سهولة اللفظ ومتانته وسلامته من التكلف، وانظر إلى قوله تعالى يتوعد المشركين وما ينتظرهم يوم يبعثون: ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه الأخرى فإذا هم قيام ينظرون. وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون. ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون.وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم أيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا، قالو بلى، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين**[٧]﴾، وقارن بين ذلك وبين ملاطفته جل وعز لرسوله في سورة الضحى: ﴿**والضحى، والليل إذا سجى، ما ود عك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ألم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلا فأغنى، فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث**[٨]﴾. فلن تجد هنا ولا هناك كلمة متوعرة ولا لفظا

ضعيفا، إنما تجد روعة الأسلوب دائما وجزالته وعذوبته ونصاعته، مع دقة العبارات واستيفائها لمعانيها، ومع الألفاظ المستحسنة في الآذان وعلى الأفواه، الألفاظ التي تغذي العقول برحيقها الصافي وتشفى القلوب والنفوس[٩].

توسعة الأفكار بعد انتشار اللغة العربية

توسعت أفكار العرب بملاقات مصادر ثقافية تفجرت من ينابيع القرآن والسنة، فلم يجد مكتفيا بما مارسه قبل من المديح، والهجاء، والفخر، ولرثاء، وألوان الحكمة التجريبية، إذ وجد نفسه أمام علوم جديدة من العقائد والأحكام، والفقه الذي يتناول الدنيا والآخرة وما إلى ذلك من شئون السياسية، والبحوث الإستدلالية التي حث القرآن الكريم عليها أصحاب العقول، فما لبث إلا قليلا حتى برزت أثارها جلية في أقوال الشعراء والخطباء والعلماء. وكذلك انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتحوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها، واستيطانهم لها واختلاطهم بأهلها، بدأت العربية تنتشر في الأقطار التي ضمها الفاتحون إلى الدولة الإسلامية، وكثر الدارسون لها من فرس وروم وهنود وأفاقة، حتى كان منهم الشعراء والأدباء وصفوة من الفقهاء وعلماء اللغة.[١٠]

تأثير القرآن في فنون الأدب

كان القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم، إذ لم يتح الأمة من الأمم كتاب مثله لا دين ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب، وسواء حين يتحدث عن عبادة الله الواحد الأحد وعظمته وجلاله، أو عن خلقه السموات والأرض، أو عن البعث والنشور أو حين يشرع للناس حياتهم ويقيمها علي نهج سديد يحقق لهم السعادة في الدارين: الأولى والآخرة[١١]. ولقد نزل القرآن على رسول الله ﷺ في صورة أدبية معجزة برز الوجه الفكري لهذ الدين الجديد، فهو يجمع مثله وقيمه وتعاليمه في أسلوب رائع وتعبير أخاذ وتصوير معجز تحدى به الإنس والجن، وكان مفخرة للعرب في لغتهم وأدبهم[١٢].

تأثير القرآن في اللغة والأدب

حفظ القرآن الكريم للغة العربية من الضياء والإندثار كغيرها من اللغات الأخرى التي تفرقة واختلفت بمرور الوقت، ومن ذلك مثلا:

دور القوة الدافعة للغة العربية حول اللغة من لغة محلية إلى إنسانية وذلك عن طريق الموجات البشرية التي خرجت من الجزيرة العربية إلي البلاد المجاوره داعيه للإسلام حامله معها قرائنها وعقائدها وأخلاقها وبقيت معلقة بموطنها الأصلي مادي ومعنوي وهو مادي سكان البلاد الأصليين إلى الإسلام واعتنائهم لما رواه من أخلاق المسلمين وعدالتهم ولما أسلموا كان عليهم أن يؤدوا الصلاة وهي عمود الدين، والصلاة لا تكون إلا بقراءة الفاتحة على الأقل فأدي ذلك إلى تعلمهم اللغة العربية كما أن اعتناقهم لهذا الدين وقبولهم به يعني إلتزامهم

بأخلاقه ومبادئه وهذا دعاهم إلى ضرورة التفقه بالدين ومعرفه أحكامه إلى قراءه القرآن لنيل الأجر والثواب على قراءته، كما ذكر رسول الله ﷺ، كل هذا دعا المسلمين من غير العرب إلى تعلم العربية فقط، بل أتقنوها فألفوا فيها المؤلفات التي ما تزال من أمهات المصادر العربية حتى يومنا هذا، كالكتاب لسيبويه، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني[١٣].

وكذلك حول العربية إلى لغة ذات دين سماوي باهر، وبذلك أحل فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها، وعادة يقف مؤرخوا الأدب عند الفاظ ابتدأها ابتداء مثل: الفرقان، والكفر، والقيامة، والمحشر، والحساب، والجنة، والنار، والإيمان، والإشراك، والإسلام، والنفاق، والصوم، والصلاة، والزكاة، والتيمم، والركوع، والسجود، وغير ذلك من كلمات الدين الحنيف، ولكن من الحق أن المسألة لم تكن مسألة ألفاظ فحسب، إنما كانت أيضا مسألة دين جديد.

أنه هذب اللغة من الحوشية ومن اللفظ الغريب، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة، ويكفي أن تعود إلى أشعار المعلقات، مثل معلقة لبيد أو إلى شعر قبيلة مثل هذيل وديوانها المطبوع لترى كيف أنه حقا إختط أسلوبا جزلا، له رونق وطلاوة، مع وضوح القصد والوصول إلى الفرض من أقرب مسالكه. وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول، فاللفظ على قدر المعنى، وكأنما رسم له رسما، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولاعن القلوب، بل يقرب منها حتى يلمس الشفاف.

وهذا الأسلوب البالغ في الروعة الذي ليس له سابقة ولاحقة في العربية هو الذي أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره، فعلي هديه أخذ الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية مهتدين بديباجته الكريمة وحسن مخارج الحروف فيه، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها، وبحيث تجلى عن مغزاها، مع الرصانة والحلاوة. وكان العرب - ولا يزالون- يتحافظونه، فهو معجمهم اللغوي والأدبي الذي ساروا علي هذه، مهما اختلفت أقطارهم أو تباعدت أمصارهم وأعصارهم[١٤].

ترقية فن الخطابة والكتابة الفنية

بلغ فن الخطابة القمة والرقى، فبعد أن كانت الخطبة في الغالب مجموعة من الأمثال والحكم لإرتياط بينهما الأوحدة الإطار أصبح للخطبة منهاجها الفني، فابدأ بالحمدلة والإستغفار والشهادتين، ثم الانتقال إلى الموضوع المراد، وأخيرا إنهاء النص بالخاتمة المناسبة، وكثر الاقتباس من القرآن والحديث،حتى بات من عيوب الخطب إنحرافها عن هذا المنهاج، والخطبة التي لا يقدم لها بالحمدلة تسمى البتراء، وإذا خلت من القرآن والحديث فهي شوهاء[١٥]. والخطبة كما عرفها السديس: "كلام منتخب مختار، متصف بحسن الرصف،

وجودة السبك، وقوة التأثير، لدعوة الناس إلى الخير، وثنيهم عن ضده، وفق أحكام الإسلام ومقاصده، لتحقيق سعادتهم في الدنيا والأخرة"[١٦]. أما الكتابة الفنية فهي من معطيات الإسلام الذي جاء به القرآن، وقد بدأت ديوانه حكومية، كنتيجة لا بد منها في التنظيم السياسي الذي اقتضى أن يكون للدولة دواوينها المختلفة، وبخاصة بعد تعريب هذه الدواوين، وبتحويل سجلاتها ولغتها إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان، ولكن سرعان ما تطورت لغة الرسائل المتبادلة بين الخلفاء والعمال، فإذا هي تنتقل خطوة جديد فيكون إلى جانب الرسائل الرسمية المقصورة على شئون الدولة رسائل حرة تتناول مختلف شئون الناس والحياة، وقد سميت هذه الرسائل بالإخوانية، لأنها وسيلة لتبادل الأفكار والأخبار بين الإخوان والأصدقاء، وهذا النوع من التراسل الحر هو الذي مهد السبيل لفن التأليف، والكتابة القصصية والعلمية فيما بعد، ويعود الفضل في ابتداع هذا الفن إلى عبد الحميد بن يحي الكاتب وزير مروان آخر خلفاء الأموين، الذي من أجل ذلك قيل فيه."بدأت الكتابة بعبد الحميد"[١٧].

لما كان مبدأ كل إنقلاب عظيم في أي أمة، إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية، كانت تلك الدعوة تستدعى ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها ألسنة من أعدائها وخصومها لإدحادها والصد عنها، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات،كان ظهور الإسلام من أهم الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلها وإثارت الخطابة من مكمنها فوق ما كانت عليه في عهد جاهليتها، فكان العمال الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد ﷺ باديء أمره غير تبليغ القرآن واردا من طريق الخطابة، ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور دوات البال، لذلك كان دعاة النبي عليه الصلاة والسلام ورسله إلى الملوك وأمر جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالهم كلهم خطباء مصاقع ولسنا مقاولة، وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذب ينهض بأعباء الخطابة ولاسيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب، بعبارات تفهمها الخاصة والعامة، وكان لهم من القرآن أدلته وحججه والاقتباس منه مدد أيما مدد، ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة على، وشاميين بزعامة معاوية، ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبة يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكب الإسلام بمثلها، ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم.

ولا يشق غبارهم وعلى راس العراقيين شيخ الخطباء الإمام علي بن أبي طالب وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبي سفيان، ولم يعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان. و في هذا العصر وصلت الخطبة إلى أرقى ما وصلت إليه من اللسان العربي، حتي ممن يعد عليهم اللحن، ولم تسعد العربية بكثرة خطباء

ووفرة خطب مثل سعدت به في هذا الصدر الأول، إذ كان القوم ورؤساهم عربا خلصا يسمعون القول فيتبعون أحسنه[١٨].

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة القصيرة نجد أن البحث كان موزعا على ست نقاط وخاتمة حيث عرض الباحث في النقطة الأولى عن أفضلية لغة قريش والنقطة الثانية تناولت تهذيب اللغة الأدبية كما تناولت النقطة الثالثة عن توسعت الفكر العربي بعد انتشار اللغة العربية والنقطة الرابعة تحدثت عن تأثير القرآن في فنون الأدب وكذلك تناولت النقطة الخامسة عن انتشار اللغة العربية وأخيرا تحدث النقطة السادسة عن ترقية فن الخطابة والكتابة العربية.

الهوامش والمراجع

١- مفتي، شفيق أحمد، (٢٠٠٧): **دراسة أدبية في نصوص من القرآن الكريم**، مذكرة للطلاب السنة الثالثة، قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، ص ١٧.

٢- الهاشمي، السيد أحمد، (٢٠١٣م): **جواهر الأدب**، مؤسسةالمختار، القاهرة،ص ٥١٥.

٣- سورة المزمل الآية: ٤

٤- سورة طه الآية: ١٢٤-١٢٦.

٥- شوقي، ضيف، (٢٠٠٨م): **تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي**، الجزء الثاني، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ص ٣١.

٦- مفتي، (٢٠٠٧): **دراسة أدبية في نصوص مختارة من القرآن**، ص ١٧.

٧- سورة الزمر الآية: ٦٨-٧٢.

٨- سورة الضحى الآية: ١-١١.

٩- شوقي، ضيف، المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤.

١٠- مفتي، المرجع السابق، ص ١٧-١٨

١١- شوقي، المرجع السابق، ص٣٠.

١٢- قاسم، إبراهيم محمد، (د.ت): **الأدب في صدرالإسلام**، د.ط، القاهرة، ص ٣٦.

١٣- شبكة الفصيح، **أثرالقرآن الكريم في اللغة العربية**، ٢٠٠٩.

١٤- شوقي، المرجع السابق، ص ٣١-٣٣.

١٥- مفتي، المرجع السابق، ص ١٩.

١٦- السديس، عبد الرحمن بن عبد العزيز، (٢٠٠٢م): **كوكب الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة**، مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكة المكرمة،ص ٨-٩.

١٧- مفتي، المرجع السابق، ص ١٩.

١٨- الهاشمي، المرجع السابق، ص ٥٢٠-٥٢١.

إعادة مجد مدينة إيبيى صاحب القران (*ألا القران*) بتنظيم المدارس القرانية

د. معروف الدين أديني شئث
قسم اللغة العربية، كلية التربية الإبتدائية لمئكيئل أوتيضالا,(مكبيد) نافورجا،
ب. م. ب. ١٠٢٨ إيبيى، ولاية لاغوس، نيجيريا
٠٨١٣٨٣٢٢٨٨٧ & ٠٨٠٢٣٨٧٨٨٧١
shittuma@mocped.edu.ng & maruf_shittu@yahoo.co.uk

المقدمة:

أنزل الله القران علاجا وحلا للأمراض والمشكلات، وكذا تسهيلا للصعوبات وترقيا فى المجتمع. وهذا يصدق قوله تعالى: " مافرطنا فى الكتاب من شيء". ومن ذالك فهم بلاغة معنى قوله تعالى "لو أنزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من حشية الله..."، ومع هذه الصلحات الثابتة، والإعجاز اللامعة الملحوظة من الآية القرآنية الكريمة، والحياة الرغيدة التى تتلمع فى حيات قراء القرآن والذين يتمسكون بالقرآن من أبناء مدينة أيبيى؛ يمكن أن نقرر أن الفخر والتبجيل الذى اشتهر به أبناء مدينة أيبيى، "أبناء أيبيى أصحاب القرآ ن"، نتيجة إلتجاء الأكابر والأولياء من السابقين من أبناء المدينة إلى القران؛ ولكن نجد ممن يلجأ بالقران من أبناْء مدينة أيبيى ولم يظهر هذا الفخر والتبجيل فيه. لذا تبحث هذه الورقة أسباب هذا التغيير المرموقة فى لقب أبناء مدينة أيبيى. قام الباحث بالمقابلة الشفوية مع إثنى عشر نفر من الأكادميين، ومن كبار السن فى المدينة الذين لهم الخبرة الصارمة بالأمس والحاضر. إلتجأ الباحث إلى ثلاثة أسئلة رئيسية، وهي: لماذا اشتهر أبناء مدينة أيبيى باللقب "أبناء أيبيى أصحاب القآان؟، أذكر بعض الحوادث الدالة إلى هذا اللقب، وما الأسباب التى تغيرت ذالك اللقب؟ ثم كيف يمكن إعادة المجد؟. ونتيجة البحث تقر أن علماء هذا العصر فى المدينة لم يوفوا الحقوقَ، ولم يعملوا على منوال السالبقين، ولم يساعد الأثرياءُ العلماءَ، ولم يحب بعضُ العلماء بعضًا، وإذا نريد إثبات الحديث بالأمس، على كل شعب من أبناء المدينة أن يعاملوا مع الغير بتأسيس المدارس القرآنية بامتزاج المهارات التوظيفية فى ضمن منهج المدرسة حتى يسهل لخريجها المشاركة فى المجتمع ويكون لهم النصيب المتوافر فى التقدمات العالمية. تدعو هذه الورقة إلى إعادة مجد المدينة بتنظيم المدارس القرآنية فيها، ولتكون هذه المدارس تزويدا واستعدادا للكليات والجامعات التى تدرس فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

نبذة من الموقع الجغرافي لمدينة أيبي (*اَلاَ القران*)

تقع المدينة على خط العرض ٤٠ شرقا وخطّ الإستواء ٦٣١ وتقدّر المسافات بين مدينة أيبي ولاغوس بحوالى ٨٩ كلم[1]. ويذهب آدم الإلوري إلى أنّ مدينة أيبي إحدى البلاد الّتي وقعت تحت نفوذ لاغوس،[2] وهي ما بين "لاغوس" و "إِكَوْرَوْدُو"Ikorodu وإِجَيْبُو أَوْدَيْ Ijubu Ode .وتحد بمدينة أَوْدَوْمَالاَ Odomola وإِيرَايَىْ Iraye شمالا, وبالنهر إِيْيِنْ-أَوْسَا Eyin-osa جنوبا, وبمدينة طَيْمُو Temu غربا, وبمدينة إِمَوْبِي Imobi شرقا.

تاريخ مدينة أيبي (أَلاَ الُقُرْآن) وسكانها

تعد مدينة إيبى أكبر مدن ولاية لاغوس إقليميا, تعرف منذ القرن الثالث عشر الميلادى[3]. اتخذت المدينة اسمها من أحوال الفلاح المسمى بأُوركَا Uraka الذى اعترف المؤرخون بأنه الماشى الأول على أرض المدينة, كما أخبر بذلك السيد أَوْلاَ أَفَوْسَيْ Ola Avoseh(١٩٦٠)[4]. وقيل فى الأخبار أن أوركا Uraka نزل من مدينة إِيلَيْ إِيفَىْIle Ife يبحث عن المسكن والمقر الثابت، توجه إلى مدينة إِسَيْيِنْ Iseyin مع أدواته الفلاحيه ثم إلى مدينة إجيبوا أويدى Ijebu Ode– ومن شريكه وقتئذ هو الزعيم أَوْلُووَا .Oluwa. وكما كان فى عادة السابقين من زعماء يوربا إذا أرادوا الإستقرار فى مكان يبحثون من الكهان, ولذا بحث أوركا Uraka من كاهن ليستهديه عن الاستقرار. وأجابه الكاهن فى إرشاداته بأن يبحث استقراره إلى ما بعد ست ينابيع أو مجرى ماء، والينابيع: أَوْوَا ,Owa يَيْمَوْجِ Yemoji أَوْدَوْ_لِيْوُو Odo-Lewu أوإِيْمُورَنْ ,Imuren أَوْبَيْدَالَى Ogbe-Idale أَيْرَيْدَو Eredo وبَوْكَا Poka. وقف أوركا Uraka تحت ظل شجر بَوْبَوْكَا Popoka Tree ومعه فى هذا المسافر زوجته, ومن حين سكن معه بعض الفلاح منهم مَوْدُ Modu الذى أتى من أَوْمُ [5]Omu. وكان من عادات أوركا Uraka أن يذهب دائما إلى غابة إيبي حيث كثرت فيها الدود المسمى بإِيْيَىْ. والجدير بالذكر أن اوركا Uraka رجع من الغابة يوما ولم يفز فى فلاحه ذاك اليوم وسألته الزوجة لما لم ترجع بالمصيد؟ وأجابها بقوله "ذَهَبْتُ إلى غابة إيبيى" حيث كثرت الدود إيبيى وَأَمْنَعَتْنِى أن أجد أي حيوان مهما قَلَّ. وكلما لم يفز من هذه الغابة, شكا إلى كثرة الدود. وصار هذا الجواب لكل أناس, إن سئل عن نتائجه الفلاحية. ومن حين رأى أوركا Uraka التخلص من هذه الدود بأنواعها. واتخذ أوركا إيبي Epe مسكنا، واتبع أثره إلى المدينة ثلاث رجال المعروفون بأَبَاجَا Agbaja أَوْفُوتَنْ Ofutan لُوبَاسَا Lugbasa كلهم أَتَوْا من أُوبُوUbu يبحثون عن الإستقرار، وأتى سلطان أَلاَرَا Oba-Alara أيضا من إِيلِيْ إِيفَيْ، وكما اتبعت هذا الأثر إمرأة قوية تسمى بأَلاَرَوْAlaro ثم رَيْمَابَيْ Remope, وأَوْغُنْمَادَىْ Ogunmode, وأَوْلَوْجَا Oloja من مدينة إجيبوا أودى Ijebu-Ode سكن هؤلاء فى المدينة مع أوركا Uraka وكانت لهجتهم إِجِيْبُوا [6]Ijebu وتوجد فى مدينة إيبى اليوم القبيلتان العظيمتان تعرف بإجيبو Ijebu وأَيْكَوْا Eko. وأفادنا التاريخ أن نزول الزعيم الفاضل كَوْسَوْقَوْ Kosoko عام ١٨٥١م مع أصحابه الذين بلغ عددهم ألف وخمسمائه نفرا من مدينة لاغوس فتح

لحياة الحضارة والدين لمدينة إيبى العزيزة. إذ يعتبر من أصحابه علماء وزعماء الدين الإسلامى ورؤساء الكنائس، ورجال الكهان ثم الذين تعلموا من الغرب.[7] وفى مرور الزعيم كوسوقو الفاضل من لاغوس توقف ب بَادَوْرَىْ Badore وإِبَوْدُوا Igbodu ووصل أخيرا مدينة إيبى, ولما طلع الزعيم كوسوقوا ظنت قيبلة إجيوا بأنه من مدينة مَاكُنْ-أَوْمِي Makun-omi (وكان بينهم الخصام) وعندما تيقنوا أنه الزعيم كوسوقوا, لم يرضوا بدخوله. وتضرع كوسوقوا إليهم بأنه لم يأت للحرب ,بل للملجإ عما حدث بينه وأخيه الزعيم أَكِنْطَوْيَىْ Akintoye. أرسلوه إلى ربهم الصغير الملك أَوُجَالَىْ فَابَوْيَىْ أَنِكُولَايَوْ Oba Fagboye Anikulayo Awujale الذى سامحه بعد ماقدم كوسوقوا بعض الهداية. وقد قيل أن الزعيم أوجالى Awujale سامحه وأصحابه بالسكن فى الدينة لأنه خال له (يعنى القرابة النسبية من جهة الأم). ولهذا يدعى أصحاب الزعيم كوسوقو الفاضل فبيلة ايكو Eko الساكن فى مدينة ايبى.[7]

الإسلام والدراسة العربية بمدينة أيبي والملك كوسوقو

إنّ الإشتباك السّياسي الّذى حدث بين "أَكِنْطَوْيَىْ" و "كَوْسَوْقوْ" في مدينة لاغوس يعتبر منفذا أساسيّا لتنوير واستزياد الإسلام واللغة العربية في مدينة أيبي. ويقال أنّه لما اندلعت نار العداوة بين الأخوين الشّقيقين (يعني أَكِنْطَوْيَىْ" و "كَوْسَوْكقوْ) على الكرسيّ الملكي حيث طالب كوسوقو أخاه الأكبر أن يتنزّل عن السّيادة له. من جرّاء هذا سوء التفاهم خصوصا بين أكنطوبي و كوسوقو، حدثت الإشتباكات الّتي تولّد منها ما يمكن أن تسمّى بالحروب الدّاخليّة منها ما تعرف بحرب "أَيْوَيَ كَوْكَوْ" (EwekokoWar) وحرب الأمواج (The Booming Or Boiling) بين ٣١-٢٦ في شهر ديسمبر ١٨٥١م وحرب الماء المليح (Salt Water War) في العام ١٨٤٥م (R. Smith, 1973 andAderibigbe. 1975[8])[8] ولأجل مهارات كوسوقو في الحرب، كان له اليد العليا في كلّ المواجهات، واستطاع أن يتولّى على زمام الأمر كالملك على مدينة لاغوس بعد أن طرد أخاه أكنطوبي في العام ١٨٤٥م؛ إلاّ أنّ الحكومة البرطانيّة لم تعترف بولايته. بعد سنوات قليلة أحسّ أكنطوبي بأن يسترجع على الكرسيّ الملكي الّذى أُخِذَ منه، فطلب المعاونة العسكريّة لدى الحكومة البرطانيّة، ووجد الموافقة بعد أن أبرم المعاهدة على إيقاف بيع وشراء العبيد. وبعد ذلك الاتفاق الموقّع بين الطّرفين، تمّ هجوم المدينة من قبل القوة البرطانيّة تنزّل عن الكرسيّ الملكي؛ فاستطاع أكنطوبي أن يسترجع الكرسيّ مرة ثانية بمساعدة القوة البرطانيّة عام ١٨٥١م. لما لم تجد المعاهدة الّتي أبرم أكنطوبي مع البرطانيّة قبولا لدى كَوْسَوْكقَوْ، خرج من مدينة لاغوس متّجها إلى ما يُعْرَفُ بمدينة أيبي. ولذلك يعتبر خروج كوسوكو من لاغوس إلى مدينة أيبي نقطة مهمة في تاريخ مدينة أيبي خصوصًا ما يتعلّق بالدّين الإسلاميّ والتّعليم العربيّ.[9]

خرج كوسوقو مع كبار جنوده الّذين يُقَدَّرُ عددهم بحوالى ١،٥٠٠ وذلك لإيجاد فرصة عدم مواجهة الحكومة البرطانيّة، ومعه في رحلته الشّخصيات الإسلاميّة البارزة والكرماء من أبناء

وأهل لاغوس والغير, منهم: إِيبَوْسُ (Iposu)، إِيَانْدَا (Iyanda)، أَوشَوْدِ (Oshodi)، بَلَوْغُنْ أَكِنْبَيْلُو (BalogunAkinpelu)، بَلَوْغُنْ أَبَاجَيْ (BalogunAgbaje)، دِيسُو كُوجَنْيَا (DisuKujenya)، أَجِيبَوْرِشَا (Ajiborisha)، أَيْتِي (Etti)، وأصغرهم في تلك الرّحلة هو إبراهيم أَيْدُو BuramohEdu. ويروى أنّه طلب أن يخرج معهم الأخ الكبير لإمام الجامع في لاغوس ليصلّى بالنّاس. ومن الأخبار الذي لاشك فيه أن يكون ذلك الرّجل من الشّماليّين المتواجدين حينذاك في لاغوس، رجع كَوْسَوْقوْ إلى لاغوس شهر سبتمبر ١٨٦٢ وترك أمة مسلمة في مدينة أيبي بقيادة الإمام "أَوُدُهُ" بل رجع معه قلة القليل من أتباعه، لأنّ المسلمين من بينهم فضلوا البقاء في المدينة. ولقد أنار الإسلام مدينة أيبي بنزول كوسوقو وأتباعه الّذين من بينهم العلماء والوعاظ، قال الإلورى (١٩٩٠): أنّه لما خرج كوسوقو من لاغوس كان بصحبته عدد من المسلمين من جنود المرتزقين، منها النُّفاويون والهوساويون... ومن بينهم عالم كشناوى اسمه "مالم أوده" وبنى المسجد في أَوْكَيْ بَلَوْغُنْ في أرض سكانها الأصليين وبمساعدتهم. وهو أول المسجد الجامع في المدينة في العام ١٨٦٣ وجعل يعظ النّاس في شهر رمضان بلغة "هوسا". وكان يقوم بالتّرجمة إلى لغة "يوربا" واحد من أتباعه[١٠].

ولقد أثبت بعض الكبراء بأن المدينة شمت راحية الإسلام قبل حضور الزعيم كوسوقو، وقيل: **أولاً**: أن هناك إمرأة مشركة تدعى بإِيَاشَنْغَوْ IyaOnisango غضبت على أخيها دادا Dada الذى زارها ولم يستأذنها قبل أن يقيم الصلاة واستسحرته فى تكبيرته الأولى، وأخيرا شاء المولى الكريم أن يستمر فى صلاته، وسمحت إِيَاشَنْغَوْا IyaOnisango له بإقامة الصلاة فى المكان الذى أسس فيه مسجد أَطِيْبَيْطَيْ Atepete اليوم.[١١]

ثانيًا: قيل: أن الكيل أَلَأُوسَا Bale Alausa قبل توليته على الكرسي الكيل وفق بالمساعدة من بعض جماعة من المسلمين فى لاغوس، حيث وفقه بالشهادة له فى المحكم؛ سرعان ما رجع من لاغوس أعلن إسلامه، وبني مسجده أمام بيته، ولكن علي صورة ضئيلة وضعيفة.[١٢]

وبنسبة أحوال العلماء وهيكل التّدريس فنقول أن تقسيم الإلورى لعلماء يوربا ينطبق تماما على مدينة أيبي، ولقد قسّم الإلورى العلماء إلى أربعة أقسام:[١٣]

القسم الأول: الوعاظ الدّعاة إلى الله.

القسم الثّاني: الأساتذة المدرسون الّذين يعلمون القرآن والعلوم في منازلهم.

القسم الثّالث: العباد والزّهاد أصحاب الأذكار والأوراد وملازمة الصّلاة على النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم).

القسم الرّابع: أصحاب الطّب الرّوحاني والطّب الجسماني.

فقد كان علماء مدينة إيبي إلى الأقسام الأربعة المذكورة أعلاه. فنرى منهم الوعاظ الّذين في طليعتهم "مالم أوده" Imam Audu، والشيخ خضر Imam Aliru, والشيخ أويسو ImamAwesu كما يوجد المدرسون الأكفاء في الدّراسات الإسلاميّة والتّعليم العربي، منهم الشيخ إيليشن Eleshin والشيخ يوسف أرا، والشيخ عبد المجيد أونيبن Onibon والشيخ محمد بشير بن شئث الملقب ب Senior Mallim, والشيخ نافع يوسف, والشّيخ محمد محسن بن لقمان إيدو، والشيخ عبد اللطيف أمونى، والشيخ يوشع أغنريغي، وشرذمة منهم زهّاد وعبّاد يلزمون الأذكار وعلى رأس هؤلاء الشّيخ الملقّب بـ"غَوْبَيْ دِينَسَا"، والصنف الأخير منهم تعلّموا الطب واتّخذوه حرفة لإفادة النّاس ودفع الضّرر عن المدينة من الهجوم العسكري البرطاني[١٤].

ولقد ساهمت عدّة عوامل في تطور الدّراسات الإسلاميّة والتّعليم العربي في مدينة أيبي، ونذكر أهمها على نحو ما يلي بدون التّفصيل:

١- التّسابق على تأسيس المساجد في كلّ أنحاء المدينة،

٢- تأسيس المراكز للتّعليم العربيّ، ومن هذه المراكز:

مركز التّعليم العربيّ للإمام أَلارُو

مركز التّعليم العربيّ للإمام أَوَيْسُو

مركز التّعليم العربيّ للإمام اَلاَنْتَكُنْ

مركز التّعليم العربيّ للإمام مَالَمْ أَوْدُه

مركز التعليم الإسلامى والعربي للشيخ عبد الرحمان الملقب بالتقوى الله أفضل[١٥]

ومن هذه المراكز تنوعت عدة مدارس إسلامية وعربية فى المدينة حتى اليوم. وتذكر أن هنالك الحركات الإسلاميّة غرستها تلك المراكز في أبناء المدينة، وقد تعلّم معظم الأبناء لدى هؤلاء العلماء كما خرجت المعظم إلى الخارج إستزادا للعلم.[١٦]

اسلوب البحث

تبع الباحث أسلوب المقابلة الذى كان نوعا من الدراسة النوعية من البحث (Qualitative Research) لاستخراج آراء بعض الأشخاص الذين لهم الخبر والعلم الوافى عن المدينة. إختار الباحث إثنى عشر رجلا. خمسة منهم الأكدميون الذين قد حصلوا على الدرجة الدكتوراه من أبناء المدبنة. وخمسة أيضا من المعلمين والمدرسين من أبناء المدينة، واثنان منهم من الزعماء والأثرياء وهم أيضا من أبناء المدينة وحصلا على المنصب الدينى فى المسجد الجامع، وللحصول على هذا الهدف تبع الباحث الخطوات التالية التى يجب على الباحث فى الدرسة النوعية أن يراعيها.

المقابلة المتعمقة (In-depth Interview)

وفي الدراسات النوعية ، تعتبر المقابلة البحثية طريقة شائعة لجمع البيانات، أخبرنا (Creswell2009) أن المقابلة هي طريقة استكشافية تستخدم للتحقيق في الظواهر في بيئاتها الطبيعية[١٧]. كمارأى (محمد يوسف ٢٠١٠) فى بعض بحثه, حيث قال: أن المقابلة البحثية هي شكل من أشكال المقابلة في اللقاءات الشخصية التي يسعى شخص ما للحصول على معلومات من البعض[١٨]. ولذلك، رأى (ص٣٦١:Fontana and Frey 1994) فى كتابه أنه "يمكن أيضًا القيام بذلك في مجموعة أو بشكل جماعي لاستكشاف الآراء من خلال مقابلة على أمر ما[١٩]. وفي هذا الصدد ، يهدف الباحث إلى استكشاف آراء بعض الأشخاص الذين لهم الخبر والعلم الوافى عن المدينة على ما يتعلق بسبب تسمية أبناء مدينة إيبيى صاحب القرآن (ألا القران) والسبب تأخرهم عن هذه التسمية. وهذا يتماشى مع الرأي (١٩٦ص:١٩٩٠ Patton) فى كتابته حيث قال: "يمكن للأشخاص أن يقوموا بمقابلتهم للحصول على معلومات حول ما لا يمكنهم ملاحظته ، مثل المشاعر والهدف أو النية وموقف الشخص الملاحظ وأنشطة الأشخاص في العالم والمعنى المرتبط بهذه الأنشطة"[٢٠]. كل هذه تحتاج إلى أن يسأل عنه. وبالإضافة إلى ذلك ، تعرف المقابلة عندما تسمح للأشخاص بالوصول إلى ما لا يعرفونه أوغير متأكدين من وجوده. استكشف الباحث رأي هؤلاء أصحاب المصلحة من خلال مقابلته معهم للحصول على معلومات متعمقة منه متبع لما ذكر,(Carolyn and Palena,٢٠٠٦) بأن المقابلة المتعمقة هي تقنية بحثية نوعية تتضمن إجراء مقابلة مكثفة مع عدد صغير من المشاركين لاستكشاف وجهات نظرهم حول هذه الظاهرة[٢١]. يتيح استخدام المقابلات المتعمقة الفرصة لإيجاد قدر أكبر من الفهم خلال جلسة المقابلة ، وهو يوضح مدى ارتباط أراء بعض الأشخاص الذين لهم الخبر والعلم الوافى عن المدينة بالنسبة إلى سبب تسمية أبناء مدينة إيبيى صاحب القران (ألا القران) والسبب تأخرهم عن هذه التسمية وكيف يعيدون مجد المدينة.

بدأ الباحث هذه العملية عن طريق الزيارة العينة بتقديم عنوان البحث وأهدافه للمشاركين، تأكد الباحث أن المشاركين فهموا أسئلة المقابلة وأجاب أي غموض من الأسئلة وأخذ رقم جوالهم ليمكن اتصال بهم وطلب يوما وموعدا للمقابلة.

كيفية المقابلة (Interview Protocol)

أجريت المقابلة مع إثنى عشر رجلا كما تقدم الذكر أعلاه. استمرت لمدة ٤٥ دقيقة مع كل مشارك بتقديم أسئلة المقابلة الاتية: لماذا اشتهر أبناء مدينة ايبى باللقب " أبناء أيبى أصحاب القران؟ واذكر بعض الحوادث الدالة إلى هذا اللقب؟, وما الأسباب التى تغيرت ذالك اللقب؟, وكيفية إعادة المجد إلى المدينة بتنظيم المدارس القرانية؟.

جمع البيانات (Data Collection)

تم جمع المقابلة النوعية من خلال استخدام مسجل الصوت MP3 ومسجل الفيديو، وتم تدوين الملاحظات حيثما تم نقله حرفيًا.

ترجمة البيانات النوعية (Translating Data)

كانت المقابلة باللغتي الإنجليزية واليورباوية، في هذا الصدد ترجم الباحث إلى اللغة العربية لفائدة المؤتمر، وقام الباحث أيضا بتطبيق الترميز للتحليل واتخاذ المواضيع والعنوان لكل التحليل.

فهم البيانات (Understanding Data)

تم إنتاج نسخة مكتوبة من النصوص الكاملة من خلال نسخ ردود المقابلة، ثم تم استخدام تحليل المحتوى الموضوعي لتصنيف البيانات التي تم إنشاؤها.

تحليل البيانات (Data Analysis)

تم نسخ البيانات التي تم جمعها حرفيًا وترتيبها في مواضيع أو عناوين فرعية ومواضيع أو عناوين رئيسية للتحليل.

نتيجة البحث Research Findings

إلتجأ الباحث إلى آراء المشاركين فى المقابلة نتيجة لهذا البحث، وفى السؤال الأول. لما ذا سمي باللقب إيبي الا القران الحوادث الدالة إلى هذا اللقب؟. وكان والجواب مركزة على العناوين أو المواضيع الاتية:

لإستعمالهم الأسرار القرانية، فهمهم للقران والحديث النبوى, تفوقهم على الأعداء عند القتال, فهمهم لقواعد الإسلام، وتعليمهم وتعلمهم مع علوم القران, استعمالهم لآية القران لإزالة المصيبة عن الناس. تأسيس المساجد فى جميع الشوارع، المسابقة فى تأسيس المدارس فى كل الشارع, المسابقة فى تعليم الأبناء العلوم القرانية، التفخر القرآنى بين كل بيت. وفيما يلى أقوالهم:

> عرف أبائنا بهذا الإسم أو اللقب كما ذكر
>
> عندما أتاهم أناس من الأقاصى والأدانى يلتجئون إليهم بما فى القران من القوات. ولقد قيل أن الأثرياء والأغنياء والرؤساء وسادات المعامل يأتون إلى مدينة إيبى عندما عرفوا ما فى القران من الأسرار...المشارك١.

يعرف الأكابر من العلماء يومئذ بما فى القران من السر هذا الذى عرف بهم الزعيم كوسوقو لذا استصحبهم بالذهاب معه فى الرحلة...(المشارك ٥.)

إيبيي ألا القران هذا اللقب والاسم الذى يليق بالأبناء حتى الآن مازال الاسم يثمر إلا على صورة ضئلة جدا, أفلا ترى أن العدد الكثير ممن حصلوا على درجة الدكتوراه فى اللغة العربية من أبناء ولاية لاغوس كانوا من إيبيى لأن هذا من كرامة الأجداد...المشارك ١

إنه من الحق أن هؤلاء الأجداد فهموا القران, حيث يملأ المساجد حينئذ بأناس يستمعون إلى الوعظ يدعون إلى دين الله بالحكمة ويحبهم الناس...المشارك٦

حينئذ يستعملون الأسرار القرآنية لإرهاب وقتال وقهر الأعداء وينفرون. عرفوا ما يدفن فى الجهة الأربعة فى المدينة ولا يأتيها الأعداء...المشارك ٢.

إن الأغنياء يومئذ يكرمون العلماء ويفضلونهم ويدعون لهم بالبركات ولا يتركون العلماء...المشارك ١٠

ركز الباحث السؤال الثانى "أذكر بعض الحوادث التغيرت هذا اللقب؟"على العناوين التالية:

إلتجاء الأبناء إلى التعليم الإنكليزي أكثر، ترك الأبناء الحقوق الواجبة بينهم. إلتجاء الأبناء إلى الدنيا كثير الأكثر، عدم إلتفات الأبناء إلى مجد أبائهم. ترك الأبناء تراث الإسلام الذى ألفوا فى البيت.

ولقد تأخر هذا الجيل عما ألفوا, ولم يستمروا على

على التعليم العربى, بل فضلوا التعليم الغربى. وكان

أبناء العلماء يومئذ مثقفين تماما بالثقافة الغرب. المشارك ١٢

كان الكثير الأكثر من أهل العلم فى هذا الزمان

ظالمين لأنفسهم. تركوا الواجبات ويسعون على حب الدنيا

لإرضاء واتباع هواهم.... المشارك٤

لو اشفت أو إلتفيت النظر إلى بيت كل من

العلماء الأمس أو الشوارع التى يتفاخرون

بالقرآن أمس لوجدت فيهم السياسى والدنيا.

بل أكثرهم تركوا تراث ومجد أجدادهم... المشارك ٣

حينئذ ويومئذ يتمتع تلاميذ بالحفلات الإسلامية

مثل مولد النبى (ﷺ) على شكل

العام ويشارك كل من الأغنياء فى الإحتفال...المشارك ٧

جارت المقابلة حول السؤال الثالث: كيف إعادة المجد إلى المدينة بتنظيم المدارس القرانية؟. وكان الجواب المحصول عليه على المواضيع الاتية:

الإتحاد والإنفاق فى التعليم والتعلم. الشغل بقراة القران. تأسيس المدارس القرانية الثقافية المعاصرية. إظهار السور والبشاشة للمعلمين واحترامهم. حث الطلاب على التعليم العربى والإسلامى. تغيير المنهج التقليدى إلى المنهج الحديثى. وفيما يلى أقوالهم:

وإذا نريد الزيادة على ما ألفينا عليه آبائنا من الأسرار

القرانية, يجب على الذين تثققوا بالثقافة العربية والإسلامية

تأسيس المدارس القرآنية مراعيا الثقافة الممتلئة أو ممتزجة

بالثقافة المعاصر... المشارك ٩

وعلى كل من المعلمين أن يحب بعضهم بعضا. وإنه يمكن

أن يكون هذا المؤسس باللإتحاد حيث يساعد علماء المدينة

غيره من العلماء, ويختارون الأفضل من المنهج... المشارك٨

يمكن لرؤساء المدينة أن يعاملوا مع العلماء في تأسيس المدارس

القرانية التى تتم الفائدة....المشارك ٣

يجب إظهار البشاشة والترحيب فى نفوس الطلاب, لأن

الأسلوب التقليدى حيث يضرب المعلم الطلاب بالعصى

الطويل يؤلم الطلاب . المشارك ١٢

والأجوبة التالية تدل على أن أبناء مدينة إيبي كانوا معلمين ومحبا لتقدم البلاد, لذا تجد كل منهم يتنافسون فى الدراسة القرآنية، ولا تجد بيتا من البيوت فى المدينة إلا وفيه عالم أو علماء.

الإقتراح

تقترح هذه الورقة كما ظهر فى نتيجة البحث أن يستمر كل بيت من بيوت المدينة باستزياد العلماء, وأن يكون هؤلاء العلماء متخصصين فى جميع فنون علوم القرآن. كذا عليهم الحض فى تأسيس المدارس العربية بمنهج الإعدادية إلى الثانوية.

الخاتمة

وكانت مدينة إيبي مشهورة منذ القدم بصاحب القران, وصار اللقب إيبي ألا القران ممن يدعى به أبناء المدينة. ولقد أثبت الباحث أن على أبناء المدينة أن يعملوا لإعادة مجد المدينة بتركيز المدرسة القرانية, ويساعدهم الأثرياء من أبناء المدينة وغيرهم على ذالك.

الهوامش والمراجع

١- Map of Epe www.maplandia.com › Nigeria › Lagos › Epe. Retrieved on Thursday 14th, November, 2019: 12am

٢- الإلورى، آدم عبد الله، (١٩٧٥): **مؤجز تاريخ نيجيريا**,دار مكتبة بيروت، ص١٤١

٣- High Chief Olufowobi, (1995) EbiFetival Celebration in Epe. A write up on the Historical researchon Epe.

٤- T. Ola Avoseh(1960):A short History of Epe,Parochial Committee

٥- .AnglicanChurch,Epe,المقابلة الشفوية مع الزعيم أولوفووبي في بيته شارع كليسنى إيبي عام ١٩٩٠.عندما كنت طالبا في دار الدعوة والإرشاد,إصولو,ولاية لاغوس,نيجيريا.

٦- T. Ola Avoseh(1960)A short History of Epe,Parochial Committee

٧- .St,AnglicanChurch,Epe المرجع نفسه.

٨- Smith,R.S.(1973) "The Lagos Consulate "an outline Journal ofAfricaHistory

٩- المرجع نفسه.

١٠- الإلورى، آدم عبد الله، (١٩٩٠): **نسيم الصبا فى أخبار بلاد يوربا**.مكتبة وهبة القاهرة ص١١٨

١١- المقابلة الشفوية مع الزعيم سراقة أدييمى أبينى فى بيته شارع أدييمى أبينى, إيبي.فى اليوم الثالث عشر شهر أوقتوبر.عام ٢٠٠٨م، فى الساعة الثالثة نهارا.

١٢- المرجع نفسه.

١٣- المقابلة السفوية مع الشيخ كمال الدين أويس. المشهور بألوف أبي Epe Agba of Afa Kingdom فى بينه بأوكيبوسPosu– Oke

١٤- Yusuf,T.O.&Shittu.M.A.(2011)Influence of Arabic on Yoruba Language:A case study of some Medicinal Arabic writings inEpe.Religious Forum Academia(REFA)Nigerian Association of Religious Schools.pp189-206

١٥- المرجع نفسه.

١٦- المرجع نفسه.

١٧- **Creswell,J. W. (**2009).***Research design:*** *Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches* (3rded.). USA: SAGE Publications Inc.

١٨- MuhammedYusuf. (2010). Memorization as a learning style: A balance approach to academic excellence. *OIDA International Journal of Sustainable Development*, 1(6), 49-58.

١٩- *Fontana*, A., & *Frey*, J. (*1994*). Interviewing The Art of Science. In N. Denzin, & Y. Lincoln (Eds.), Handbook of Qualitative Research (pp. 361-376).

٢٠- Patton, M. Q. (1990). *Qualitative evaluation methods* (2nd ed.). Thousand Oaks, California: Lawrence Erlbaum Associates, Inc. Publishers.

٢١- Carolyn and Palena (2006)Enhancing the Students' Speaking Skill in Speaking Class

– Program through Role Play At Senior High School 10.31932/jees.v2i1.430 Journal of English Educational Study

دور المدارس القرآنية والعربية في نشر علوم القرآن

محمد سراج آدم
Department of Modern Languages, College of Education Billiri،
ولاية غومبى، ٠٨٠٦٦٧٣٥٠٩١ / mohammedadamu5856@gmail.com

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ - خَلَقَ الإِنسَنَ مِنْ عَلَقٍ - اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ - الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ - عَلَّمَ الإِنسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف، (٢٠٣)، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين القائل:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه" ، وعلى آله وأصحابه الذي ورثوا علمه، وشهدوا أموره، وبلغوها لمن كان غائبا لحظتها، وعلى أتباعه ومن تحملها بعدهم وعلينا إلى يوم الدين.

تعد المدرسة القرآنية نسقا فرعيا داخل نسق المدارس الأسرية، وهي بمثابة مؤسسة مركزية يتلقى فيه النشؤ دروسا في التلاوة والحفظ وقد أدى دورا هاما قديماً وحديثاً في المجتمعات العربية المسلمة من خلال حفظتها على سمات الشخصية الإسلامية.

مفهوم المدرسة القرآنية:

المدرسة القرآنية أو ما كان يسمى سابقا بالكتّاب، وهو مكان التعليم الأساسي، والكتَّاب موضوع تعلم القراءة والكتابة وهو من المؤسسات التعليمبة الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتثقيف الصغار وتربيتهم التربوية الإسلامية الجيدة، ولقد اهتم الكتاب بتدريس القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب والحفظ والإملاء.[١]

التعريف بالمدارس القرآنية:

جاء في لسان العرب لابن منظور المكتب والكتاب موضع تعلم الكتاب وهو تعلم القرآن الكريم؛ واصطلاحا: المقصود بالكتاب والكتاتيب "المدارس" المختصة لحفظ القرآن والتي غالبا ما تكون ملحقة بأحد المساجد، وهي عبارة عن قاعات صغيرة كثيرا ما تكتظ بأطفالهم أعمار متفاوتة يجلسون على الأرض أمام معلمهم أوالشيخ أو الطالب ويقرءون القرآن بهدف حفظه إما من المصحف أولوحة خشبية، وغالب ما يكتب للأطفال على اللوحة سورة بأكملها أو عدة أيات من القرآن الكريم، ثم يكرر قراءتها حتى يحفظها عن ظهر قلبه، ثم يستظهر ما حفظه أمام شيخه الذي يأمره بالحفظ، وإذا وافق الشيخ على حفاظه ذهب الطفل، وهكذا حتى يتم

الحفظ، حيث تحدث منافسات بين الأطفال في الحفظ ويتفوتون في ذلك حسب إستعدادهم وطرق فهمهم النفسية والاجتماعية.[٢]

نشأة الكتاتيب أي "المدارس القرآنية"

لقد كان دور الإقراء في البلاد الإسلامية على عهد الرسول ﷺ متعددة كثيرة، لاشك أنه تخرج من كل دار أعداد لاتحصى من قراء القرآن الكريم،أما بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى قد زادت دور الإقراء، وعند اكتمال نزول القرآن كثر إقبال الناس على تلقيه أضعاف مضاعفة، وكثرت الفتوحات شرقا وغربا، واتسعت الأقطار الإسلامية وزاد عدد الأمة وكثرت دور الأقراء بكثرة من يرتادوبها. أما الكتاتيب وهي جمع كتاب والمراد بها المكتب الذي يحفظ فيه القرآن الكريم فقد أنشأت في عصر مبكر وهي من أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الإسلامي بعد المسجد.[٣]

وكانت بداية ظهور الكتاتيب في عهد عمر بن الخطاب، وقد أنشأ ﷺ إلى جانب مسجده أو في بعض زاوياه، كتاتيب للأطفال يتعلمون فيها كتاب الله وهنا بدأ بعض التنظيم والإشراف، وأنشأت الأقسام الداخلية، وكان عمر بن الخطاب ﷺ أول من أصدر التعليمات بصرف التلاميذ ظهر يوم الخميس استعداد الاستقبال يوم الجمعة والخلود إلى راحة، وقد انتشر هذا التقليد في ربوع العالم الإسلامي وظلت الكتاتيب المكان الرحيب للقراء، حتى جاء عصر العباسي، فتنافست الدولة المستقلة في إنشائها بعد أن اتضح مشكل احتمال المسجد للصلاة والتدريس معا[٤].

أهمية مدارس القرآنية العربية عبر دراسة القرآن الكريم:

كانت كتاتيب القرآن الكريم في العصور الإسلامية بمنزلة المدارس الابتدائيّة في عصرنا الحاضر، وكان لها أكبر الأثر في الحفاظ على اللغة العربية وانتشارها بين جميع الأعراق المسلمة؛ إذ كان التلاميذ يتعلّمون فيها القراءة والكتابة العربية والقراءة الصحيحة للقرآن الكريم، كما كان أطفال المسلين يتلقّون في هذه الكتاتيب تعاليم الدين الأساسيّة، فيتعرفون على أركان الإسلام ومعنى الإيمان، ويتعلّمون كيفيّة الوضوء والصلاة، إضافة إلى ذلك كان الأطفال يستمعون فيها لجملةٍ من مغازي الرسول ﷺ وحياة أصحابه الكرام[٥].

دور المدارس القرآنية:

للمدارس القرآنية دور في تربية النشئ الصاعد ولقد أعطيت لهذه المدارس هذا الدور الرفيع لا لأنها تربي وتوسع مدارك الأطفال وتفتح عيونهم على آفاق جديدة سيستفيدون منها في مستقبل أيامهم ولكن أيضا وعلى الخصوص تجعل منهم زيادة

على كونهم متعلمين مواطنين صالحين يعرفون حق الله ويحترمون حقوق الناس[٦].
قال رسول الله ﷺ هذا القول العظيم الذي يجب أن يغرس مبكرا في نفوس أطفالنا وهم يتلقون الدروس الأولى في المدارس القرآنية بمناسبة تبيينه للأمة مراد الله من كلامه حين قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ، رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَرُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾النور (٣٨)،[٧]

أهداف المدارس القرآنية :

لاتخلو أي مؤسسة تعليمية من تسطير بعض الأهداف المراد الوصول إليها لإنجاز غايتها والتي تسعى إلى تحقيقها، ومن ذلك نجد المدارس القرآنية وهي ككل مؤسسات التعليمية لها العديد من الأهداف خاصة ما يتعلق بتعليم القرآن الكريم وعلومه والحفاظ عليه، ومن بين هذه الأهداف:

- الاهتمام بكتاب الله سبحانه وتعالى في تلاوته وتفسيره وتطبيقاته.

- استقامة النشئ ورعاية الجيل رعاية إسلامية.

- اكتساب المتعلم ثروة لغوية بالتعرف على معاني المفرادات الواردة في القرآن الكريم[٨].

- أن يتقن المتعلم كيفية القراءة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

- تمكين المتعلم على الدفاع عن الإسلام بالحجج والبراهين والدعوة إليه على بصيرة والحكمة والموعظة الحسنة.[٩]

_ ومن أهم الركائز والأهداف التي ترمي إليها المدرسة القرآنية هو الحفاظ على القرآن الكريم ومنه المحافظة على اللغة العربية[١٠].

أساليب تدريس القرآن الكريم في المدارس القرآنية وطرقه:

تعتمد المدارس القرآنية على تدريس القرآن الكريم بالتجويد، فهو الذي يعني بدراسة مخارج الحروف وصفاتها، ومن ينشأ لها من أحكام عند ترتيبها في الكلام المنطقي، فهناك كلمات أخرى تستخدم في عصر النبي ﷺ، وأصحابه في معنى كلمة التجويد مثل : الترتيل والتحسين وهي تستخدم في وصف القراءة حين تكون مستوفية كصفات النطق العربي الفصيح، وذلك في قوله تعالى :ورتل القرآن ترتيلا. المزمل (٤)،[١١]

طرق تدريس القرآن الكريم:

تعتمد المدارس القرآنية في تدريس القرآن الكريم على طريقتين:

إحداهما جماعية والأخرى فرعية:

أ-الطريقة الجماعية: وهي أن يقوم المدرس بتحديد مقدار معين لجميع المتعلمين، ثم يقوم بتلاوته عليهم أولا ثم تلاوته من قبل المتعلمين على المعلم كل على حده ثانيا، ثم يكلفون بحفظه، ليتم التسميع لهم من قبل المدرس فيما بعده.

من إيجابيتها:

-سهولة حفظ الطلبة للمقطع نظرا لتكراره عليهم بعدهم

- شد همم بطىء الحفظ والمهملين ودفعهم إلى مسايرة زملائهم والسير على منوالهم في الحفظ والمراجعة[١٢]. -يؤثر هذه الطريقة بغياب الطالب؛ لأنه إما أن تتأخر الحلقة ليدركها من غاب، وإما أن ينتقل الطالب الغائب إلى حفظه للمقطع السابق وإعادة حفظه لاحقا، مما يجعل المقاطع التي لم يحفظها تتراكم عليه إن لم يكن ذاهمة عالية[١٣].

ب – الطريقة الفردية : وهي أن يقوم المدرس بفتح المجال أمام المتعلمين للتنافس والانطلاق في تلاوة القرآن الكريم وحفظه، كل حسب إمكاناته التي وهبه الله إياها، وما يبذله من وقت وجهد لتحقيق ذلك تحت إشراف المدرس ومتابعته.

- مراعات فروق الفردية بين المتعلمين وإفساح المجال أمام ذو القدرات الجيدة للتقدم[١٤].

مساحة الكتاتيب القرآنية:

تختلف هذه المساحة من كتاب إلى آخر و غالبا ما يشتمل الكتاب على أربعة حجرات، واحدة لتعليم الصبيان والثانية سكن للطلبة الآخرين، و الثالثة للصلاة و الرابعة للمؤونة و الأدوات الضرورية، زد على ذلك أن هناك مرافق للوضوء، والوقود والطبخ وغيرها. ويوجد الكتاب على العموم ضمن أحد المنازل بالحي، أو ملحقا بأحد المساجد، و كان يبني الكتاب شخص احتسابا لمرضاة الله، أو قد يكتريه معلم عن صاحبه ليعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ، وفيما يخص تجهيز الكتاب، فعادة ما يجلس التلميذ على حصائر مصنوعة من الديس، أو على مقاعد خشبية هي عبارة عن لوحات من الخشب المتصل والمستطيلة الشكل والتي لا تكاد ترتفع بسنتمترات على سطح الأرض[١٥].

طرق التعليم دراسة القرآن:

كانت طريقة تعليم القرآن يبدأ الطفل حفظ الحروف الهجائية سماعا، ثم يشرع في سورتها ويشكل كتابتها، فإن أحكم الطفل الحفظ المرتب وأدرك شكلها وصورتها، يشرع في حفظ قصارالسور فيملي عليه الآية من السور التي يستطيع ختمها، إبتداءً من سورة الفاتحة ثم الناس والفلق.....إلى سورة الفيل، وهكذا[١٦]. والطفل في كل مرة يردد ماسمعه ولايكتب ما سمع حتى يتحقق من معلمه من نطقه على وجه الصحيح، والشأن أن يكون لكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد حفظه، وحين يفرغ التلميذ من كتابة القدر الذي أذن له فيه معلمه، ثم يسلم اللوح ليراجع هيئة الحروف ويتأكد من سلامة كتابتها وغالبا ما يكون التصحيح متبوعا بقراءة جماعية من قبل المعلم ليتذكر التلميذ ما سمعه قبل. فإن أفرغ التلاميذ من كتابة اللوح وتصحيحه يأخذ له مكان مع أقرابه ليراجع فيه المكتوب عدة مرت حتى يحفظه ويكون العرض على المعلم بعد صلاة العصر غالبا[١٧]. فإذا ختم القرآن الكريم حفظا وكتابة يرجع مرة أخرى إلى حفظه وكتابته وهو ما يسمى "بالسلكة"[١٨].

كيفية مدى المدارس القرآنية في برنامج اليونسكو لمكافحة الأمية:

في دراسة سيلفا وماكنفي (Silva and McNevin) للمدارس القرآنية ضمن برنامج اليونسكو لمكافحة الأمية، كونها أحد أهم الحلول للحد من استشراء الأمية في العالم، والإسلامي منه خاصة بعد أن سعى الاستعمار وحلفاؤه إلى تقويض وإضعاف بنيتها؛ قدما دراسة ميدانية حول دور المدارس القرآنية التابعة للمجتمعات المحلية في مكافحة الأمية وخصائصها. فمنذ القرن السابع الميلادي حتى بداية عصر الاستعمار في السودان والمدارس القرآنية تقوم بالدور الأمثل في تعليم الناس بالمعارف الأساسية وتدريبهم للقيام بأعبائهم في مجتمعاتهم المسلمة. ولقد كان تعلم القرآن هو المنهج الأساسي لهذه المدارس. وقد جلب الاستعمار معه نظامه التعليمي الذي كان يهتم بجوانب مختلفة من التعليم، ولو أن التعليم الإسلامي لم يخل في تاريخه من مواد مثل الرياضيات والعلوم وغيرها، ولكن الاستعمار استولى على العالم الإسلامي في عصر انحطاطه الثقافي والسياسي والاقتصادي، وذلك أن الإسلام يدعو دائماً لتدبر الكون والحياة والنفس البشرية وغيرها. بل لقد حوى القرآن حقائق علمية يعتبرها علماء العصر الحديث معجزات علمية لا يمكن لعالم قبل أربعة عشر قرناً أن يصفها بتلك الدقة المتناهية، وقد استمرت المدارس القرآنية بحسب قول (سِيلْفَا) و (مَاكْنِفِينْ) خلال فترة الاستعمار، وذلك لأن البريطانيين لم يأبهوا لتعليم السكان الأصليين واستيعابهم في مدارسهم ذات النظام المختلف، كما أن كراهة الاستعمار ومؤسساته قد جعلت السكان الأصليين

يفضلون المدارس القرآنية، وقد كان لتلك المدارس البسيطة في مناهجها المتواضعة في إمكاناتها الدور الكبير في انتشار التعليم لقطاعات كبيرة. وكان من خصائص المدارس القرآنية بحسب دراسة (سِيلْفَا) و (مَاكْنِفِينْ)[١٩]:

دور حركة تحفيظ القرآن في نشر اللغة العربية

ارتبطت حركية التعليم بالجزائر منذ عهد قديم بتعليمية اللغة العربية و حفظ القرآن الكريم في مؤسسات خاصة تشرف عليها السلطة الحاكمة أحيانا و يتولى تسييرها وتمويلها أحيانا خواص من أهل الخير والصلاح، وتنسب أحيانا أخرى إلى الزوايا ورجال الدين. وقد مثلت هذه المؤسسات بمنظمات وبرامجها البيداغوجية والمعرفية تراثا علميا ما يزال جزء كبير منه في طي النسيان. وتشكل هذه الظاهرة التعليمية – في منظورنا- حقلا خصبا لدراسة تعليمية للغة العربية وطرق التدريس في الجزائر العميقة في التاريخ، القائمة أصلا على التلقين و الحفظ مسلكا ومنهجيا (بيداغوجيا)، نتناوله من زاوية بحثية معاصرة، معتمدين في ذلك على بعض المقولات التربوية و النفسية المستمدة من الدراسات النظرية والتطبيقية، والتي تفسر فعل التدريس الكلاسيكي وأهميته في تكوين ملكة الحفظ لدى الطفل، والحفاظ على نقل وتواتر النص القرآني من التلف والتحوير[٢٠].

وللقرآن الكريم خط خاص به يجب أن يكتب حسبما صرح بعلماء فن الرسم ورجال التوحيد و القراء، إذ وضعوا لذلك قواعد مضبوطة كقواعد اللغة وأحكام ثابتة كأحكام الفقه، فلا يتخطاها أحد، ولا يسمح بتغييرها قط. فما هي إذن الأمكنة التي استخدمت لتعليم هذه القواعد والأحكام، وعملت على نقله من جيل إلى آخر؟ ما هي المؤسسات التي حافظت على وجوده واستمراريته؟[٢١].

المؤسسات التربوية القديمة للمدرسة القرآنية

شملت المؤسسات التربوية القديمة كلا من الكتاتيب والمساجد والرابطات والمكتبات العمومية والخاصة، وقصور الأمراء، و دورالعلماء، وحتى الدكاكين... الخ. يقول ابن خلدون في هذا الموضوع : وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة، ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر، و بذلك تم إسلام البربر، وأصبحت لغتهم العربية[٢٢].

المساجد:

المسجد هو مكان للعبادة ومدرسة لتعليم الناس القرآن والكتابة وتحفيظهم كتاب الله، وهو جامعة مفتوحة تعقد فيها حلقات المستويات، فهي مركز إعلامي للإسلام، وملجأ لمن لا ملجأ له.

الزوايا:

لقد ظهرت المؤسسة نتيجة التخلف والجهل، وانتشار ظاهرة الزهد عن الدنيا، والانشغال بالآخرة، وظهرت الزوايا على نطاق واسع في المدن والقرى وخاصة في العهد التركي، والزاوية بيت أو مجموعة من بيوت بناها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف، وقراءة القرآن، وذكر الله. وأهم أعمال الزوايا التربية والتعليم، زيادة عن أعمالها الثقافية فإنها كانت مركزا للغرباء والفقراء، وملاجئ للمجاهدين والفدائيين أيام الثورة التحريرية الكبرى ضد فَرَنْسَا[٢٣].

مشاكل تعليم المدارس القرآني في شمال نيجيريا عبر اليُونِيسِفْ:

لا يتلقى ملايين الأطفال في شمال نيجيريا التعليم الرسمي، وللتصدي لهذه المسألة تعمل اليُونِيسِفْ على مساعدة المدارس القرآنية التقليدية على دمج المواضيع الأساسية مثل اللغة الإنجليزية والرياضيات إلى مناهجها، ولقد ارتفعت معدلات لالتحاق بشكل كبير منذ أن بدأت المدرسة القرآنية بتدريس اللغة الإنجليزية، والحساب، والعلوم الاجتماعية. ومنذ سنة ٢٠١٠، بدأ الطلاب بتعلم اللغة الإنجليزية، والحساب، والعلوم والاجتماعيات في المدرسة. فانتشار المدارس القرآنية في شمال نيجيريا، وخاصة في المجتمعات الريفية والفقيرة، يجعلها حليفا محتملا في جهود توسيع قدرة الأطفال الأقل حظا على الوصول للتعليم الأساسي، ولذا تدعم اليُونِيسِفْ الحكومة في إضافة مناهج أخرى لمدارس القرآن التقليدية[٢٤]، نجح دمج المدارس القرآنية في اجتذاب الفتيات للمدرسة، خاصة في المجتمعات المسلمة التي لا تتقبل التعليم الغربي بشكل كامل[٢٥]..

الخاتمة:

بعد هذه الجولة الممتعة في محطّات متفرّقة من دور المدارس التّعليم القرآني في العالم الإسلامي في نشر علوم القرآن، سرعان بدأ الباحث بالمعالج على مفهوم مدارس القرآني وتعريفاتها لغويا واصطلاحيا وكيفية نشأة المدارس القرآنية، وأهميتها وأهدافها، وطرق أساليب تدريس القرآني ومناهجها ودور حركة حفظ القرآن الكريم لدى أبناء المسلمين عامة على مختلف البلدان في العالم الإسلامي.

نتائج البحث:

١ – تعليم القرآن ومدارسه أساس الوحدة في كلّ قطر مهما تعددت أصوله في العالم الإسلامي.

٢ – إعدادطلبة المدرس القرآنية اليوم يعني إعداد معلّميها غدا، وإعداد معلّميها يعني إعداد مشرفيها على الاستقبال التلاميذ.

٣ - إحياء تراث علماء القراءة من أهل الإقراء وعلوم القرآن، وذلك بالتّنقيب عن مخطوطاتهم في هذا المجال والسّعي إلى تحقيقها وإخراجها إلى عالم المؤلّفات التي تنفع طلبة العلم

٤ - القيام بدراسات التعليمية لنشاط المدارس القرآنية في العالم الإسلامي، لدى أبناء المسلمين في مختلف البلدان.

ثبت الهوامش المراجع:

١- شبكة الإنترنت، مذكرة لنيل درجة الماجستير بعنوان **دراسة ميدانية للمدرسة القرآنية**

٢- مذكرة تحت عنوان : **دور المدارس القرآنية في إعداد الطفل للدخول المدرسي** بجامعة عبد الحميد باديس، جمهورية الجزائر سنة ٢٠١٦

٣- مذكرة تحت عنوان: دور المدارس القرآني مرجع سابق

٤- تطور اللغة والتفكير لدى الطفل، نايفة قطمي، من جامعة القدس المفتوحا، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات القاهرة، مصر، (دط)، سنة ٢٠٠٧م، ص: ١٧٩

٥- [١] - دور المدارس القرآنية في دعم تعليم العربية وتنميتها في الجائر غردابة نموذجا in project 12/12/2018

٦- دور المدارس القرآنية في التربية الشباب إينغر رسالة الخميس فبراير ٢٠١٠ جمع الحقوق محفوظة المنتدي حقوق الطبع والنشر، ٢٠١٢-٢٠١١

٧- دور المدارس القرآنية في التربية الشباب مرجع سابق

٨- تقويم طرق تعليم القرآن الكريم وعلومه في مدارس تحفيظ القرآن الكريم د، سعيد شريدح، بحوث ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، موقع الفكرة الدعوية،١٤٢١هـ www.dawahmamo.com

٩- علاقة طرق التدريس في مدرسة القرآنية في تحصيل الدراسي لتلاميذ الطورالابتدائي، دراسة مملكة لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع التربية، سنة ٢٠١٣، ص: ٤٧-٤٨.

١٠- المدارس والكتاتيب القرآنية مرجع سابق، ص: ٢٥.

١١- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د، غانم قدور الحمد، حقوق الطبعة محفوظة للناشرة، عمان، ط ٢ سنة ٢٠٠٧م ص:١٠-١٦.

١٢- دور حفظ القرآن الكريم في ترسيخ اللغة العربية، مرجع سابق ص: ٤٢

١٣- دليل مراكز تحفيظ القرآن الكريم بالمغرب عن طريق الإنترنيت 01 february 2013

١٤- موقع الإنترنت، المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات التربوية ودارية،مؤسسة منتدي الإسلامي السعودية، (دط)، سنة١٨٣٩م، ص: ٢٣.

١٥- لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جلال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيرت، م٦ (دط)، (دت)، مادة (أدا)، ص: ٤٨.

١٦- يحي بو عزيز، المساجد التيقية في الغرب الجزائري، ط١، منشورات anp،الأبيار، الجزائر، ص: ١٥

١٧- ابن منظور، **لسان العرب** للإمام العلامة أبي الفضل مرجع سابق، ص: ٥٠.

١٨- نواف أحمد سمارة، د، عبد السلام موسى العديلي **مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية**، دار المسيرة، عمان، مصر، سنة ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م ص: ٣١.

١٩- راغب السرجاني، Islamic history. Com ص: ٢٥.

٢٠- العبيد التوزري، إبراهيم: تاريخ التربية بالتونس، الشركة الوطنية للنشر- ب – ت ص: ٩٧

٢١- العبيد التوزري، مرجع سابق، ص: ٩٨

٢٢- بن أحمد التيجاني، عبد الرحمان، (الكتاتيب القرآنية بندرومة)، من سنة ١٩٠٠- إلى ١٩٧٧ الجزائر، ديوان المط.

٢٣- بن أحمد التيجاني، مرجع سابق.

٢٤- أخبار اليونيسف مجلات التركيز أين نعمل مرجع سابق.

٢٥- Unicef عن طريق الإنترنيت مرجع سابق

التحديات التي تواجه نظام تعليم القرآن الكريم في مدينة غُومْبِي وحلولها

محمد بشير محمد
محاضر بقسم اللغات الحديثة، بكلية التربية بلير ولاية غومبي نيجيريا
bagebashir@gmail.com - ٠٧٠٣١١٢٣٩٢٨

المقدمة:

تحتوي هذه الورقة على ملخص البحث والتعريف بولاية غُومْبِي من موقعها الجغرافي ونبذة عن تاريخ تأسيس وسلسلة أمراءها، كما تناولت الدراسة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصاية لأهل غُومْبِي، أضف إلى ذلك أن هذا البحث تناول نظام المتبع في المدررس القرآنية والمشكلات التي يواجهها هذا النظام، مع إيراد بعض الحلول المقترحة لهذه التحديات، ثم تحدثت الورقة عن مستقبل المدارس القرآنية في غومبي، ثم خاتمة البحث التي انضمت الاستنتاج والتوصية.

يتكون صلب هذه الدراسة من المحاور الآتية:

المحور الأول: التعريف بولاية غومبي.

اختلف المؤرخون حول أصل كلمة غومبي (Gombe) والمشهور أن هذه الكلمة تعني شجرة كبيرة الحجم ومشهورة ببلاد السودان[١]، ولقد كانت هناك إحدى هذه الشجرات تحت هضبة بمنطقة غُومْبِي أبَّا، وذلك قبل مجيء بُوبَا يَرُو مؤسس إمارة غُومْبِي.[٢]

موقع غومبي الجغرافي:

تقع منطقة غُومْبِي بجانب الشمال الشرقي لنيجيريا، وتحدها إمارة بِيُو (Biu) بولاية بَرْنُو من الناحية الشرقية. كما تحدها إمارة فِيكَا (Fika) بولاية يُوبِي من الناحية الشمالية، وكذلك تحدها إمارة بَوْتْشِي (Bauchi) بولاية بَوْتْشِي في الناحية نفسها، كما تجاورها ولاية آدماوا (Adamawa) في الجهة الجنوبية[٣]. وتمتد أراضي إمارة غُومْبِي من الشمال إلى الجنوب حوالي مائة وستين كيلومترا، ومن الشرق إلى الغرب حوالي مائة كيلومترا، كما تقدر مساحتها بثلاثة وسبعين وتسعمائة وثمانية عشر ألفا (1897) كيلومترا مربعا[٤].

تأسيس إمارة غومبي:

أسسها بُوبَا يَرُو بن أَرْطُو بن محمد بن صالح، انتقلت أسرته من مَالِي متوجهة إلى مكة المكرمة فوجدوا قبيلة باغرم (Bagirmi) في منطقة تشاد يقاتلون فيما بينهم، فمالوا للابتعاد عن القتال إلى أن وصلوا إلى قرية قديمة تدعى مَادَا[٥]، وفيها ولد بُوبَا يَرُو عام (1732م)[٦]. ولقد بدأ دراسته الأولية تحت رعاية والديه ولكن للأسف توفي أبوه، وأخذه جده وعلمه القرآن الكريم إلى أن أتقنه.

سلسلة أمراء إمارة غُومْبِي من نسل بُوبَا يَرُو:[٧]

وأول أمير لإمارة غُومْبِي هو مؤسسها بُوبَا يَرُو، تولى الإمارة من عام 1804م – إلى عام 1841م، ثم الأمير سليمان من عام 1841م – إلى عام 1844م، ثم الأمير محمد كُويْرَنْغَا من عام 1844م – إلى عام 1886م، ثم الأمير عبد القادر الجيلاني من عام 1886م – إلى عام 1889م، ثم الأمير حسن من عام 1889م إلى عام 1895م، ثم الأمير محمد تُكُرْ من عام 1895م إلى عام 1898م، ثم الأمير عمر الفاروق من عام 1898م إلى عام 1922م، ثم الأمير هارون بن عمر من عام 1922م إلى عام 1935م، ثم الأمير أبوبكر بن عمر من عام 1935م إلى عام 1984م، ثم الأمير عثمان شيخو بن أبوبكر من عام 1984م إلى عام 2014م، ثم الأمير أبوبكر بن عثمان شيخو أبوبكر (الثالث) 2014م إلى اليوم[٨]. ولقد قيل أول من نقل عاصمة الإمارة من مقرها الأصلي (غُومْبِي أَبَّا)، هو الأمير عمر الفاروق بن محمد تكر، نقلها أولا من غُومْبِي أَبَّا إلى قرية نَافَطَا، ثم من نَافَطَا إلى غُومْبِي دُومَا أي مدينة غومبي الحالية، وذلك بين عام 1914م إلى عام 1919م لأسباب، منها: أن غُومْبِي دُومَا أصلح للعمارة من نَافَطَا، وذلك لكونها تقع على طريق بَوْتْشِي إلى ولاية آدَمَاوَا، ثم أنها أسهل أمن لإقامة الجند المستعمر.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية في مدينة غُومْبِي:

الحياة الاجتماعية: كون معظم سكان غُومْبِي مسلمين كانت حياتهم الاجتماعية مطابقة للتعاليم الإسلامية وذلك من ناحية المباني بأنواعها، ونظام اللبس كذلك، والأطعمة والأشربة وقري الضيفان وغير ذلك من المعاملات اليومية، مثل تقاليد الزواج والأعياد والصناعة وسائر الحرف التي يُعتمد عليها لكسب المعيشة، تجد في كل ذلك أثرا من آثار التعاليم الإسلامية[٩].

الحياة الاقتصادية: وقد عرف كثير من سكان غُومْبِي بممارسة التجارة بأنواعها، ومنهم من اشتغلوا بالوظائف الحكومية والقطاعات الخاصة، ومنهم المزارعون، كما أن عددا كبيرا منهم يشتغلون برعاية الحيوانات الأليفة، وبعض منهم جمعوا بير الزراعة والتجارة وبالعكس، كما اشتغل بعض منهم في المواصلات التجارية بأنواعها للاعتماد على النفس في كسب المعيشة[١٠].

الحياة العلمية: كانت إمارة غُومْبِي منذ تأسيسها تعتني بالعلم وأنواعه من المعارف وذلك عن طريق تأسيس المدارس القرآنية (الكتاتيب)، والمعاهد العلمية التقليدية، والمدارس الإسلامية الحديثة فيما بعد[١١]، ولقد صارت مدينة غومبي مملوءة بالمدارس القرآنية (الكتاتيب)، والمعاهد العلمية، والمدارس الإسلامية الأهلية، والكليات، والمعاهد الحديثة، وكذلك كانت مدينة غُومْبِي مقرا لجامعة ولاية غُومْبِي، وخلاصة القول أن أهل مدينة غومبي كانوا في الصف الأول في خدمة العلم وأهله.

الحياة السياسية: كانت إمارة غومبي كسائر الإمارات التي تحت نظام الدولة العثمانية، تجمع بين نظام الشريعة الإسلامية في أحكام المعاملات والعبادات، وبين نظام الملك الوراثي، ويرجع فضل ذلك كله إلى مؤسس الإمارة بُوبَا يَرُو. وقد استمر نظام إمارة غُومْبِي السياسي على هذا المنوال إلى يومنا هذا، اللهم إلا ما طرأ من التغيرات التي حدثت بعد سقوط الدولة العثمانية على أيدي الإستعمار الإنجليزي، الذي فتك الدولة ونظامها الإسلامي، وبدلها بقوانينه الوضعي[١٢]. ومع ذلك كله تبقى لإمارة غُومْبِي بعض من نظامها الملكي الموروث كمجلس الأمراء (Traditional Ruling Council) الذي كان ولم يزل تحت رئاسة أمير غُومْبِي، كما يتولى بعض أعضاء هذا المجلس المناصب الملكية، مثل الوزير، وأمير الجيش، وزعيم العلماء، وغيرها من المناصب الملكية الوراثية[١٣].

المحور الثاني: المدارس القرآنية (الكتاتيب) ونظام التعليم فيها بولاية غُومْبِي.

الكتاتيب: جمع، ومفرده كُتَّابٌ، وهو الموضع أوالمكان الذي يتلقى فيه الصبيان الدروس القرآنية من قراءة وكتابة وحفظ وإتقان، ويدير الكُتّاب مدرس يطلق عليه عدة أسماء، منها: مَالَمْ، أو ألَرَمَّا.

وتتنوع المدارس القرآنية (الكتاتيب) حسب الظروف كالآتي:
النوع الأول: يأوي الطلبة إلى كتاتيب أو بيت المدرس ليل نهار لا يفارقونه إلا بعد بلوغ المرام.

النوع الثاني: يحضر الطلبة الكتاتيب أو بيت المدرس في كل يوم من الأيام الدراسية الأسبوعية في وقت معين، كالصباح والمساء، ثم ينصرفون إلى بيوتهم بعد الفراغ من الدرس[١٤].

فقد اشتهر نظام الكتاتيب في البلدان الإسلامية النيجيرية، كما كان يعتبر مؤسسة قرآنية الموروثة جيلا عن جيل، ويرجع فضل تأسيس الكتاتيب في مدينة غومبي إلى مؤسس الإمارة بُوبَا يَرُو، الذي قد حفظ القرآن على أيدي والده وجده، فأسس فيما بعد مدرسة قرآنية (الكتاتيب) في بلدة فِيكَا، وذلك ما بين عام (١٧٨٤م و ١٧٩٠م)[١٥]. وبعد وفاته قام أحد أبنائه محمد كُوِيْرَنْغَا بتدبير شؤون العلم والتعليم بما في ذلك المدارس القرآنية (الكتاتيب)، وهكذا. وقد لعبت المدارس القرآنية دورا ملموسا في تعليم أطفال منطقة غُومْبِي القرآن قراءة وكتابته وترتيلا وتحفيظا عن ظهر القلب، ثم توالت فيما بعد تأسيس مراكز تحفيظ القرآن الحديثة بمنطقة غُومْبِي، منها: مدرسة عثمان التذكارية (Loddo) التي تخرج فيها أكثر من ألفين طالبا من عام ٢٠١١م إلى ٢٠١٥م، ثم مدرسة دار الهدى لتحفيظ القرآن شَامَكِي، التي تخرج فيها أكثر من خمسمائة طالبا من عام ٢٠١٠م إلى ٢٠١٥م. وأمثال ذلك من المدارس القرآنية الحديثة كثير.

ولقد اعتاد نظام التدريس التقليدي في الكتاتيب بمنطقة غُومْبِي خاصة ونيجيريا عامة، أن يمر الطالب بالمراحل الآتية:

المرحلة الأولى: أن يبدأ الطالب المبتدئ بتلقي الصور القصار العشر شفاهة من المدرس – بدءً بالتعوذ والبسملة ثم سورة الفاتحة فالمعوذتين والإخلاص صعودا إلى سورة الفيل -.

المرحلة الثانية: بَبَّقُو(BABBAKU): يتعلم الطالب فيه الحروف القرآنية المجردة عن الشكل، المكتوبة على اللوح بدءً بالتعوذ والبسملة ثم سورة الفاتحة فالمعوذتين والإخلاص صعودا إلى سورة الفيل أيضا، يتعلم الطالب خلال ذلك قراءة الحروف وكيفية نطقها، ليتمكن الطالب من معرفة حروف القرآن وتمييز بعضها عن البعض، ليكون ذلك وسيلة إلى تعليم قراءة القرآن الكريم قراءة سليمة.

المرحلة الثالثة: فَرْفَرُو (FARFARU): يتعلم الطالب فيه الحروف القرآنية المشكلة، المكتوبة على اللوح بدءً بالتعوذ والبسملة ثم سورة الفاتحة فالمعوذتين والإخلاص صعودا إلى سورة الفيل كذلك، بحيث يتعلم التلميذ كيفية نطق الحروف مع الأشكال العربية المعروفة.

المرحلة الرابعة: حَدَّتُو (HADDATU): وفي هذه المرحلة تعلم الطالب القراءة التطبيقية بنوع من الدقة السطحية، بحيث يجمع بين القراءة والحفظ، بدءً بالتعوذ والبسملة ثم سورة الفاتحة فالمعوذتين والإخلاص صعودا إلى أن يختم سورة النبإ، ثم يستمر التلميذ بأخذ الدرس من المدرس إلا أنه يبدأ التلميذ بكتابة الدرس[١٦] في لوحته بمساعدة المدرس تدريجيا إلى أن يختم القرآن مع الحفظ إن كان له حظ من الله في ذلك، أو يختم قراءة بدون حفظ.

والملحظ أنه لاتختلف طريقة التعليم في الكتاتيب كثيرا من منطقة إلى أخرى، ولم يخضع النظام لأي منهج مرسوم، كما أنه ليس للحكومة ولا غيرها من المؤسسات الخاصة يد في شأن تأسيس الكتاتيب وإدارتها، فالباب مفتوح لكل من حفظ القرآن أو تعلم قسطا وافرا فيه أن يؤسس الكُتَّاب ويدرس فيها. ويذهب الدكتور علي أبوبكر إلى أن المدارس القرآنية كانت على نوعين:

النوع الأول: يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن فقط من غير حفظ.

النوع الثاني: يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن مع الحفظ[١٧].

وقد زاد بعضهم على أنه إذا وصل الطالب المرحلة الرابعة المذكورة أعلاه يكتب على لوحته قدرا مخصوصا من الآيات القرآنية بخط يده، ثم يقدمها إلى المدرس للتلقين وتصحيح الأخطاء الكتابية، وتعرف هذه الخطوة عند أهل الكتاتيب بـ دَرَسُو، ثم ينفرد التلميذ لإتقان القراءة مع الحفظ أو بدون الحفظ حسب الحاجة والقدرة، فإذا اطمأن المدرس على جودة قراءة الطالب كما سبق أمره بغسل اللوحة وكتابة آيات أخرى، وهكذا إلى ان يختم القرآن

الكريم تلاوة فقط أو تلاوة مع الحفظ، وتقام الحفلة حمدا لله وإظهارا للفرح على هذه الختمة الأولى، ثم يعود الطالب للختمة الثانية والثالثة....إلخ على هذا المنوال إلى أن يحفظ القرآن عن ظهر القلب، وبعد ذلك ينتقل الطالب إلى خطوة كتابة نصف حزب القرآن على اللوحة الكبيرة في كل يوم من الأيام الدراسية، ويكون ذلك عن ظهر القلب، ثم يقدمها إلى المدرس لتحقيق صحة التلقين وجودة الحفظ مع مراعات الأخطاء الإملائية القرآنية، ويتم ذلك بمساعدة الحفظة من أقران الطالب ومن كانوا فوقه من كبار تلاميذ المدرس، وتعرف هذه الخطوة في الكتاتيب بـ سَاتُو، وهكذا يستمر التلميذ إلى عدة ختمات، فإذا اطمأن المدرس بجودة حفظ الطالب ومهاراته الإملائية، سمح له كتابة القرآن الكريم عن ظهر القلب من ألفه إلى يائه على الأوراق، فيصدر من ذلك مصحفا كاملا بخط يده.

وهذا هو النظام السائد في معظم المدارس القرآنية (الكتاتيب) في منطقة غُومْبِي.

المحور الثالث: التحديات التي تواجه نظام تعليم القرآن في منطقة غُومْبِي وحلولها:

إن المدارس القرآنية (الكتاتيب) في منطقة غومبي كغيرها من الكتاتيب في سائر مناطق نيجيريا، لاتزال تحددها مشكلات كثيرة، التي يمكن اسنادها إلى الجهات كالتالي: الحكومات، والمجتمعات، والآباء، والمدرسين، والمنهج التقليدي المتبع، والطلبة. وسوف تتناول هذه الدراسة ثلاثا من أهم المشكلات التي تكمن في كل جهة من الجهات المذكورة أعلاه مع ذكر الحل المناسب لكل عائق.

المشكلات المتعلقة بالحكومات:

إن الحكومة هي المسئولة عن كل ما يخص الفرد والمجتمع لا سيما النظام التعليمي في جميع مراحله، ومن ذلك المدارس القرآنية التي من مهماتها تعليم أبناء الوطن ما يمس جانب من جوانب حياتهم الدينية، أضف إلى ذلك تربية الجيل الناشئ الأخلاق المحمودة، فصار ذلك حقا على الحكومة أن تعطي عناية كافية من الجانب المادي والمعنوي مما يفتح لأمثال هذه المدارس بابا يقودهم إلى مواكبة الحضارة العلمية الثقافية الحديثة، ومن التحديات التي سببتها الحكومة، عدم تخصيص الرواتب لمدرسي المدارس القرآنية (الكتاتيب)، حتى يتسنى لهم أداء دورهم بصفة حسنة، وقد أدى ذلك إلى أن بعض المدرسين يعيشون على التسول، كما كان بعضهم يمارسون أعمالا لافرق بينهم وبين الكهنة. ومن المشكلات المتعلقة بالحكومة، عدم إيجاد المساكن للتلاميذ كما كانت تفعل ذلك الحكومات لتلاميذ المدارس الحديثة. ومن ذلك أيضا عدم إيجاد الفصول الدراسية مما يساعد القائمين على شئون الكتاتيب في أداء واجبهم كما يساعد ذلك الطلبة في فهم ما يدرسونه بطريقة سهلة، فيشعرون على أنهم ركن مهم من أركان المجتمع.

الحلول المقترحة:

يترتب على الحكومات إيجاد هيئة علمية تقوم على إعادة تدبير شئون المدارس القرآنية (الكتاتيب)، ومن ذلك توظيف المدرسين الأكفاء مع وضع الرواتب المناسبة لهم كسائر موظفي الحكومة بنهاية كل شهر. ومن ذلك أيضا إيجاد المناخ المناسب لتعليم القرآن، كالمباني والأدوات التعليمية الحديثة، ثم إضافة بعض المواد الحديثة في المنهج الدراسي للكتاتيب، مع تدريب الطلبة أنواعا من الأعمال اليدوية للإعتماد على النفس بعد التخرج أضف إلى ذلك توظيف المتخرجين من المدراس القرآنية (الكتاتيب) في الأعمال الحكومية المناسبة لهم لمن كان له رغبة في ذلك.

المشكلات المتعلقة بالآباء:

فالأب هو المسؤول الأول في تربية الإبن، ومن ذلك عليه حق التعليم والتربية، حتى وإن تحمّل عنه ذلك مدرس من المدرسين، وعلى الآباء تشجيع المدرس قدر المستطاع، وعلى غرار ذلك تجد أن بعض الآباء لا يهتمون بواجبهم نحو مدرسي أبنائهم وحتى أن البعض يظهرون شدة غضب على المدرس إذا صر على تربية الولد، فتجدهم واقفين ضد المدرس والمدرسة، ومن ذلك أيضا بعض الآباء لا يهتمون بتشجيع أولادهم عند ما تفوقوا على أقرانهم، لكأن الولد لم يفعل شيئا يستحق الثناء.

الحلول المقترحة:

ومن ماجب الدعاة نحو عامة المسلمين والآباء بصفة خاصة، بيان أهمية القرآن الكريم وفضل تعلّمه ووجوب تعليمه للأولاد، وذلك ليقوم كل أب بأداء واجبه نحو تربية ولده. كما يجب على الآباء أيضا الصبر والتحمل لمتابعة تصرفات أولادهم نحو تعلّم القرآن ويتم ذلك بالتعاون مع المدرسين في البيت وفي المدرسة. وكذلك يترتب على الآباء الاعتراف بمجهودات الأولاد المحتهدين المتفوقين بتقديم الهدايا والجوائز والتمجيد، حتي يشعر المتفوق على أنه معترف كما يشعر غيره بالغيرة ليجتهد.

المشكلات المتعلقة بالمجتمع:

كان للمجتمع أهمية كبرى في تربية الأبناء وتعليمهم، وذلك إذا كان المجتمع واعيا ومهتما بمستقبله، إلا أنه من المشكلات المتعلقة بتربية أولاد المسلمين من قبل المجتمع: عدم تقديم المساعدات المادية والمعنوية لتنمية المدارس القرآنية (الكتاتيب) لقصور الحكومة نحو ذلك. ومن المشكلات التي يثيرها المجتمع ضد تربية أبناء المسلمين التاهل في قمع أيدي الظالمين الذين لايهتمون بمستقبل المجتمع الإسلامي، فتجدهم مغرقين في فتح الملاهي، كالأندية المضلة وبيوت مشاهدة الأفلام الفاسدة، مما يؤدي إلى صرف خواطر أولاد المسلمين نحو الفساد، بدلا الاهتمام بدروسهم.

الحلول المقترحة:

يستحسن للموسرين من أبناء المجتمع تصريف جزء من زكاة أموالهم في سبيل الله نحو تطوير المدارس القرآنية (الكتاتيب)، مما يساعد في ايقاف مشكلة التسول من قبل أبناء المعسرين من التلاميذ، ومن واجب الجتمع كذلك مقاومة انتشار الرزائل بأنواعها بين أبناء المسلمين.

المشكلات المتعلقة بالمدرسين:

ولا شك أن بعضا من مدرسي الكتاتيب ينقصهم الإخلاص في إنجاز أعمالهم، كما أن الضعف وعدم الثقة بالنفس قد تسلل في نفسية كثير من مدرسي الكتاتيب، مما يؤدي إلى سوء الإدارة والفشل عن الوصول إلى الغاية.

الحلول المقترحة:

يجب على مدرس القرآن الكريم أن يحسن نيته وأن يتخلق بالإخلاص، وأن تكون غايته ابتغاء مرضات الله تعالى، وذلك هو أساس النجاة في كل عمل خيري، كما يجب على مدراء هذه المدارس تجنب اتباع الهوى في إدارة مدارسهم، وكذلك على المدرس التواضع وعدم الشعور بالنقص في إنجاز أعماله.

المشكلات المتعلقة بالطلبة:

ومن المشكلات المتعلقة بطلبة المدارس الفرآنية (الكتاتيب) عدم شعورهم بأنهم يتعلمون أفضل علم على وجه الأرض، ألا وهو كتاب الله، أضف إلى ذلك قلة الممارسة في تعلّم اللغة العربية مما يؤدي إلى مواجهة الصعوبة في تعلّم أحكام النجويد، وناهيك عن اللغة الإنجليزية وسائر المعارف الحديثة، وقد يؤدي ذلك إلى عدم توظيفهم في الأعمال الحكومية وغيرها من القطاعات الخاصة.

الحلول المقرحة:

يترتب على طلبة المدارس القرآنية الشعور بعزة غير مفرطة ككل تلميذ على وجه الأرض، وكذلك يجب عليهم الاهتمام بتعلّم مادة التجويد.كما ينبغي أن يبذل دارس القرآن قصارى جهده على تعلّم سائر مواد العلوم الإسلامية وغيرها من المعارف.

المحور الرابع: مستقبل المدارس القرآنية في منطقة غُومْبِي

سوف تسلط هذه النقطة أضواء على مستقبل المدراس القرآنية (الكتاتيب) بمنطقة غُومْبِي في الأسطر التالية:

- الابتعاد عن التسول لطلبة المدارس القرآنية، عند ما تتكاتف الحكومات والأغنياء لتحمل مسئوليات هذه المدارس في منطقة غومبي.

- ارتفاع منزلة المدارس القرآنية (الكتاتيب) في منطقة غومبي.

- إنشاء هيئة مستقلة تهتم بالمدارس القرآنية (الكتاتيب) وبشؤونها.

- مشاركة طلبة المدارس القرآنية بعد التخرج في بناء المجتمع وتطوره.

- توظيف خريجي المدارس القرآنية في الأعمال الحكومية المختلفة وغيرها من القطاعات الخاصة.

الخاتمة

اختتمت هذه الجولة العلمية القصيرة حول منطقة غُومْبِي ونظام المدارس القرآنية فيها والمشكلات التي تحدد هذا النظام، وعلى غرار ذلك استنتج البحث مايلي: أن للمدارس القرآنية صلة قوية بتاريخ الدين الإسلامي ووصوله إلى مناطق نيجيريا. وأن لنظام المدارس القرآنية مراحل تسلك للوصول إلى الهدف، وهو حفظ كتاب الله (القرآن الكريم) وتطبيق تعاليمه المختلفة. وكذلك هناك مشكلات تواجه المدارس القرآنية، ويأمل الباحث أن تمد الحكومة والأفراد أيدي العون لحل هذه المشكلات، ومن ذلك يتنبأ الباحث بأن للمدار القرآنية بمنطقة غُومْبِي مستقبل حسن إذا اهتمت الحكومات والمجتمعات بأمر هذه المدارس.

التوصيات:

أنه من واجب ووزارة التربية والتعليم بالتعاون مع المجتمعات والأفراد الاهتمام التام بشئون المدارس القرآنية.

الهوامش والمراجع:

١- هذه الشجرة تسمى بلغة المحلية (Kuka).

٢- FerdyAgbah-Gombe the people, the land, the making of an emir (1989)p

٣- [١]: Gombe History of Land and people y- p.g 92 كتاب ألف بالإنجليزية.

٤- محمد بشير محمد بحث مقدم إلى جامعة ميدغري سنة 2007م.

٥- المرجع السابق ص: 15

٦- بابيو محمد (كلية كويتي للغة العربية والدراسات الإسلامية ودورها في نشر الثقافة العربية) بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ميدغري سنة 2005م.

٧- صفحات انتقال التأمير عثمان بن أبي بكر على إمارة غومبي1986م.

٨- مقابلة شخصية مع ثندوا أبوبكر أمين وزارة التربية المحلية غومبي سابقا بيته في اليوم ٣٠-٩-٢٠١٩م

٩- آدم عمر إبراهيم (بحث مقدم إلى جامعة ميدغري سنة 2002م ص: 15

١٠- المرجع: السابق: ص ١٧.

١١- محمد بشير محمد بحث مقدم إلى جامعة ميدغري عام 200م.

١٢- آدم عمر إبراهيم بحث مقدم إلى جامعة ميدغري سنة 2002م ص: 10

١٣- خليفة الحاج عمر بحث مقدم إلى جامعة ميدغري سنة 2011م ص : 12.

١٤- أبوبكر جيبو، جامعة ميدغري ٢٠١٤م. بعنوان: تطورات الكتاتيب الأهلية في إدارة غومبي.

١٥- Alkali 1a, The Establishment of Gombe Emirate 1804-1882 p3

١٦- الدكتور علي أبوبكر المرجع السابق , ص : ١٥ .

١٧- المقابلة الشخصية مع ألرمى شمس الدين رابع محمد , في اليوم السبت ٥\١٢\١٤٣٦ هـ = ١٩\٩\٢٠١٩

دور البلاغة العربية في تفسير القرآن الكريم

الدكتور / تُكُرْ أبوبكر
٠٨٠٣٢٥٠٥٢٢٤ - abubakartukur9@gmail.com
و
الدكتور / عمر موسى غُدُنْ
٠٨٠٣٣٢٢٠٩٠١ – umar1959@yahoo.com
محاضران بكلية شيخ شاغاري للتربية صكتو، نيجيريا

المقدمة التمهيدية:

تحدثت هذه المقالة عن ما يجب على المفسر أن يهتم به من بلاغة العربية وفصاحتها حتى يتمكن في فهم كتاب الله، وإيصاله لغيره. هذا، وسيدور محور هذه المقالة على العناصر التالية: ملخص البحث، والتمهيد، ثم نبذة يسيرة عن أقوال علماء بلاغة القرآن وفصاحته، ثم الحديث عن الدور البلاغي في حقول التفسير، كما تناول البحث بعض الأمثلة للدور البلاغي في الآيات القرآنية، ثم الخاتمة والهواشي ومراجع البحث.

يعتبر علم البلاغة من أجل علوم العربية قدرًا، إذ به يعرف دقائق اللغة وسر الفصاحة فيها، وبه يعرف بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم، فلا غنى للمفسر عنه. يقول الزركشي: "وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة، والمجاز، وتأليف النظم، وأن يؤاخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك"[١]. ويقول أيضا: "من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليمًا من القادح، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل؛[٢] ولقد كان الواحدي سباقًا في ذلك حيث جعل البلاغة أحد القواعد الهامة لتفسير كتاب الله، فيقول: "فقلت: إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو والأدب -فإنهما عمدتاه- وإحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاستعارات الباهرة، والأمثال النادرة، والتشبيهات البديعية، والملاحن الغريبة، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير مما لايوجد مثله في سائر اللغات؛ فجعل البلاغة مع النحو والأدب طريقًا إلى معرفة تفسير كلام الله، وذكر بعض أنواع البلاغة كالاستعارة، والتشبيه، والإيجاز، وغير ذلك مما يدخل تحت قوله "والملاحن الغريبة"؛ وقد دأب في كتابه "البسيط" على محاولة إظهار إعجاز القرآن بما حوى من فصاحة في الأسلوب، وبلاغة في التركيب، وكان هذا النهج واضحًا في تناوله لمفردات الآيات وتركيبها، وما اعتماده كتاب "نظم القرآن" لأبي علي الجرجاني مصدرًا مهّمًا في تفسيره إلا دلالة قوية على ذلك. كما أفاد من كتب ابن الأنباري حول تفسير مشكل القرآن شيئًا من

الصور البلاغية. ومن خلال هذا العرض الموجز يدل دلالة واضحة وصريحة على أهمية دور البلاغة العربية في تفسير كتاب الله تعالى.

نبـذة يسيـرة عن أقـوال علماء بلاغة القـرآن وفصاحتـه:

يجدر بنا في هذه النقطة أن ننقل جما من أقوال المشاهير بشأن بلاغة القرآن، وفصاحته بصفة عامة فيما يلي:[٣]

١- يقول أبو العلاء المعري: "وأجمع ملحد ومهتد أن هذا الكتاب الذي جاء به محمّد - ﷺ - كتاب بهر بالإعجاز، ولقى عدوه بالإرجاز، ما حذى على مثال، ولا أشبه غريب الأمثال، ...ما هو من القصيد الموزون، ولا الرجز، ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة، وجاء كالشمس، لو فهمه الهضب لتصدع، وأن الآية منه أو بعض الآية لتعرض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون، فتكون فيه كالشهاب المتلألىء في جنح غسق، والظهرة البادية في جدوب".

٢- الوليد بن المغيرة المخزومي ، وهو رجل عرف بين عرب الجاهلية بكياسته وحسن تدبيره، ولذلك سمي "ريحانة قريش"، سمع آيات من سورة غافر فرجع إلى قوم من بني مخزوم فقال لهم: "والله لقد سمعت من محمّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو، وما يعلى عليه"[٤].

٣- يقول العالم المؤرخ البريطاني "كارليل" حول القرآن: "لو ألقينا نظرة على هذا الكتاب المقدس لرأينا الحقائق الكبيرة، وخصائص أسرار الوجود، مطروحة بشكل ناضج في مضامينه، ممّا يبين بوضوح عظمة القرآن. وهذه الميزة الكبرى خاصة بالقرآن، ولا توجد في أي كتاب علميّ، وسياسي، واقتصادي آخر. نعم، قراءة بعض الكتب تترك تأثيراً عميقاً في ذهن الإنسان، ولكن هذا التأثير لا يمكن مقارنته بتأثير القرآن. من هنا ينبغي أن نقول: المزايا الأساسية للقرآن، ترتبط بما فيه من حقائق وعواطف طاهرة، ومسائل كبيرة، ومضامين هامة لا يعتريها شك وترديد. وينطوي هذا الكتاب على كل الفضائل اللازمة لتحقيق تكامل البشرية وسعادتها"[٥]

٤- يقول: جان ديفن بورت مؤلف كتاب: (الاعتذار إلى محمّد والقرآن): "القرآن بعيد للغاية عن كل نقص، بحيث لا يحتاج إلى أدنى إصلاح أو تصحيح، وقد يقرؤه شخص من أوّله إلى آخره دون أن يحسّ بأي ملل"[٦].

وكل هذه الأقوال تدل دلالة واضحة على الاعتراف ببلاغة القرآن وفصاحته، وأن المتمكن في العلوم البلاغية هو الذي يقف على أسرار كلام المولى جل من علاه.

الـدور البـلاغـي في في حقول تفسيـر القـــرآن:

لقد لعبت البلاغة العربية دورا فعالا في تطوير تفسير كتاب الله تعالى، وبيان معانيه ومراده. ومن خلال دراسة البلاغة العربية ندرك إدراكا تاما بأن القرآن الكريم امتاز بفصاحته عن كلام المخلوقين، وأن نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته[٧]. ومن الدور البلاغي في تفسير القرآن أننا من خلال دراسة البلاغة العربية نقف على أن الحروف المقطعة في أوائل السور حروف هجائية. ذكرت للدلالة على إعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته مثله، مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها ليكون عجزهم أبلغ في الحجة عليهم وهذا اختيار جماعة من المحققين[٨]. يقول أحد الباحثين "هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطَّعة في أوائل السور فيها إشارة إلى إعجاز القرآن؛ فقد وقع به تحدي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركَّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب، فدَلَّ عجز العرب عن الإتيان بمثله -مع أنهم أفصح الناس- وذلك لأن القرآن وحي من الله[٩]. ومن الدور البلاغي لتفسير القرآن الكريم أيضا نظم القرآن ونسقه، وتركيب جمله، وبراعة بلاغته، مما حير ذوي الألباب، وأخرس ألسنة المعاندين، وأجبرهم على الإقرار بالعجز عن الإتيان بمثله. ومن الدور البلاغي كذلك في تفسير القرآن، أنه من خلال دراستك للبلاغة العربية تدرك إدراكا تاما أن في حكاية القصص سلوك أسلوب التوصيف والمحاورة وذلك أسلوب لم يكن معهودا للعرب فكان مجيئه في القرآن ابتكار أسلوب جديد في البلاغة العربية شديد التأثير في نفوس أهل اللسان وهو من إعجاز القرآن؛ إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع ولا يستطيعون الإتيان بمثله، إذ لم يعتادوه انظر إلى حكاية أحوال الناس في الجنة، والنار، والأعراف في سورة الأعراف فكان من مكملات عجز العرب عن المعارضة[١٠]. وكذلك من الدور البلاغي في تفسير القرآن أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغا حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملا على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آيه المفسرة بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار، فالمفسر بحاجة إلى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي، وخصائص بلاغته وما فاقت به آي القرآن في ذلك لئلا يكون المفسر حين يعرض عن ذلك بمنزلة المترجم لا بمنزلة المفسر.

فمن أعجب ما نراه خلو معظم التفاسير عن الاهتمام بالوصول إلى هذا الغرض الأسمى إلا عيون التفاسير فمن مقل مثل معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج، والمحرر والوجيز للشيخ عبد الحق بن عطية الأندلسي، ومن مكثر مثل الكشاف. ولا يعذر في الخلو عن ذلك إلا التفاسير التي نحت ناحية خاصة من معاني القرآن مثل أحكام القرآن على أن بعض أهل الهمم العلية من أصحاب هذه التفاسير لم يهمل هذا العلق النفيس كما يصف بعض العلماء كتاب أحكام القرآن لإسماعيل بن إسحاق بن حماد المالكي البغدادي وكما نراه في مواضع من أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي. ثم إن العناية بما نحن بصدده من بيان وجوه

البلاغة العربية في القرآن إنما نبعت من مختزن أصل كبير من أصول الإسلام وهو كونه المعجزة الكبرى للنبي ﷺ، وكونه المعجزة الباقية التي تحدى بها الرسول معانديه تحديا صريحا. قال تعالى: (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)[١١]، ولقد تصدى للاستدلال على هذا أبو بكر الباقلاني في كتاب له سماه: "إعجاز القرآن" وأطال.

والمدلول في ذلك أن رسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بنيت على معجزة القرآن، وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات وأحوال خاصة، ونقل بعضها متواترا وبعضها نقل نقلا خاصا، فأما القرآن فهو معجزة عامة، ولزوم الحجة به باق من أول ورودها إلى يوم القيامة، وإن كان يعلم وجه إعجازه من عجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله، فيغني ذلك عن نظر مجدد وكذلك عجز أهل كل عصر، ودليل ذلك متواتر من نص القرآن في عدة آيات تتحدى العرب بأن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، مما هو معلوم ناهيك أن القرآن نادى بأنه معجز لهم نحو قوله تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)[١٢]، فإنه سهل وسجل: سهل عليهم أن يأتوا بمثل سورة من سوره، وسجل عليهم أنهم لا يفعلون ذلك أبدا، فكان كما سجل فالتحدي متواتر وعجز المتحدين أيضا متواتر بشهادة التاريخ، إذ طالت مدتهم في الكفر ولم يقيموا الدليل على أنهم غير عاجزين، وما استطاعوا الإتيان بسورة مثله ثم عدلوا إلى المقاومة بالقوة[١٣]؛ كما قال أيضا: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)[١٤]؛ وكذلك قال: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله)[١٥]. فعجز جميع المتحدين عن الإتيان بمثل القرآن أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم وسكوتهم عن المعارضة مع توفر دواعيهم عليها[١٦].

بعض الأمثلة للدور البلاغة في تفسير القرآن:

واعلم أنه لا شك في أن خصوصيات الكلام البليغ ودقائقه مراده لله تعالى في كون القرآن معجزا وملحوظة للمتحدين به على مقدار ما يبلغ إليه بيان المبين. وان إشارات كثيرة في القرآن تلفت الأذهان لذلك، ومن الأمثلة التي توضح دور البلاغة العربية في تفسير كتاب رب الأرباب، ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول: أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائماً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه، وذكر ذلك بعدها دائماً دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن، وأنه حق، ومما يوضح ذلك الأمثلة التالية: قال تعالى في فاتحة سورة البقرة: (الم)، واتبع ذلك بقوله: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ)[١٧]، وقال في فاتحة سورة آل عمران: (الم)،

واتبع ذلك بقوله: (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)[١٨]، وقال كذلك في بداية سورة الأعراف: (المص) ، ثم تبع ذلك بقوله: (كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ)[١٩]؛ وقال في أول سورة يونس: (الر)، ثم قال: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)[٢٠]، وقال في مبدإ سورة هود (الر)، ثم قال: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)[٢١]، وفي أول يوسف: (الر)، ثم قال: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً)[٢٢].....إلخ، وهكذا.

ومن أمثلة أخرى للدور البلاغي في تفسير القرآن ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: قسمت الصلاة "أي سورة الفاتحة" بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذ قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي"، وقال مرة: فوض إلي عبدي"، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل[٢٣]؛ ففي هذا الحديث تنبيه على ما في نظم سورة فاتحة الكتاب من خصوصية التقسيم إذ قسمت الفاتحة ثلاثة أقسام. وحسن التقسيم من المحسنات البديعية. مع ما تضمنه ذلك التقسيم من حسن التخلص في قوله: "فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: "هذا بيني وبين عبدي"، إذ كان ذلك مزيجا من القسمين الذي قبله والذي بعده؛ ولنأخذ الأمثلة البلاغية في هذه السورة لننظر مدى إثراء هذا الجانب، ومن ذلك قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"[٢٤]، وقوله: "إِيَّاكَ" بعد قوله: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"[٢٥]، رجوع من الغيبة إلى الخطاب، والعرب تفعل ذلك كثيرًا، وهو نوع من البلاغة والتصرف في الكلام، ومثل هذا قول الله تعالى: "وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا"[٢٦]، ثم قال: "إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً[٢٧] فذكر أحد أنواع علم المعاني التي يسميها البلاغيون "الالتفات".

هذا، فنحن نحاول تفصيل شيء مما أحاط به علمنا من وجوه الإعجاز: نرى من أفانين الكلام الالتفات وهو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها؛ وهو بمجرده معدود من الفصاحة وسماه ابن جني شجاعة العربية لأن ذلك التغيير يجدد نشاط السامع فإذا انضم إليه اعتبار لطيف يناسب الانتقال إلى ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة وكان معدودا عند بلغاء العرب من النفائس وقد جاء منه في القرآن ما لا يحصى كثرة مع دقة المناسبة في الانتقال.

ومن أمثلة دور البلاغة العربية في تفسير القرآن أنه من خلال دراسة البلاغة تدرك إدراكا تاما أن قوله تعالى: "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ"[٢٨] فيها نوعًا آخر من أنواع البلاغة، ألا وهي أراد الله "على مواضع سمعهم"، فحذف المضاف، كما تقول العرب: تكلم المجلس، وهم

يريدون أهله، وحذف المضاف كثير في التنزيل والكلام؛ وهذا النوع يسميه علماء البلاغة: "مجازًا عقليًّا"

ومن أمثلة دور البلاغي في تفسير القرآن قوله تعالى: "فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ"[٢٩]، ومعنى قوله: "فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ"، أي: ما ربحوا في تجارتهم، وأضاف الربح إلى التجارة؛ لأن الربح يكون فيها، وهذا كلام العرب يقولون: ربح بيعك، وخسر بيعك، ونام ليلك، وخاب سعيك ... إلخ).

كما تجد أن البلاغة العربية تكشف النقاب عن التشبيه الوارد في كتاب رب الأرباب وهو أحد أنواع علم البيان، فتعرف وتذكر أهميته لما فيه من حسن البيان وقرب الاستدلال، لذلك كثر في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا"[٣٠]، قال المبرد: "والمثل من الكلام: قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فمعنى قولهم: مثل بين يديه إذا انتصب، معناه: أشبه الصورة المنتصبة بين يديه؛ والأمثال أصل كبير في بيان الأشياء، وذلك لأن الشيء يعرف بشبهه ونظيره، والأمثال تخرج ما يخفى تصوره إلى ما يظهر تصوره، والمثل بيان ظاهر على أن الثاني مثل الأول، والأمثال متداولة سائرة في البلاد، وفيها حكم عجيبة وفوائد كثيرة، وقد ذكر الله تعالى الأمثال في غير موضع من كتابه لما فيها من حسن البيان وقرب الاستدلال، والمقصود بالمثل البيان عن الحال الممثل، وحقيقته ما جعل من القول كالعلم للتشبيه بحال الأول".[٣١]

وكذلك أن البلاغة العربية توضح مراعاة التجنيس الوارد في كتاب الله، والتجنيس من المحسنات ومنه قوله تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه)[٣٢]، وانظر التمثيلية في قوله تعالى (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار) الآية، ففيه إتمام جهات كمال تحسين التشبيه لإظهار أن الحسرة على تلفها أشد.

إن نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة فجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي كله ولها دلالتها البلاغية التي يشاركها في مجملها كلام البلغاء ولا يصل شيء من كلامهم إلى مبلغ بلاغتها؛ ولها دلالتها المطوية وهي دلالة ما يذكر على ما يقدر اعتمادا على القرينة وهذه الدلالة قليلة في كلام البلغاء وكثرت في القرآن مثل تقدير القول وتقدير الموصوف وتقدير الصفة، ولها دلالة مواقع جمله بحسب ما قبلها وما بعدها ككون الجملة في موقع العلة لكلام قبلها أو في موقع الاستدراك أو في موقع جواب سؤال أو في موقع تعريض أو نحوه. وهذه الدلالة لا تتأتى في كلام العرب لقصر أغراضه في قصائدهم وخطبهم بخلاف القرآن فإنه لما كان من قبيل التذكير والتلاوة سمحت أغراضه بالإطالة وبتلك الإطالة تأتى تعدد مواقع الجمل والأغراض.

الخـــاتمـة :

ومن خلال ما عرضه الباحثان يتبدى للقارئ كيف تمكن للباحثين من بيان أن البلاغة من أجل علوم العربية قدرًا، إذ بها تعرف دقائق اللغة وأسرار الفصاحة، وبها أيضا تعرف وجوه إعجاز القرآن الكريم، كما استنتج الباحثان النقاط التالية :

١- أن البلاغة العربية تلعب دورًا أساسيا، وفعالا في تفسير القرآن.

٢- وأن المشاهير من علماء البلافة المسلمين منهم وغير المسلمين أثبتوا للقرآن ذروة سنام البلاغة والفصاحة.

٣- أن للبلاغة دور في تفسير القرآن الكريم من جانب بيان نظمه، ونسقه، وتركيب جمله، وبراعة بلاغته، مما حير الألباب، وأخرس ألسنة المعاندين، وأجبرهم على الإقرار بالعجز عن الإتيان بمثله.

الهـوامـش والمـراجـــع :

١- الزركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله ،البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١/ ٣١.

٢- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ١ / ٤٧.

٣- الزركشي ،المصدر السابق، جـ٢ صـ١٠٩ : ١١٥

٤- عبد الرحمن بن محمد القماش ،جامع لطائف التفسير ، ١/ ٢٠

٥- عبد الرحمن بن محمد القماش ، المصدر نفسه ، ٢٠/١

٦- عبد الرحمن بن محمد القماش ، المصدر نفسه ، ٢٠/١

٧- ابن جزى ،التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ١ ، ص ٢٥

٨- انظر: "الكشاف" ١/ ٧٦، و"تفسير ابن كثير" ٢/ ٢٢٤، والشوكاني ٢/ ٢٧٣، والشنقيطي ٣/ ٣ - ٧.

٩- عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، التفسير الميسر ، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، www.qurancomplex.com

١٠- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، التحرير والتنوير من التفسير ، موقع التفاسير ، http://www.altafsir.com ، ج١ ص ٣٦
١١- سورة العنكبوت ، الآية ٥٠- ٥١
١٢- سورة البقرة ، الآية ٢٣-٢٤
١٣- سورة البقرة ، الآية ٢٣-٢٤
١٤- سورة يونس ، الآية ٣٨
١٥- سورة هود ، الآية ١٣
١٦- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري،الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ ، ٣٤/٣
١٧- سورة البقرة ، الآية ١ -٢
١٨- سورة آل عمران ، الآية١-٣
١٩- سورة الأعراف ، الآية ١ -٢
٢٠- سورة يونس ، الآية ١-٢
٢١- سورة هود ، الآية ١-٢
٢٢- سورة يوسف ، الاية ١- ٢
٢٣- سورة الرعد ، الآية ١-٢
٢٤- سورة إبراهيم ، الاية ١-٢
٢٥- سورة الحجر ، الآية ١-٢
٢٦- سورة طه ، الآية ١-٢
٢٧- سورة الشعراء ، الآية ، ١-٣
٢٨- سورة النمل ، الآية ١-٢
٢٩- سورة القصص ، الآية ١-٣
٣٠- سورة لقمان ، الآية ١-٣
٣١- سورة السجدة ، الآية ١-٢

٣٢- سورة يس ، الآية ١-٢
٣٣- سورة ص ، الآية ١-٢
٣٤- سورة المؤمن ، ١-٢
٣٥- سورة فصلت ، ١-٣
٣٦- سورة الشورى ، الآية ١-٢
٣٧- سورة الزخرف ، الآية ١-٣
٣٨- سورة الدخان ، الآية ١-٢
٣٩- سورة الجاثية ، الآية ١-٢
٤٠- سورة الأحقاف ، الآية ١-٣
٤١- سورة ق ، الآية ١-٢
٤٢- الإمام مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم ، باب وجوب قراة الفاتحة في كل ركعة ، ٩/٢
٤٣- سورة الفاتحة: ٥
٤٤- سورة الفاتحة: ٤
٤٥- سورة الإنسان: ٢١
٤٦- سورة الإنسان: ٢٢
٤٧- سورة البقرة، الآية ٧
٤٨- سورة البقرة، الآية ١٦
٤٩- سورة البقرة، الآية ١٧
٥٠- المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس (المتوفى : ٢٨٥هـ)، ا لكامل في اللغة والأدب ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر : دار الفكر العربي - القاهرة ، الطبعة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ٣/ ٤٥
٥١- سورة الأنعام ، الآية ، ٢٦
٥٢- سورة إبراهيم ، الآية ٢٥
٥٣- المرزوقي ، الأمالي ،موقع الوراق ، http://www.alwarraq.com ، ٨٣/١

نظام المدارس القرآنية في نيجيريا: المدارس المدمجة النموذجية للمهاجرين في صكتو أنموذجا

الدكتور محمد عمر موسى
٠٨٠٦٣٣٧٤٤٩٣muhdhaki2@gmail.com
و
سليمان محمد بلّو
٠٨٠٦١٣٧٣٤٧٢ محاضران بقسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي صكتو

التمهيد:

المدارس القرآنية هي تلك المدارس التي يتعلم فيها أولاد المسلمين القرآن الكريم، ويطلق عليها في العرف المحلي مدرسة اللوح، وذلك لأن التلاميذ يتعلمون القرآن فيها مكتوب على الألواح الخشبية، كما يطلق على طلبة هذه المدارس كلمة (المَاجِرِي)، وهذا المصطلح مأخوذة من الكلمة العربية التي تحمل في اللغة العربية معاني عدة منها: الترك، ومنه حديث أبي الدرداء ﷺ: ولا يسمعون القرآن إلا هجرا، يريد الترك والإعراض عنه. ويقال هجرت الشيء تركته، والهجرة بضم الهاء وكسرها: الخروج من أرض إلى أرض؛ والمهاجرون هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة[١]. وقد تطلق كلمة المهاجر في النظام التعليمي المحلي النيجيري على كل من هاجر قومه ووطنه وأهله إلى بلد آخر طلبا للمعارف الإسلامية، وهي المعنى المراد في هذه المقالة. ثم تطورت الكلمة من هذا المعنى إلى معان منها: العالم والمتعلم للعلوم الإسلامية، وكذلك تطلق كلمة (الماجري) على كل متسول حتى وإن لم يكن متعلما، وذلك لتشويه صورة المهاجر الحقيقي الذي همه تعلم القرآن الكريم[٢]. وتنقسم هذه المدارس إلى قسمين، قسم يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن فقط من غير حفظ والقسم الثاني يتعلم فيه الطلبة قراءة القرآن مع الحفظ[٣].

نظام تعليم القرآن في بعض البلدان المغرب العربي والإسلامي:

لاحظ الباحث أن التعليم القرآني والعربي له علاقة وطيدة وتأثر قوي بالبلاد الصحراوية وحتى الخط المستعمل في نيجيريا مغربي قبل تسرب أنواع أخرى من الخط العربي إلينا عن طريق الذين درسوا في بعض المدارس النظامية[٤]. ولقد كانت الشناقطة من اللأمم المسلمة التي تهتم بتعليم القرآن الكريم للاطفال وكان لهم حظ في الحرص على أن يكون القرآن الكريم هو اللبنة الأولى لأساس تعليم أطفالهم كما بذلوا طاقاتهم للوصول إلى حفظه[٥].

وإن نظام تعليم القرآن المتبع في شمال نيجيريا متأثر جدا بنظام التعليم القرآني في البلاد المغربية الصحراوية، بحيث يكون الطلاب ساكنين في بيت المربي ويخدمونه في بعض الأحايين.

وفي مورتانيا عند الشناقطة[٦] على سبيل المثال يكون الطلاب في مقر الشيخ ويستقرون في محضرته مهما كان مستوى أسرهم المادي أو المعنوي[٧]، بحيث يكون التلاميذ تحت تصرف الشيخ يرعون له ماشيته ويطبخون له الطعام إذا لم يكن عنده إماء للخدمة، ويغسلون له الملابس إلى غير ذالك من أنواع الخدمات، بل إن خدمة الشيخ عندهم مقدمة على خدمة الأهل[٨]؛ ونجد مثل ذلك في مدارسنا القرآنية في نيجيريا، حيث كان الآباء يرون أن إرسال الولد إلى المدرسة القرآنية أساسا لتعلم العلوم الدينية الإسلامية والعربية. وقد يحاول الأستاذ المربي أن يجد أرضا يزرعها ويستعين في ذلك بتلاميذه وإلى هذا يشير الدكتور علي أبوبكر حيث يقول: "وقد أساء بعض هؤلاء المعلمين استعمال هذه المدارس خصوصا في القرى حيث أخذوا يسخرون هؤلاء الأولاد في فلاحة أراضيهم الزراعية، واتخذ بعضهم عادة التنقل من القرى إلى المدن مع هؤلاء الأولاد حيث يصبح الأولاد متسولين..."[٩]

تأثر النيجيريين بالشناقطة في منهج التدريس:

وعند الشناقطة عندما يبلغ الطفل سن الخامسة في الغالب يرسله أهله إلى من يعلمه الحروف الأبجدية، وتتولى النساء هذه المهمة غالبا فتقوم امرأة بهذه المهنة بتعليم الطفل جميع الحروف الأبجدية مع حركاتها حتى إذا أتقن ذلك تستحق المعلمة ماهو متعارف عليه في تلك المنطقة فتعطى جذعة من الإبل أو البقر هذا فضلا عن المعونات التي كانوا يقدمونها إليها أثناء دراسة الطفل. وبعد هذه المرحلة يؤخذ الطفل إلى شيخ حيث يتعلم الطفل الكتابة تدريجيا فيحفظ الطفل في هذه المرحلة السور القصار حتى يكمل الجزء الثلاثين وهكذا[١٠].

وأما في نيجيريا فقد كان فيها مثل هذه العادات عند تعليم الأولاد، يقول الدكتور علي أبوبكر:

> وهناك سور معينة وأحزاب يطالب المعلم أبا الطالب بالتصدق له بطعام أو خروف إذا وصل إليها. وهذه الصدقة تذهب إلى المعلم نفسه...أما إذا ختم الولد القرآن فلا بد أن يقيم والده احتفالا رائعا يحضره الأقارب والأصدقاء ليباركوا في الولد أو البنت وليملؤوا جيب المعلم أيضا على حد تعبير النيجيريين.....ولا يبعد أن تكون هذه العادة قد دخلت نيجيريا من شمال إفريقيا. وأكبر دليل على ذلك هو الفتوى الذي التي استفتاها شمس الدين محمد بن محمد اللمتوني جلال الدين عبد الرحمن السيوطي حيث سأله قائلا: "منهم من يقرئ الصبيان فإذا ختم واحد أو بلغ النصف أو الثلث حملوه على درقة أي جلد من فوق رؤوسهم أو على فرس أو جمل ويجتمع عليه القراء ويطوفون به البلد كله يقرؤون عليه آيات الرجاء ومدائح رسول الله ﷺ فيعطيهم الناس طعاما وشرابا وغمنا وثيابا فيتركونه للفقيه[١١]."

ويبدو أن السبب في ذلك هو أن معظم الآباء أو أولياء الأولاد لا يقدمون شيئا للمعلم مقابل تعليمه لأولادهم، ولذلك أخترع المعلمون هذه الطريقة وأوهموا الآباء أن عدم القيام بهذه الصدقة يجعل الولد غبيا وثقيل الفهم بذلك فإن الأولاد أنفسهم يلحون على آبائهم في إعطاء هذه الصدقة ليفتح الله عليهم ويزيدهم حد الذكاء[١٢].

وأما في الجزائر فإن المد ارس القرآنية لا تختلف كثيرا عما سبق، وبإيجاز شديد تذكر مختارية تراري وهي بصدد الحديث عن التعليم بالكتاتيب القرآنية فتفول: " شملت المؤسسات التربوية القديمة للمدرسة القرآنية كلا من الكتاتيب والمساجد والرابطات والمكتبات العمومية والخاصة وقصور الأمراء ودور العلماء وحتى الدكاكين، وظهر هذا التعليم في أواخر القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث قام ببعث عشرة فقهاء أهل علم وفضل فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام[١٣]. "

صفات الشيخ المربي عند الشناقطة:

إن اهتمام الشناقطة بالقرآن الكريم وتعليمه جعلهم يشترطون للشيخ المربي الذي يتولى تدريس الأولاد أن تتوفر فيه بعض الشروط اللازمة منها: حصوله على سند بقراءة القرآن الكريم من شيخ موثوق به، ومعرفته بطرق تدريس القرآن الكريم، وغزارة المادة العلمية، وحسن الأخلاق، والرأفة بالتلاميذ، وعزة النفس؛ وبالنسبة إلى الاتصاف بمثل هذه الصفات قال شداع الجرجاني:

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ** لأخدم من لاقيه لكن لأخدما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلـــــة** إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ** ولو عظموه في النفوس لعظما[١٤]

إلا أن هذه الشروط ليست من الشروط اللازمة في تعليم القرآن عندنا في نيجيريا ومؤهلات المعلم هي مقدرته على قراءة القرآن قراءة صحيحة ويحفظ على الأقل أحزابا من القرآن، فمتى ما تحصل على هذين الشرطين فقد أصبح كفؤا للتدريس في هذه المدارس.[١٥]

المدارس القرآنية قبل .الاستقلال:

قد ظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام، وكان المسلم النيجيري كغيره يرسل الأطفال بنين وبنات إليها، فيتعلمون شيئا من القرآن كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية، ولم تكن تلك المدارس تخضع لأي نظام معلوم، مثلا كالمعاهد الدينية التابعة للأزهر في العهد القديم، تلك المعاهد التي كانت تدخل في نظام الأوقاف[١٦]، فليس للحكومة عليها يد، ويستطيع كل عالم أن يفتحها ويدرس فيها إذا حفظ بعض السور القرآنية وتعلم الكتابة والقراءة وليس بشرط أن يحفظ القرآن كله كما كان الأمر في بعض البلدان الإسلامية[١٧]؛ وهذه المدارس رغم كونها

هكذا تعد المرحلة الأولية التي يبدأ بها طالب العلم مرحلته التعلمية منها ينتقل إلى ما بعدها ليبدأ بالكتب الفقهية فالأدبية فاللغوية فالنحوية فالصرفية حتى يصبح عالما من العلماء ويتفنن في فنون مختلفة من العلوم والمعارف، وقد أشار الشيخ عبد الله بن فودي إلى هذه المدارس حيث قال:

ومدارس أضنى بحب شهودهـــا ** فيها نجاح حوائج المتحـــوج

وجحاجح علماء يحلب رفدهـــم ** كل كبحر في العطاء متـــوج[١٨]

المدارس القرآنية في شمال نيجيريا بعد الاستقلال:

كانت المدارس القرآنية ولم تزل إحدى المراحل الأولية التي تكون أساسا قويا لطالب اللغة العربية. كما أنها هي اللبنة الأولى لكل من يريد التثقف بالثقافة الإسلامية والعربية معا، ومع ذلك يبدو أن المشاكلات التي تواجه المدارس القرآنية اليوم بدأت منذ حوالي عام ١٩٦٠م وذلك بعد الاستقلال النيجيري، ومنذ ذلك الوقت بدأت محاولات عدة لمعالجة هذه المشاكلات لكنها فشلت لسبب أو لآخر. وأكبر دليل على ذلك ما سجله غَلاَدَنْثِي عن هذه المشاكلات التي كادت تصبح مرضا عضالا، يقول وهو بصدد الحديث عن حالة التعليم العربي والقرآني في ذلك الزمن قائلا ما نصه: "

> وإذا كانت الحكومة المستعمرة قد أهملت المدارس القرآنية زمن الاستعمار ولم تحرك ساكنا في أمرها، ولم تقدم لها أية معونة مادية أو معنوية لعدم الاعتراف بها، في حين أنها كانت تقدم المساعدات لمدارس الإرساليات وتشرك رجالها في وضع سياسة التعليم، وليس لها عذر بعد الاستقلال أن تستمر على ذلك المنوال... وكانت لا تزال قضية المدارس القرآنية تشغل كثيرا من الناس كما تشغل رجال التعلم كذلك. وكان الناس لا يطالبون الحكومة بمساعدتها ويلحون في الطلب حتى ذلك إلى أن أصبح لرجال التعليم في الوزارة ثلاثة آراء إزاء المدارس القرآنية. وهذه الآراء هي:
>
> - تنظيمها بطريقة عصرية مع تحسين الإمكانيات الموجودة فيها، ببناء فصول مناسبة وإدخال مواد مدنية وتعيين مدرسين مدنيين ولاعتراف بها كمرحلة أولية لنظام التعليم الديني. ومعنى ذلك الاعتراف بثنائية التعليم وإدخال بعض التحسينات في هذه الطريقة باالتدريج حتى تتقارب الطريقتان في المستقبل.
> - تقديم مساعدات مالية وفنية من الحكومة إلى تلك المدارس كما كانت تقدم إلى مدارس الإرساليات، وتركها وشأنها لتنموا على طريقتها.

- الغاء نظام تلك المدارس والقضاء عليها وتحويل المدارس القرآنية كلها إلى مدارس إسلامية. وهذا يعني أيضا القضاءعلى ثنائية التعليم. وأصحاب هذا الرأي كانوا يعتقدون أن ذلك مما يسبب تطورا كبيرا في تاريخ التعلم الأولي. وإذا تحولت كل المدارس القرآنية وأصبحت مدارس أولية سينتشر العلم انتشارا بالغا ويعم كل المناطق مدنها وقراها، إذ أن عدد المدارس القرآنية كانت أضعاف عدد المدارس الأولية الحكومية[١٩].

ظاهرة التسول لدى تلاميذ المدارس القرآنية في مدينة صكتو:

لا يخامرنا شك في أنه من الصعوبة بمكان تحديد بلدة أو مدينة أو تاريخ معين بدأ فيه هذا النظام، لكن يرى بعض المؤرخين أن هذا النظام بدأ حوالي عام ١٩٥٩م، وما يقوله بعض الباحثين أن هذه الظاهرة بدأت منذ ١٩٠٤م فغلط لأن هؤلاء الباحثين يظنون أن المدارس القرآنية ومدارس التعليم العربي كلها بدأت على هذا النظام ولا يفرقون بين الأمرين[٢٠]. ولعل عدم معالجة المشاكلات التي تواجه المدارس القرآنية السابقة ذكرها هو الذي ساعد في ظهور التسول وتطوره لدى طلبة المدارس القرآنية، وذلك لأسباب، منها: إهمال الحكومة النيجيرية هذه المدارس من عدم تقديم مساعدات مادية ومعنوية لتطويرها؛ ومن ذلك أيضا اهمال العلماء نهج أسلافهم في نظام في تدريس الغرباء الوافدين من بلاد أخرى، حيث يشجعونهم على الأخذ بالحرفة أو التجارة لتجنب الوقوع في فقر يؤدي إلى التسول والتكفف[٢١].

ويذكر المؤرخون أن الأولاد الذين يأتون من بلدانهم وقراهم مع مدرسيهم ومربيهم بدأ يزداد من حين لآخر، لأن المدارس التي وضع أساسها الشيخ عثمان ومن كانوا معه على تعليم الأمة بدون أي مقابل لم تتوقف، بل ازداد عددها وكثر أصحابها.

إعادة النظر في نظام التسول في المدارس القرآنية:

رغم أن هذا النظام قد تخرج فيه العديد من الطلبة، ومنهم من واصلوا دراساتهم إلى درجة الدكتوراه والأستاذية، ومنهم من انخرطوا في سلك التجارة، حتى صاروا ممن يشار إليهم بالبنان. إلا أن الأحوان الاجتماعية قد تغيرت عما كانت عليه نتيجة المشكلات السياسية والاقتصادية والأمنية في شمال نيجيريا بصفة عامة، مما أدى إلى وجود عدد متزايد من الأولاد الذين هاجروا بلادهم خوفا من القتل أو الاختطاف وما إلى ذلك من الأخطار التي واجهت كثيرا من القرى والبوادي؛ وهذه المشكلات وغيرها هي التي جذبت انتباه بعض الباحثين إلى خطورة ترك الأولاد على هذا النظام بدون إعادة تنظيمه، فجاءت مبادرات لحل الخطورات المتوقعة من قبل الحكومة، منها: إنشاء إنشاء مدارس المهاجرين المدمجة للتعليم القرآني والعلوم المدنية لتربية هذا الصنف من الناشئين لتخليصهم من الوقوع في أياد ملوثة، و ليكونوا قادة تستفيد منهم الأمة والمجتمع في المستقبل؛ وهنا أسست المدارس تجمع بين

التعليم القرآني على الألواح ونظام التعليم الغربي تحت شعار: SANGAYA SYSTEM OF EDUCACION[٢٢]

وذلك عام ٢٠١٠م أيام الرئيس عمر موسى يَرْأَدُوَا حيث بدأت تقدم ورشات عملية لتدريب من سيتحملون تدريس الأولاد على هذا النظام تحت رئاسة الأستاذ الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنثي، بدأت الاستعدادات تتكامل فإذا المنية وافته. ولله در القائل:

ماكل مايتمنى المرء يدركـــه ** تجري الرياح بما لا تشتهي السفـــن

وبعد وفاته تولى الرئاسة غُدْلُوكْ إِبِلِي جُونَثَنْ وقبل أن يواصل الرئيس الجديد هذا المشروع بنى حاكم ولاية صكتو آنذاك الحاج علي مَغَاتَكَرْدَا وَامَكُّو مدرسة بمدينة صكتو، وأسماها: المدرسة المدمجة النموذجية للمهاجر: ALMAJIRI INTEGRATED MODEL SCHOOL

وذلك في عام ٢٠١٠م، وتقع المدرسة غرب قرية تسمى شُوني على طريق كانو خارج مدينة صكتو القديمة، ولم تزل هذه المدرسة تجري على هذا النظام بطلبة يبلغ عددهم ألف طالبا، وتعد هذه المدرسة هي الأولى من نوعها في شمال نيجيريا. وكانت حاليا تحت وزارة الشؤون الإسلامية بولاية صكتو، قبلت هذه المدرسة طلبة من صكتو وولايات أخرى من اليتامى وأولاد المساكين ممن لايقدرون مواصلة التعليم في المدارس الحكومية. وكان في المدرسة مسكن الطلبة تنفق الحكومة عليهم وعندما يحين وقت الإجازة يقدم إلى كل طالب ما يوصله إلى أهله من زاد السفر. وكذلك تبرع رجل من المحسنين بدار بناه على شكل الفصول في حكومة محلية وَامَكُّو ليكون توسعة وتطويرا لهذا النظام الجديد من تعليم القرآن الكريم، ويبلغ عدد الطلبة بهذا الفرع الجديد مائة طالب[٢٣].

أهداف إنشائها:

بنيت هذه المدارس لتحقيق أهداف دينية واجتماعية منها:

١- تقليل عدد الأولاد المتسولين في الشوارع.

٢- تقديم الإمكانية التعليمية للجميع

٣- فتح فرص التعليم لليتامى والمستضعفين من أولاد الفقراء واللاجئين

٤- تربية عدد كبير من الأولاد للاعتماد على النفس في المستقبل.

٥- إدخال المدارس القرآنية تحت النظام التعليمي المدني المعاصر.

٦- تقليل عدد المتطرفين ضد الحكومة نتيجة إهمالها لهم

٧- فتح فرصة التعليم المجاني لجميع أبناء الشعب بغض النظر عن الإقليم أو الدين أو القومية والطائفية.

٨- منع التنقل والتجول بالأطفال في المدن والقرى تحت شعار التعليم القرآني.

٩- تثقيف الطلاب بمهارات حاسوبية وبعض الحرف والصناعات

١٠- سد أسباب البطالة والصعلكة بين الجيل الناشئ .

وفي عام ٢٠١٢م نزل جُونَتَنْ رئيس نيجيريا الأسبق بمدينة صكتو، لفتح مدرسة قرآنية أخرى ببلدة غَاغِي، فسميت: THE ALMAJIRI MODEL BOARDING SCHOOL, GAGI SOKOTO

كما أسست لهذه المدرسة فروع في مدن وَامَكُّو، وَتُرِيتَا، وَتَمْبُوَلْ، وكِيبِي، وبَادَوْ، وجميع هذه المدارس كانت تحت رعاية حكومة نيجيريا الفِدْرَالِية [٢٤].

ومن ثم أعلنت الحكومة النيجيرية برامج تهدف إلى تطوير هذه المدارس بالتعليم الأساسي لإعطاء فرصة التعليم للجميع والتسوية بين جميع أبناء نيجيريا في مستوى واحد بغض النظر عن أصولهم وحياتهم الاجتماعية. وقد استطاعت المحكومة الفدرالية تحت هذا البرنامج أن تبني ١٥٧ مدرسة قرآنية في ٢٧ ولاية مع العاصمة النيجيرية أَبُوجَا Abuja، ولقد فشلت الحكومة الجديدة بعد الرئيس جُونَاتَنْ فيما بعد من تحقيق أهداف تأسيس هذه المدارس القرآنية الفدرالية، وبدأ الفشل في الوحلة الأولى يتسرب في هذا النظام بعجز الحكومة في إنفاق الطلبة وتوظيف المدرسين الأكفاء من عدم المحفاظ على حقوقهم وغيرها من لوازم المدرسة تحت هذا النظام الجديد[٢٥]. إلا أن الأمر يختلف في ولاية صكتو حيث احتفظت حكومة الولاية على المدرستين من هذه المدارس، إحداهما في بلدة غَاغِي وأخرى في بلدة تَمْبُوَلْ وكلاهما على نظام الأولى. وكذلك أسست أخرى جديدة باسم الكتاتيب (Tsangaya)، وهي تقع على طريق Kebe إلا أنها تختلف عن سابقاتها، وذلك لأن الحكومة لا تنفق على الطلبة، مما يكلف الآباء المقدورين على ذلك، كما يتطلب ذلك خروج بعض الطلبة طلبا لطعام يسد رمقهم عند الحاجة، ثم يعودون إلى المدرسة لمواصلة دروسهم المدمجة من القرآن والعلوم المدنية[٢٦].

وفي عام ٢٠١٦م تحت رئاسة الرئيس محمد البخاري، بدأت الحكومة تخطط في إرجاء هذا النظام وقدمت الخطة النموذجية لتجرب في تسع ولايات من ولايات نيجيريا، بهدف استيعابه تدريجيا في جميع الولايات التي توجد فيها هذا النوع من المدارس[٢٧].

الخاتمة والتوصيات:

تناولت المقالة حديثا عن أصالة نظام التعليم القرآني (الكتاتيب) وكيبف وصل إلى نيجيريا. كما تناول نظام بعض المدارس القرآنية في المغرب العربي من مورتانيا والجزائر وما إلى ذلك من بلاد شمال أفريقيا، ومن ذلك أورد الحديث عن المؤهلات العلمية والشروط اللازمة لكل من يتولى تعليم الأطفال القرآن الكريم في تلك البلاد بينما يتولى ذلك من لم تتوفر فيه هذه

الشروط في نيجيريا. وبالتالي تعرض الباحث لذكر محاولات الحكومات النيجيرية الفدرالية وغير الفدرالية لمعالجة المشكلات التي تواجه طلبة المدارس القرآنية الذين يهاجرون من أماكن مختلفة تعلما للقرآن الكريم والعلوم الدينية؛ ومن ذلك أورد الباحث بعض التوصيات والاقتراحات لقمع تلك المشكلات فيما يلي:

١- على الحكومات والمجتمعات والهيئات إعادة النظر في تلك المشكلات وإيجاد حلول ناجحة لها.

٢- إيجاد إحصائيات لعدد هذه المدارس وطلبتها لمعرفة احتياجاتهم اللازمة، ثم تمد إليهم يد العون تحت شروط وقوانين وإشراف مستمر كما كان النظام في بعض البلدان العربية كالجزائر.

٣- بناء مزيد من المدارس القرآنية الحكومية مماثلة للمدارس العلوم الغربية الحديثة وتزويدها بالأدوات اللازمة التي من شأنها أن تسهل عمل التدريس فيها.

٤- أن تحدد الحكومة الفدرالية والولايات مبلغا معينا في الميزانية السنوية للمدارس القرآنية.

٥- إيجاد مؤسسات حكومية تربوية في الولايات التي يهتم أهلها بتعلّم القرآن، وتوظيف خبراء تربويين يتولون إشراف هذه المهمة على مستوى الولايات والحكومات المحلية.

٦- عقد ورشات علمية وعملية يشارك فيها مدرسوا المدارس القرآنية والكشف عما يعانيهم من المشكلات والحاجات اللازمة.

٧- توعية الآباء وأولياء الأمور نحو ما يترتب عليهم من تربية أطفالهم تحت التعاليم الدينية الإسلامية والقانونية.

الهوامش والمراجع:

١- ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة هجر [١]

٢- Education Unicef Nigeria www, Unicef .org - تاريخ الزيارة الخميس، الساعة العاشرة ونصف مساءا

٣- علي أبو بكر ~(الدكتور) الثقافة العربية في نيجيريا، من ١٧٠ إلى ١٩٦٠م عام الاستقلال، نشر دار الوكالة للمطبوعات ،ط٢ ٢٠١٤م ص ١٨٤-١٨٥

٤- غلادنثي، شيخو أحمد سعيد ، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦م الطبعة الثانية ١٩٩٣م ص١٨٩

٥- الشنقيطي، إبراهيم بن أبُّ الحسني، طريقة حفظ القرآن عند الشناقطة بدون تاريخ ص ١٠.[١]

٦- جمع شنقيطي نسبة إلى شنقيطة إحدى بلدان مورتانيا

٧- الشنقيطي، إبراهيم بن أبُّ المرجع السابق، ص ٧٥.

٨- المرجع نفسه والصفحة نفسها[١]

٩- علي أبوبكر، المرجع السابق ص١٨٧

١٠- الشنقيطي، إبراهيم بن أبُّ المرجع السابق، ص ٨٥

١١- علي أبوبكر، المرجع السابق ص ١٨٦ -١٨٧

١٢- المرجع نفسه ص ١٨٦

١٣- مختارية تراري ، التعليم بالمتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة ، مقالة منشورة في مجلة إنسانيات العدد ١٤ - ١٥ ديسمبر ٢٠٠١م ص٢

١٤- الشنقيطي، إبراهيم بن أبُّ المرجع السابق، ص٦٧ -٧٥

١٥- علي أبو بكر المرجع السابق، ص ١٨٥

١٦- غلادنثي شيخو أحمد سعيد، المرجع السابق ص٧٠

١٧- ط٢ ،١٩٩٣ص ٤٩-٥٠ حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا،من سنة ١٨٩٤-١٩٦٦م

١٨- تزيين الورقات بجمع مالي من الأبيات ،تحقيق وشرح عمر بن محمد بوي بدون تاريخ ص٥٠

١٩- المرجع نفسه ص٩٠

٢٠- Oge Samuel Okoko, July, 18/ 2017, The Almajiri System and violent Extremism in northern Nigeria.

٢١- مقابلة شفهية مع الشيخ المؤرخ محمد سمبو ولي في بيته يوم الثلاثاء١-١٠-٢٠١٩ الساعة الخامسة مساءا -

٢٢- وتعني كلمة : Tsangaya هنا حلقة الأولاد يقرؤون القرآن بالألواح وفي وسط الحلقة نار يستضيئون بها بمنزلة مصابيح تستضاء بها.

٢٣- مقابلة شخصية مع مدرير مدارس المهاجري، مالم بللو أَولى في مكتبه يوم الخميس الساعة الثانية ونصف نهارا في مكتبه يوم الخميس 14/11/2019

٢٤- مقابلة شخصية مع العميد الأول الأسبق لهذه المدرسة، الأستاذ عبيد الله شيخ غَرْغي

٢٥- الحاج عمر، كلمة ألقاها يوم الأربعاء ٢٨-٠٨-٢١٩م في افتتاح دورة تدريبية لبعض المدرسين الذين سيربون هذه الأولاد في هذا النظام تحت : universal Basic Education Commission

٢٦- مقابلة شخصية مع هارون ليمن بركيجي من حكومة محلية تمبول، يوم الأربعاء ١٣-١١-٢٠١٩

٢٧- الحاج عمر، كلمة ألقاها يوم الأربعاء ٢٨-٠٨-٢١٩م في افتتاح دورة تدريبية لبعض المدرسين الذين سيربون هذه الأولاد في هذا النظام تحت : Universal Basic Education Commission0020

الأعمال الأدبية لدى معلمي المدارس القرآنية والعربية في نيجيريا: الشيخ عبد القادر التالكي وديوانه "تهنئة الوُرَّاد في مدح خير العباد" أنموذجا

د/ إبراهيم أبوبكر موسى

amusa6334@gmail.com ٠٧٠٣٧٩٩٠٩٦٤

المقدمة

نزل القرآن باللغة العربية فأحياها وضمن بقاءها ونشرها في كل مكان وصلت إليه الدعوة الإسلامية، وأقبل الناس على تعلم اللغة العربية بحماس عبر العصور الإسلامية فالقرآن أهم مصادر التشريع الإسلامي ويليه أحاديث الرسول الله ﷺ التي رويت بكلامه العربي الفصيح، وفهم القرآن الكريم والسنة النبوية المروية من أقواله يحتاج إلى معرفة اللغة العربية معرفة عميقة والإحاطة بأسرارها ومدلولات مفرداتها وأساليبها المتنوعة. يقول في ذلك مناع خليل القطان: "فإن القرآن نزل بلسان عربي، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[١]، لذلك أصبحت العربية علما أساسيا نافعا وموردا عذبًا لبيان المقاصد من النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة، وسُلماً لاستنباط أحكام الشريعة الإسلامية، وعلى هذا المضمار عكف المسلمون في نيجيريا على تعلم اللغة العربية وتعليمها منذ انفجار نور الإسلام إلى ديارها، فهدفهم الرئيسي في التعليم كله هو أن يتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم[٢].

كان الشيخ عبد القادر التالكي من ضمن العلماء الذين مالوا بطبيعتهم إلى الأدب العربي في القرن العشرين، فدرسوا كل ما وصل إليهم من كتب الأدب دراسة وافية، وجعلوا يتذوقونه ويتمتعون به على أنه جزء من تلك الثقافة الدينية التى يهدفون إليها.

وانطلاقا من هذا المنظور، تناولت هذه الورقة النقاط الآتية:

- نبذة مختصرة عن حياة الشاعر الشيخ عبد القادر التالكي
- عوامل تكوينه الثقافي
- انتاجاته الفكرية
- التعريف بديوانه "تهنئة الْوُرَّادِ في مدح خير العباد"
- الوصف العام للديوان
- موضوعات قصائد الديوان
- منهج الشاعر في الديوان
- أسلوب الشّاعر
- أبرز سمات قصائد الديوان

- الأفكار الرئيسة لقصائد الديوان
- الخاتمة
- التوصيات والمقترحات

نبذة مختصرة عن حياة التالكي الشاعر

نسَبُه: هو الشاعر الفقيه العالم الصوفي أبو أحمد الشيخ عبد القادر بن محمد بِلُّو بن عبد الله بن محمد، الملقَّب بحمَّارى بن دابُو غُوَانْدُو بن أبى بكر عثمان بن محمد بَايَرُو[٣]. وينتمى جدُّه الأعلى إلى أسرة فلانية عريقة الأصل والتى استوطنتْ قريةً تسمى"دَلُّولْ بَايَرُو" (Dallol Bayero) القريبة من "فُوتَا تُورُو"(Futa-Toro) الواقعة بوادِى نهر السِّنِغَالْ[٤].

هاجر جدُّ الشيخ التالكي الأعلى محمد بَايَرُو من "فُوتَا تُورُو" نتيجةً لاضطرابات سياسية غشِيَتِ البلاد فى ذلك الوقت وخاصة بعد سقوط مملكة سُنْغَايْ فى أيد المغاربة[٥]، وأخيرا استقرت الأسرةُ بعد حلٍّ وترحال بقرية "هَطِيجِيَا"، إحدى الحكومات المحلية بولاية جِغَاوَا حاليا[٦].

ولادته: ولد الشيخ عبد القادر بن محمد بِلُّو التالكي -رحمه الله تعالى- يوم الخميس، الخامس عشر من شهر ربيع الأول عام١٣٣٣ هـ/٣١-١-١٩١٥م، الموافق بيوم الأحد الحادى والثلاثين من يناير بِهَطِيجِيَا (Hadejia) الواقعة حاليا فى ولاية جِغَاوا، فهى إذَنْ مسقط رأسه قبل أن يغادرها أبوه وعمر الشيخ إذ ذاك لم يتجاوز خمس سنوات إلى قرية مجاورة لها تسمى:" تَالِكُو" "Taleko/Talaku" الواقعة فى حكومة "مَالَمْ مَدُورِى" Malam – Madori " المحلية، بولاية جغاوا اليوم[٧]، وإليها نسب (التالكي) لأنه نشأ بها.

نشأته وحياته: نشأ التالكي في قرية "تالكو" تحت رعاية أبيه محمد بلُّو الذي قام بتربيته وتأديبه على أحسن حال وأفضل وجه، إلى أن بلغ معه السعى وقوِىَ عُودُه. فكانت قرية " تَلِكُو" منشأ ومرتعا وجوًّا صافيا لحياة الشيخ التالكي الأولى، كما كان أبوه مدرستَه الأولى التي تَغَذَّى فيها روحُه وتثقَّف منها فكرُه وتهيَّأ بها التالكيُّ لمستقبل حياتِه العلمية.

عوامل تكوينه الثقافية

نهَل الشيخُ عبد القادر التالكيُّ وعلَّ من ينابيع العلم والمعرفة الأصيلة حتى رَوِىَ، وكان منبعَ شربه الأول أبوه، حيث قرأ على يده القرآن عن ظهر قلب، كما تعلَّم منه علم الفقه والحديث واللغة والأدب، ولم يتجاوز عمره آن ذلك خمسة عشر سنة. خرج التالكي من موطنه ومدرسته الأولى، متوجِّها إلى المدن والأمصار المجاورة طلبا لغذاء فكره المتلهِّف للعلوم، فألقَى أولى عصا تسياره بمدينة غَمَاوَا" "Gamawa"، نازلا ببيت الشيخ الحاج عليّ غَمَاوَا، فاستقَى من مورد علمه لمدة سنة أو أكثر، يقرأ عليه علوم الشريعة والتوحيد والعربية. يقال أن الطالب قد تأثَّر بمعلِّمه هذا تأثُّرا بالغا. ومِن ثَمَّ التحق بالشيخ عبد الله غَبَارِى، (Gabari) ببلدة أَزَرِى (Azare)، وتعلّم منه علوم الفقه واللغة والإعراب. ثم انتقل إلى إِتَسْ، (Itas) ومكث بها مدةً يتعلّم من يد علمائها. حفَّزتِ الشيخ التالكي حافزةُ طلبه العلم للعودة إلى بلده ومسقط رأسه هَطِيجِيَا (Hadejia) ثاويا ومتعلما

عند الشيخ محمد أَبَرَى، وتعلم منه علوم الفقه واللغة وشيئا من التربية الروحية والأوراد التجانية، طوال ثلاث سنوات[٩]. لم توفِّر له مدينةُ هَطِيجِيَا جميعَ رغباته فى تحصيل العلم والثقافة بأنواعها، لذا ارتحل إلى "كَنُو" (Kano) واتصل بالشيخ محمد سَلْغَا (Salga)، فتعلَّم منه دروس الفقه والتفسير والحديث. ولكن يا لَسوء حظ الطالب من وفاة شيخه قبل بلوغ مرامه! مما اضطرَّه بمواصلة تعلُّمه عند ابن الشيخ المتوفى والذي ارتقَى ليشغل منصب أبيه، حيث استكمل التالكي دراسة كتاب مختصر الخليل عنده. شرع التالكي بعد هُنَيْهة يرتاد مجالس العلماء والشيوخ بمدينة كَنُو يستزيد منها العلم، ثم عزم الشاعر التالكي لولوعه بالعلم على مغادرة كَنُو يتفقَّد مجالس العلم والحكمة بحثا عن مكان تطيب له الحياة العلمية. فقصد زَارِيَا (Zariya) مستزيدا من فيوض علومها ومعارفها، فمكث بها فى كنَف مَالَمْ عثمان، واستشفَى من غليله. ومِن ذلك دفعتْه الهممُ وحرَّكه العزمُ فتغرَّب إلى صُكُتُو، فوصل إلى قرية "يَابُو" (Yabo) وأقام بها لمدة يقضِي فيها حوائجه التعلُّمية.[١٠]

وفاته: توفى العالم الفقيه الشاعر – رحمه الله – يوم الأربعاء، التاسع من شهر ذي الحجة سنة ١٤١٥هـ/١٠/٥/١٩٩٥م. بالغاً من العمر اثنين وثمانين (٨٢) عاما، حسب التاريخ الهجرى، والموافق بثمانين (.٨) عاما، حسب التاريخ الميلادي.(٨)

ترك الشيخُ عبد القادر التالكيّ تراثا أدبيا وعلميا ولغويا هائلا ، وله من المؤلفات المخطوطة يبلغ عددها ثمان وعشرين كتابا وديوانا شعرية منها: ديوان "تهنئة الوُرَّاد في مدح خير العباد"، و"دويوان التالكيّ فى مدح الشيخ أحمد التجاني"، و"النهر الطافح للبيب الرابح "، وغيرها.- رحمه الرحمن- سبحانه وتعالى. آمين

ثقافاته وإنتاجاته الفكرية

كانت ثقافة الشيخ عبد القادر التالكي متعددةَ الجذور والمشارب المختلفة من عيون العلم والمعرفة الصافية، ولعل ذلك هو السرُّ فى نبوغه وشهرته من بين علماء عصره. فمنهج الشيخ التالكي فى التعلُّم على عكس المنهج الذى قرَّره بعض العلماء، من أن الوقوف فى طلب علمٍ على معلم واحد والصبر عليه يُورث البركة فيه ويؤدِّي إلى الكمال والنجابة، كما اعتقده كثير من طلبة العلم و مدرِّسيه خصوصا فى بلاد غرب أفريقيا عبر العصور والأزمان[١٢]. قد لا يتفق هذا الرأى أو الاعتقاد مع العقل والواقع ومع النقل أيضا، إذ لم يُعرف من التابعين ولا مِمَّن جاء بعدهم من اقتصر فى التعلُّم على أستاذ واحد، وإنما كانوا يأخذون العلم عن عدة أساتذة ومشايخ. ولا ينافى ذلك أن يتأثَّر طالب علمٍ بأستاذٍ أو شيخٍ معينٍ مِمَّن أخذ عنهم العلم. فقد سجَّل التاريخ رجالا نبغوا وتبحروا فى علوم ومعارف شتَّى عن طريق أخذها عن علماء ومشايخ عديدة، أمثال الإمام مالك والبخارى، وغيرهما، وكانوا يعتبرون التعلُّم من عدة مشايخ وعلماء سببا للكمال والشهرة فيه. يقول ابن خلدون: "على قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد الطالب...فالرحلة لا بد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال..."[١٣].

وأما مكوّنات الشاعر الفطرية فتُولّد وتنمو معه، وقد تموت وتحيا، وتجمد وتتحرك، وتضعف وتقوى، وتنخفض وترتفع على حسب ثقافته اللغوية والعلمية والأدبية. فالشاعر العربي لا يتسنَّى له إتقان الشعر ما لم يتضلع فى معرفة اللغة العربية بكافة فروعها، ويقرأ الكثير الكثير من تراث سابقيه وإنتاجهم فى الكتب من آثار وأخبار وآداب وأشعار، وهى من أفضل الروافد الفكرية واللسانية التى تُثْرِي وتقوّى بيانه، يقول ابن خلدون في هذا الصدد: " ولا بدّ من كثرة الحفظ لمن يَرُوم تعلّمَ اللسان العربى...فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر...والملكة الفقهية بمخالطة الفقهاء وتنظير المسائل، والملكة البلاغية إنما تحصل بحفظ العالي من الكلام"[١٤]. فلأجل ذلك اعْتُبر الشيخ عبد القادر التالكي شاعرا مُتثقّفا بضروب من الثقافات العربية الإسلامية فى عهده لمرافق إطلاعه الفكري المختلفة، خصوصا فى علوم اللغة والأدب. فقد رأى القارىءُ وسَمِع فيما سبق الحديث عنه آنفا أن الشيخ تتلمذ على يد كثير من العلماء والمشايخ، وتلَقّى منهم فروعا عديدة من العلم والمعرفة من بينها:

القرآن الكريم: كان القرآن العامل الأول والأساسي في تكوين الثقافة العربية الإسلامية لدى الشيخ عبد القادر التالكي، فحفظه فى سنٍّ مبكّرٍ، ولأجل ذلك تأثَّر الشيخ التالكي بالآيات القرآنية تأثُّراً كبيراً حيث انْسالَتْ في جميع إنتاجاته الشعرية والنثرية على حد سواء، فتجده يضمن آيات القرآن ويتناص بها أشعارَه، كقوله:

وَآتِ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَـــــا　　　يُرَوِّى فُؤَادَكَ وَالْمَسْمَـــــعَ [١٥]

فالشاعر فى أول صدر البيت يتناص مع قوله تعالى: " ۆ ۆ ۇ ۇ ۈ ۈ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو"[١٦].

ويقول التالكي أيضا في مدح خير الخلق-ﷺ- مبينا منزلته الرفيعة، ومناقبه العلية، وخُلُقَه النبيلة، وأفعالَه الجميلة، وأقوالَه الصحيحة، ودرجاتِه السمية، وصفاتِه العجيبة، وخصائصَه الغريبة:

فَإِنَّكَ إِنْ قَرَأْتَ إِلَى عَظِيـــمٍ　　　تَرَى سِرًّا يشيِّدُهَا اجْتِباءُ

لَقَدْ فَاقَ الْأَنَامَ عُلاً وَصِيتًــا　　　لَـهُ فِى كُلِّ مَرْتَبَةٍ سَنَـــاءُ

وقالَتْ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ دَأْبًــا　　　لِسَائِلِهَا وَأَدَّبَنِى اِكْتِفَـــاءُ[١٧]

الثقافة الفقهية لدى الشخ التالكي:

حصل الشيخ التالكي فى تعلمه على قدر عظيم من علم الفقه وأصوله، فقد كانت له منظومة تعليمية فى الفقه، كما كانت له تأليفات نثرية فيه، والتى تعتبر كلها صورة واضحة ينعكس عليها مدى تضلعه فى العلوم الشرعية، واصطباغه بالثقافة الفقهية المكونة لشخصيته. ولِيُنظر على سبيل التمثيل فى منظومته "مسائل العدة"، وأخرى نثرية أسماها "شرح مسائل العدة" والتي كانت بمثابة توضيح وتفصيل وشرح لمنظومة "مسائل العدة" المذكورة أعلاه، تناول فيهما الكاتب قضايا ذات العلاقة بأحكام لوازم وموجبات عدة المرأة الحُرَّة والأمَة.

ويقول في مدّة العدة:

ثَلَاثَةُ أَقْـرَاءٍ عَلَى حُـــرَّةٍ أَتَـــــتْ وَذِى الرِّقَّةِ القُرْءَانِ وِفَاقَ الْأَئِمَّـــةِ
وَإِنْ أَخَّرَتْ حَيْضٌ لِمَرْضٍ أَوِ ارْضَعَتْ كأَنْ لَمْ تُمَيِّزْ فَالتَّرَبُّصُ قَـــــدْ أَتَى
وَعِـدَّةُ ذَاتِ الْحَمْل وَضْعٌ لِحَمْلِهَـا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ وَفَاةٍ وطَلْقَـــــةٍ [١٨]

وفي قصيدة له من" كتاب الكبائر" والتي تشتمل على سبعين من كبائر الذنوب الثابتة نصًّا عدّها الشيخ التالكي في تلك القصيدة، اختطف الباحث منها الأبيات التالية:

كَبَائِرُ تُتَّقَى فِى كُلِّ حَـــــالٍ أَتَتْ سَبْعِينَ خُذْهَا بِالتَّـوَالِى
زنًا مِنْهَا اللِّواطُ ربًا وَأَكْـلٍ لِأَمْوَالِ الْيَتَـامَى بِالْخَـبَـــالِ
وَزُورٌ شُرْبُ خَمْرٍ، وَالْقِمـارُ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ بِكُلِّ حَالِ[١٩]

فهذه منظومات تعليمية جئ بنماذج منها كدلالة واضحة على استيعاب الشيخ التالكي بالثقافة الفقهية ومدَى تأثُّره بها وأثرها في إنتاجاته الفكرية.

الثقافة التاريخية:

يتضح للمطالِع في خلفيات الشيخ التالكي جليًّا أنه عالِمٌ مُلِمٌّ بالأخبار والأحداث والوقائع التاريخية، والمعلومات والسِّيَر، وكفَى على ذلك شهيدا أنه ترك كتابا منثورا سماه " تنقيح القول فى السِّيَر"، التي تدل تثقُّف الشاعر بالثقافة التاريخية، ومدى أثرها فى إنتاجه الشعرى، إلا أن طبيعة هذه الدراسة لا تسمح لإيراد الأملة من ذلك.

ومن ثقافة الشيخ التالكي التاريخية قوله مبينا أخبار بعثة نبيى آخر الزمان وإرهاصات على ظهوره قبل مولده، وإرهاصات ظهرتْ فيه بعد مولده إشارة على إعداده وتهيُّئِه لتبليغ رسالة السماء إلى أهل الأرض من الجن والإنس:

وتَبَـاشَرَتْ لِقُدُومِهِ أَهْلُ السَّمَـــا وَالْأَرْضِ حَـتَّى طَابَ كُلُّ الْبُقْعَـةِ
والْجِـنُّ تَحهْتِفُ وَالْعَوَالِمُ كُلُّهَـــا مِنْ حُسْنِ طَلْعَـتِهِ وَحُسْنِ تَعِفَّةِ
وَفَشَا قُبَيْلَ وِلَادِهِ أَخْبَـــــــارُهُ وَالْمُرهِصَاةُ كَطَفْيِ نَارِ الْكَفْـــرَةِ
وَصُدُورُ إيوانٍ وَحَبْشِ الْفِيـلِ مِنْ أَخْـبَارِهِ وَبَحِيرُسَـاوَةِ مُثْـــبِةِ
وَالْمُـرْضِعَاتُ تَبَادَرَتْ لِحِضَانَـةٍ وَحَظَتْ بِهَا خَيرُ النِّسَـاءِ حَلِيمَـةِ
وَنَمَتْ لَهَا رِزْقٌ وَدَرَّتْ شَـاؤُهَـــا وَكَرَائِـمُ الْأَمْوَالِ بَـعْدَ تَعِـلَّـــةِ[٢١]

الثقافة الصوفية:

كما يُرى سابقا كيف كرَّس الشيخ التالكي جهدا كبيرا في تعلُّم العلوم والمعارف المختلفة بما فى ذلك علوم التربية الروحية عند شيوخ الطرق الصوفية وأربابها، وتبدو ظاهرة علومه الروحية وتجربته فيها فى كثير من إنتاجاته الفكرية منظومة كانت أو منثورة. يذكر الباحث مختطفات منها على سبيل المثال لا الحصر: ألف الشيخ التالكي كتابا منظوما شعريا بعنوان: "تسنيم الْجِنَان فى وِرْد شيخنا

أحمد التجاني". تناول فيه المؤلف قضايا الطريقة التجانية وتاريخ مؤسسها الشيخ أحمد التجانى. يتكون الكتاب من عشرة أبواب تحت كل باب منه فصول، وأهم الموضوعات التى عالجها الكتاب أهمية انتظام المسلم المريد فى سلك إحدى الطرق الصوفية لِيتزهَّد عن الدنيا، ويَسْلَم من مكايد الشيطان[٢٤]. كما تحدث الشيخ أيضا عن فضل "صلاة الفاتح" و "جوهرة الكمال" وما لهما من شرف وفضل على سائر الصلوات على النبى- ﷺ. ولم يزل هذا الكتاب مخطوطا بتاريخ (١٣٦٧هـ)[٢٥].

الثقافة الأدبية:

سقى الشيخ عبد القادر التالكي ورَوِيَ من ينابيع لغوية وأدبية صافية، ولعل ذلك هو السر في نُبوغه وتفوُّقه على كثير من أقرانه العلماء والشعراء في عصره. ويبدو للمطالِع فى خلفياته أنه قد قرأ عددا غير قليل من أمهات كتب اللغة[٢٩]. وللشيخ التالكي جمع غير قليل من المؤلَّفات في اللغة العربية، أهمها وأبرزها:

كتاب "اَلْعِقْدُ الْفَرِيدُ فِيمَا يَحْتَاجُهُ الْمُرِيدُ": وهو منظوم من بحر الرجز أيضا، وموضوع الكتاب: صِنَاعَةُ الْمُكَاتَبَةِ، كما أشار إلى ذلك المؤلِّف فى مقدمة الكتاب.

وهذا الكتاب بمثابة معجم لغوي من بين المعاجم التي تهتم بمعاني اللفظ والألفاظ الدالة عليه

أو الألفاظ المرادفة له، فقد أشار الشيخ التالكي إلى المصادر التى استقَى منها فى تأليفه لهذا الكتاب وصلته بها[٣١]. ومن أمثلة ما ورد في هذا الكتاب قول الشيخ فى باب "اللَّوْمِ":

كَلِمْتَــهُ عَذَلْتَهُ عَاتَبْتَه قَــرَعْتَهُ فَنَــتَّهُ وَبَّخْتَــهُ

بَكَتَّهُ لَحَيْتَهُ عَنَّفْــتَهُ فَرُمْتَهُ عَزَمْتَهُ اسْتَبْطَأْتَــهُ

ويقول فى باب التمادى فى الضلالة:

يُقالُ ذَا فِى غَيِّهِ تَمَــادَى كَانْمَهَلَ وَأَوْضَعَ عــنَادَى

وَأَرْجَفَ تَتَابَــعَ وتَاهَــا أَمَرَّفى باطِلِهِ، وَبَــاهَــا

وَلَجَّ فِي غَلْوَانِهِ كَــذَا سَــدَرْ لَاجَ أَىْ فى غَيِّهِ كَمَا صَــدَرْ

مَضَى تَرَدَّ وَتَهَافَتْ جَمْــعٌ ضَرَبَ فى عَشْوَائِهِ بِرُمَّتِــهْ[٣٢]

لم يزل هذا الكتاب مخطوطا، ويبلغ عدد أبياته مائتين وأربع مائة وأربع وستين بيتا (٢٤٦٤)، فى ثلاث مائة وأربعة عشر صفحة. وتاريخ نسخ الكتاب: ١٣٨٩هـ[٣٤]

ويدل كل ما ذُكِر أعلاه على تعمُّق الشاعر في المفردات اللغوية غريبها ومألوفها، وعلى امتلاكه ملكة النظم الشعري الذي لا يتيَسَّر إلا لمن أوتي نصيباً وافراً من الملكات العلمية واللغوية.[٣٦]

التعريف بديوان "تَهْنِئَةِ الْوُرَّادِ فِى مَدْحِ خَيْرِ الْعِبَادِ"

الوصف العام للديوان:

هو كتاب شعري يحتوي على تسع وعشرين (٢٩) قصيدةً، وفي كل قصيدة واحد وثلاثون بيتا، ويبلغ مجموع قصائد الديوان ثمان مائة وتسعة وتسعين (٨٩٩) بيتاً في أربع وستين صفحة، وفي كل صفحة أربعة عشر أو خمسة عشر بيتا، المكتوبة بالخط المغربي، طبع الديوان طبعة مصورة.

موضوعات قصائد الديوان:

تدور موضوعات قصائد الديوان حول المديح النبوي، والتوسل بيمنه وجاهه وبركاته فى طلب العفو والمغفرة، كما تناولت موضوعات قصائد الديوان إرهصاته ومعجزاته، وإسرائه ومعراجه، والتشوق إلى زيارة قبره ﷺ، وما إلى غير ذلك من قضايا ذات الصلة بشخصية المصطفى – ﷺ. وقد خص الشاعر فى الديوان قصيدة واحدة ذكر فيها فضل الصحابة وشرفهم والتأسي بهم- رضى الله عنهم[٣٨].

فشأن التالكيّ فى المديح النبويّ كشأن الشعراء قبله،[٣٩] إذ يقول الشيخ فى هذا الصدد:

وَأَرِّخْ وَرَتِّبْ كَمَا رَتَّبُوا وَنَمِّقْ سُطُورًا كَمَا أَرَّخُ

وَأَنْشِدْ بِهِ كُلَّ وَقْتٍ فَلَا تَمَلُّ فَقَبْلَكَ قَدْ صَرَّخُ

لَقَدْ حَمِدَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ فَلَاقُوا بِهِ الشُّكْرَ أَوْ بَخْبَخُ

فَخَامَرَهُمْ بَعْدَ مَا سَرَّحُوا سُرُوراً فَقَالُوا بِه كِخْكَخُ

فَلَيْسَ لَنَا غَيْرَهُ مَشْرَبٌ وَلَيْسَ لَنَا غَيْرَهُ مَطْبَخ

دَعِ الْغَافِلِينَ وَأَهْلَ الْهَوَى وَمَنْ هُوَ فِي دِينِهِ أَنْوَخُ[٤٠]

مدح التالكيّ مدح طبيعيّ صافٍ لا تكلُّف فيه ولا تملُّق أو تزلُّق، وقد طرَّق الشاعر فى شعر المديح النبوي كثيرا من بحور الشعر التقليديّ.

منهج الشاعر في الديوان:

أما عن منهج الشاعر في الديوان: فقد نظّم قوافي قصائده على حسب عدد الحروف العربية الثامنة والعشرين حرفا، ولم يلتزم الشاعر فيه منهج سابقيه من ابتداء أبيات قصائده بحروف قوافيها، وربما فعل ذلك تجنبا للتكلّف المذموم[٤١]. إلا أنه زاد حرف اللام الساكن (لْ) من القافية المقيدة فى قصيدة من قصائد الديوان، فبلغ بذلك عدد قصائد الديوان تسعا وعشرين (٢٩) قصيدة. وباختصار نهج التالكي في المديح النبوي إلى إظهار محبته وتقديسه للنبي ﷺ وأصحابه، مع إظهار براعته اللغوية ومعرفته بمفرداتها، أضف إلى ذلك إرضاؤه للذوق الأدبي المعاصر، الذى جعل من المدئح النبوية خلاصة ضرورية يجب أن ينتهي إليها كل شعر[٤٢].

أسلوبه في الديوان:

يميل أسلوب الشاعر إلى الأسلوب القديم من الشعراء قبله خصوصا أسلوب الشعر الجاهلي شكلا ومضونا، فهو كغيره من شعراء عصره، فيحاول أن يقلّد منهج شعراء العرب في الشعر

الجاهلي للوقوف على الأطلال قبل أن يصل إلى غرضه ليصف ممدوحه، فيذكر شمائله ومزاياه، وأوصافه المثالية حسّية ومعنوية، أو يتحدث عن معجزاته الباهرة، وإسرائه ومعراجه ﷺ.

أبرز سمات قصائد الديوان:

وأبرز السمات التي تتسم بها قصائد هذا الديوان، هى الأداء الغزير والسهل المطيع الذي لا زخرف فيه ولا تعقيد[٤٤].أى يمتاز أسلوبه بسهولة الألفاظ، وسلامة الأسلوب، لبعده عن التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي. كما أشار إلى ذلك مؤلّفه،

قائلا:

> الحمد لله الذي مَنّ علينا لوضع تهنئة الوراد فى مدح خير العباد وإسرادها بأحسن عبارة وأسهل إشارة وله الحمد الدائم والملك القائم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم. آمين. ابتدأنا وضع هذا النظم البديع فى اثنى عشر من ربيع الأول وأتممناها فى ربيع الآخر وقد دخلتْ منه خمسة عشر يوما ولله الحمد وذلك عام ١٣٨٩ من الهجرة النبوية.أى، (من ١٣٨٩/٣/١٢هـ، إلى ١٣٨٩/٤/١٥هـ) وجملة أبياتها (تهنئة الوراد فى مدح خير العباد) ٨٩٩"[٤٥].

الأفكار الرئيسية لقصائد الديوان:

يبدو من مطالع هذا الديوان أن الشاعر لم يقف فى معالجة قضية معينة ومحددة من شخصية ممدوحه وذات حبيبه المصطفى ﷺ، كما أنه لم يرتكز على موضوع واحد من موضوعات سيرته الذاتية، بل كانت قصائد ديونه وأبياتها تطوف بفناء شخصية ذاته ﷺ، فتتغذى بما طاب لها وتتفطر بما اشهته كما تطوف النحلة بالأزهار لتتغذى بما يطيب لها منها، فيخرج من بطنها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للنّاس، يعني ذلك أن الديوان يتناول موضوعات وأفكار متناثرة وضعها الشاعر فى عين اعتباره ذات أهمية بشخصية المصطفى ﷺ، وهى أساسا من الموضوعات التى تردّد أصداؤها فى أكثر المدائح النبوية للشعراء قبله وفى عصره. ومع هذا كله يمكن أن يُستخلص الأفكار الرئيسية التى أكثر الشاعر مِن ترددها وذكرها فى ممدوحه فى النقاط التالية: شخصية رسول الله ﷺ وذاته الشريفة قبل ولادته، وغرائب الأمور وعجائبها التى ظهرتْ فيه بعد ولادته، خصوصا فى مراحل نموّه وطفولته، ثم علامات نبوَّته (الإرهاصات)، ومعجزاته ﷺ الباهرة، وصفاته الخُلُقية والخَلْقية ﷺ، ودرجاته ﷺ وبركاته ومنزلته عند خالقه وبين المخلوقات، وكذلك شجاعته صلى الله عليه وسلم ومهابته، ثم الحقيقة المحمدية، ثم توسل الشاعر بحبيبه محمد ﷺ، والنشوة الصوفية، ثم منزلة صحابته ﷺ وفضلهم، ثم تشوُّق الشاعر إلى زيارة قبر حبيبه ﷺ.

الخاتمة:

لكل أجل كتاب، ولكل مسيرة مقام، كما أن لكل بداية نهاية، ولكل فتحة ختمة. وصل نقاش هذه الورقة إلى النهاية والختمة بعد أن تناولت حياة الشيخ عبد القادر التالكي من حيث نسبه ولادته ونشأته ووفاته، كما ألقت الكلمة عن رحلاته العلمية لتسلط الضوء على مساهماته في تطوير التعليم العربي الإسلامي في الإقليم النيجيري. وربما أغرب شيء وأروعه مما قد يلفت انتباه القارئ

هو ما قامت به هذه الورقة من دراسة ديوان "تهنئة الوراد في مدح خير العباد" دراسة فاحصة محاولة لإبراز كنوزه من لآلئ وزخارف الكامنة في الديوان، فبدأت بوصف الديوان وصفا عاماً، ثم بحثت عن موضوعات قصائد الديوان، كما التفتت للنظر إلى منهج الشاعر في الديوان، مما أدى إلى استخراج أبراز سمات قصائده وناقشت الأفكار الرئسية المتضمنة في طيات الديوان.

التوصيات والمقترحات

بعد وقفة متأنية ودراسة متواضعة عن الشيخ عبد القادر التالكي وخلفياته الثقافية والأدبية رأت الورقة أن تقترح النقاط التالية على طاولة بحثها:

١- للشيخ التالكي مؤلفات أدبية وثقافية قيمة لم تزل مخطوطة ومغبرة مشعثة، لذا تدعو الورقة إلى الأطراف المعنيين الراغبين لطبعها ونشرها لاستفادة طلبة اللغة العربية والباحثين.

٢- لم تزل انتاجات الشيخ التالكي الأدبية بحاجة إلى البحث والدراسة والتحقيق، فعلى طلبة العلم أن يمدوا إليها أيديهم وعيونهم.

٣- تحتاج هذه الانتاجات إلى أن تترجم إلى اللغات المحلية بغية لاستفادة الشعب النيجيري المسلم خاصة وغير المسلم عامة.

٤- تناشد الورقة أقسام اللغة العربية في الكليات التربوية والجامعات وسائر مراكز البحوث العربية والإسلامية بتزويد أقسام اللغة العربية والإسلامية ومراكز البحوث بمؤلفات الشيخ عبدالقادر التالكي لما تحمله من تراث علميّ وثقافيّ قيّم.

قائمة الهوامش والمراجع

١- مناع خليل القطان, **مباحث في علوم القرآن**, ط٣, مكتبة المصارف – الرياهن, (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م), ص ٣٤.

٢- غلادنثي، أحمد سعيد، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، الرياض، (١٣١٢هـ/١٩٩٣م) ص ١٠١.

٣- عيسى عبد المؤمن محمد الأول، " **التالكى: حياته وإنتاجه الشعرية**", مجلة الأقلام السنة الأولى, العدد الأول, يونى, ٢٠٠٢م), ص ٦٤.

٤- تكر إسماعيل, **الشكوى في شعر الشيخ عبد القادر التالكي**, بحث تلكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية, جامعة ميدغري, (١٩٩٨م)، ص١.

٥- خليل, محمد إبراهيم, **الشيخ عبد القادر التالكي ومساهمه في علم اللغة دراسة نموذجية لكتاب "النهر الطافح للبيب الرابح"**, بحث تكميل لنيل شهادة الليسانس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية, جامعة ميدغري, (٢٠٠٨م)، ص١٧.

٦- عبد الله, يوسف عبد الله, **ديوان التالكي في مدح الشيخ أحمد تجاني: تحقيق وتحليل عروضي**، رسالة مقدمة لكلية الدراسات العليا, جامعة عثمان بن فودى, صكتو – نيجيريا, (٢٠١٤), ص١٤.

٧- عيسى عبد المؤمن محمد الأول المرجع السابق، ص ٦٤.

٨- المرجع نفسه، ص٦٤.

٩- يوسف عبد الله يوسف، المرجع السابق, ص٦.

١٠- المرجع نفسه, ص١٧.

١١- الإلورى, آدم عبد الله, **نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي**, دار العربية, بيروت – لبنان، (١٩٨١م), ص١١

١٢- المرجع نفسه، ص ١١١.

١٣- المرجع نفسه، ص١١١.

١٤- المرجع نفسه، ص١١١.

١٥- عبدالقادر التالكي، **ديوان التالكى فى مدح الشيخ أحمد التجاني**، طبعة يَنْقَسَا، كنو، د.ت. ص٤٩.

١٦- سورة الزاريات، الآتية ١٧ – ١٨.

١٧- عبد القادر التالكي, **ديوان تهنئة الوراد في مدح خيرالعباد**, ط/ جامعة ميدغري, د.ت, ص ٣٢.

١٨- عيسى, عبد المؤمن محمد الأول، المرجع السابق ص ٧٠.

١٩- عبد القادر التالكي, **الخصال المكفرة للذنوب** (محطوط) د.ت, ص٢-٤.

٢٠- عيسى عبد المؤمن محمد الأول،المرجع السابق, ص١٧.

٢١- عبد القادر التالكي، **ديوان تهنئة الوراد في مدح خيرالعباد**, المرجع السابق, ص٧ -٨.

٢٢- المرجع نفسه، ص٢١.

٢٣- المرجع نفسه، ص٥٠-٥١.

٢٤- المرجع نفسه، ص٨٢.

٢٥- عيسى, عبد المؤمن محمد الأول، المرجع السابق, ص٨٢.

٢٦- يوسف عبد الله يوسف، المرجع السابق ص٣١.

٢٧- المرجع نفسه، ص٨٣.

٢٨- عيسى عبد المؤمن محمد الأول، المرجع السابق, ص ٨٢-٨٣.

٢٩- المرجع نفسه، ص ٨٢ – ٨٣.

٣٠- المرجع نفسه، ص٧٦.

٣١- المرجع نفسه، ص ٧٨.

٣٢- المرجع نفسه، ص٧٣

٣٣- المرجع نفسه، ص ٧٩.

٣٤- يوسف عبد الله يوسف، المرجع السابق, ص٢٢.

٣٥- المرجع نفسه، ص٢٢.

٣٦- المرجع نفسه، ص٢٢.

٣٧- عيسى عبد المؤمن محمد الأول, " **التالكي: أغراض شعره**" مجلة الأقلام (مجلة اللغة والادب والثقافة), السنة الثانية, العدد: الأول والثانى, الشوال ١٤٢٤هـ/ ديسمبر ٢٠٠٣م), ص٣

٣٨- عبد القادر التالكي، المرجع السابق, ص ١ – ٦٢.

٣٩- الزيات, أحمد حسن، **تاريخ الأدب العربي**, ط/٢٥, دار نهضة مصر – القاهرة, ص ٤٠٣ – ٤١٢. وص ٥٠٠.

٤٠- عيسى عبد المؤمن محمد الأول، المرجع السابق، ص٨٤.

٤١- عبد القادر التالكي, **ديوان تهنئة الوراد في مدح خيرالعباد**, المرجع السابق, ص ١٦.

٤٢- عيسى عبد المؤمن محمد الأول، المرجع السابق ذكره ص٦

٤٣- المرجع نفسه، ص٤.

٤٤- عبد القادر التالكي, **ديوان تهنئة الوراد في مدح خيرالعباد**, المرجع السابق, ص٦٤.

٤٥- المرجع نفسه، ص٦٤.

مساهمة المدارس القرانية في دعم مسيرة اللغة العربية في نيجيريا

إبراهيم محمد يعقوب
قسم الدراسات الإسلامية، جامعة ولاية نصراوا، كيفي، نيجيريا
٠٨٠٣٩٧٢٣٥٦٣.

المقدمة:

لعبت المداس المعنية بتحفيظ القرآن الكريم(الدهاليز) دورا كبيرا في تكوين الخلفية القرآنية الإسلامية في عقول كثير من أبناء المجتمع في الدول الإسلامية لفترة من الزمان ليست بالقصيرة،وكانت تلك الدهاليز قدعمت في كثير من أقطار الجاليات الأسلامية.الاأنهاوجهت مشاكل وصعوبات جمة مع الاعتراف بدورها الريادي للمسلمين عموما وللغة العربية خصوصا .. بيد أنها أصبحت مهددة بالانهيار التام بل والانقراض.. حسب التقديرات الإنسانية المتواضعة وحساباتها المحدودة.

لذا يود الباحث في السطور التالية إلقاء نظرة عابرة على تلك الدهاليز وما لحقتها من مدارس أخري ودورها في دعم اللغة العربية.. وفقا للتساؤلات الآتية:

- ما أهمية الدهاليز في المجتمع المسلم؟
- ما أقسامها؟
- ما إيجابياتها وسلبياتها؟
- ما دورها في دعم اللغة العربية؟

هذه الأسئلة وغيرها، تكوِّن الأطر المفصلية لمعالجة هذا البحث، وفقا للمحاور الآتية:

نشأة الدهاليز في نيجيريا:

يهتم المجتمعات الإسلامية في شتّى بقاع العالم بتعلّم كتاب الله حفظا وتفسيرا، انطلاقا من قول الرّسول ﷺ: "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه"، ولكون القرآن الكريم المصدر الأول لمصادر التّشريع الإسلامي.

وقد تختلف المجتمعات الإسلامية في كيفية اهتمامها بتعلّم القرآن الكريم، إلاّ أنّه من شبه المتفق عليه بين معظم المجتمعات الإسلامية تخصيص مكان لحفظ القرآن بغضّ النظر عن الأسماء التي تطلق عليه. وقد يكون هذا المكان ملحقا تابعا لمدرسة أو مركز إسلامي، أو مسجد جامع، وقد يكون تحت ظل شجرة

ولا يعرف حتّى الآن تاريخا دقيقا محدّدا لنشأة الدهاليز في نيجيريا، إلا أنّه من المؤكد أنه المكان الأول الذي يجد الناس فيه تعليمهم، وتشير بعض الروايات إلى أن نظام التعليم في الدهليزي ظهر مع دخول الإسلام وخاصة فى الممالك الإسلامية : مثل برنو وولايات الهوسا وانشرت في الأقاليم المجاور لها[1].

أهميتها:

الاهتمام بتعليم القراءة والكتابة: تعدّ القراءة والكتابة أساس العلم والمعرفة، لذلك يبذل المعلمون العاملون في جهدا كبيرا ليعلّموا الطلاب مبادئ القراءة والكتابة العربية، مستخدمين في ذلك أدوات تعليمية مختلفة، حيث يُستخدم –غالبا- اللوح والأقلام الخشبية في المدارس القرآنية والتي تنتشر في القرى والأرياف والمدن.

وتأتي أيضا أهميتها دون غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب ،ويؤكد علماء التربية أن حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصغيرة يظل ثابتا في الذاكرة ويقوّم منذ البداية اللسان العربي ويقوي مخارج الحروف.. أما شغل الطفل بحكايات كثيرة وأناشيد وأغاني بلغات أجنبية أخرى كما يحدث الآن فيؤدي إلى تشتيت ذهن الطفل وإحداث خلل في منظومته العلمية والثقافية، ولذا كان للدهاليز دور حيوي وهام في التواصل المجتمعي وإمداده بالشباب الحافظين وتخريج علماء ودعاه وفقهاء لينشروا العلوم الشرعية

ويمكن تلخيص أهم أدوار الدهاليز في القيام بالوظائف التالية:

- تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي.
- المحافظة على الإطار وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الإسلامية.
- عملت هذه-المؤسسة على تحصين المجتمع من الإستيلاب إبان فترة الإستعمار الإنجليزي.

مميزات التعليم الدهليزي:

يتميز التعليم الدهليزي بعدة خصائص تميزه عن بقية المؤسسات التعليمية الحديثة، يمكن إيجاز أهمها فيما يلي

١- إمكانية التعليم فيها لجميع أفراد الفئات الاجتماعية الغنية والفقير

٢- أنها شعبية ، أى أن التعليم فيها مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي حيث لا يتطلب نفقات كثيرة.

٣- إن التعليم الدهليزي ظهر برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها.

٤- ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفعالية.

٥- إن التعليم الكتابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية.

٦- إن الوسائل التربوية المستخدمة كاللوح، والحبر المحلي(الدواية) وأدوات المحو... الخ، هي أدوات رخيصة الثمن ، يمكن العثور عليها في البيئة المحلية.

٧- إن الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلا لأن الطريقة التربوية التعليمية بها وجدت نجاحا كبيرا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الإجلاء وحفظة القرآن الكريم، الذين تلقوا عليما بهذه المؤسسة الدينية

٨- لا يدرس القرآن كنص عادي، بل كمصدر للتعليم والإيمان والتقوى والسلوك.

٩- يتميز التعليم في المدارس القرآنية باعتماده على نظام متميز، لا يعتمد فقط على المدرس، بل يشارك فيه الطلاب المتقدمون في دراستهم لرعاية الطلبة الجدد، وتعليمهم الأساسيات مثل حروف الهجاء.

١٠- تمتلك المدارس القرآنية القدرة على تجاوز الصعوبات التي تواجه المدارس العادية مثل عامل اختلاف السن، فهي مدارس تمهيدية أساسية، وأيضاً مدارس لمحو الأمية عند الكبار، فلا توجد أي معوقات عمرية عند الالتحاق والتخرج من هذه المدارس.

١١- يتدرب الطلاب في هذه المدارس على تحمل المسؤولية منذ سن باكرة، وذلك خلال العمل في مزارع المدرسة في المناطق الريفية، وإحضار الماء والحطب، وتجهيز الطعام، وغسل الملابس، وفي بعض المجتمعات يقوم الطلاب بصناعة الأقلام والحبر باستخدام المواد الأولية المحلية.

١٢- كانت بعض المدارس القرآنية تجمع بين العلوم الحديثة، والمقررات المعتادة، كما كانت تقدم تدريباً مهنياً وتقنياً

١٣- وتتميز تلك المدارس باستقلاليتها المالية، فهي لا ترهق الطلاب بدفع الرسوم الدراسية، وفرصة التعليم متاحة للجميع منذ قرون عدة، فالآباء يتبرعون لهذه المدارس[٢].

سيرها:

في أول الأمر كانت الدهاليز تسير علي نمط واحد اعتمادا على المحفظين الذين يعتمدون في معيشتهم على بعض العطايا المتواضعة من أسر الأطفال فقط، ولا يستطيعون ممارسة

التجارة أو الزراعة أو العمل خارج البلاد، ومن ثم ظلت أحوالهم الاقتصادية متواضعة، و قد يجدون مكافآت رمزية لبعض الوقت من المحسنين لكن سرعان ما يتوقف هذا الدعم المتواضع لموت المحسن أو عجزه ،وقد أدى هذا تباعا إلا أن أبنية الكتاتيب صارت في معظمها قديمة وغير مؤهلة على المستوى الإنشائي والصحي لاستيعاب أعداد كبيرة من الأطفال، وخصوصا أبناء الطبقة المتوسطة وأبناء المتعلمين الذين يطمحون في إلحاق أبنائهم بدور تحفيظ متطورة، ومن ثم لا يجدون بغيتهم في الدهاليز

ثم بدأت المدارس القرآنية تأخذ مكانها في تدعيم منظومة التعليم عامة، فبحسب تقرير صادر عن اليونسيف فإن عدد الطلاب زاد بنسبة أربع مرات منذ إنشاء هذه المدارس، ويقبل المسلمون عليها في المناطق النيجيرية الشمالية من البلاد حيث يتمركزون هنالك[٣].

و كانت أول مدرسة مبنية خاصة للتعليم العربي على النظام الحديث، هي مدرسة الشريعة الإسلامية التي تعاون أمراء شمال نيجيريا على تأسيسها، عام ١٩٣٤م، في مدينة كنو بقصد تخريج القضاة الشرعيين. وانتُدِب للتدريس فيها علماء من كلية غوردون بالخرطوم، وأنجبت المدرسة النواة الأولى للطبقة المثقفة بالثقافتين (العربية والإنجليزية) في شمال نيجيريا[٤].

فهذه المدارس جرى تأسيسها على أيدي أفراد وجماعات من المسلمين الغيوريين على دينهم؛ لنشر التعليم العربي الإسلامي، وحماية الإسلام والذود عن مصالحه، ولتوعية أبناء المسلمين توعية ثقافية إسلامية تقيهم من آفة الضياع، أو التسول . وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدارس، يجري تمويلها عن طريق جهود ذاتية، وتبرعات تُجمَع من الأفراد المحسنين، ومن الأثرياء الصالحين، ويقوم بالتدريس فيها المدرسون المحليون من خريجي هذه المدارس ذاتها، ومن حَمَلة الشهادات الجامعية من الأقطار العربية، والجامعات النيجيرية، ويشاركهم في التدريس، المبعوثون الأزهريون[٥].

وتُساهم بعض المؤسسات الخيرية العربية في دعم نشر هذه المدارس، فقد افتتحت مؤسسة عيد الخيرية مشروع بناء مدرسة لتعليم القرآن الكريم بمنطقة أويو بمدينة إبادن بولاية أمولوكو النيجيرية، حيث يساهم المشروع بشكل رئيس في دعم المنظومة التعليمية وتعليم النشء والطلاب من الذكور والإناث من أبناء نيجيريا القرآن الكريم[٦].

فالمشكلات الجمة التي تواجه هذا التعليم فرضت على الغَيُورين النظرَ في كيفية التغلب عليها، وتقوم ولاية كنو هذه الأيام ومنذ سنتين بتجربة فكرة، تتمحور حول: دعم الحكومة للمدارس القرآنية، فعيَّنت الحكومة لجنةً لتدرُسَ هذه القضية، وبعد زيارات لبعض الدول الإسلامية مثل: السودان، ومصر، والمملكة العربية السعودية، خرجت اللجنة بفكرةِ بناء مدارس نموذجية في كل وحدة من الحكومات المحلية في ولاية كانو، وعددها: ستٌّ وأربعون وحدةً، وافتُتحِت ثلاث مدارس كتجربة، حيث تقدم الحكومة مرتبات ثابتة للمعلمين مع

توفير السكن والإعاشة والرعاية الصحية للطلاب، مع المحافظة على النمط القديم للدراسة بالألواح، والتحلق حول المعلم، وعدم استعمال الكراسي أو السبورة، حتى تقلَّ الريبة والشك التي تطارد بعض الآباء[٧].

وهناك تجربة أخرى قامت بها منظمة إسلامية غير حكومية تعرف بوكالة "العالم الثالث للإغاثة"، حيث قامت بتنظيم برنامج تأهيل مهني حِرفي لحفظة القرآن الكريم؛ وذلك للقضاء على ظاهرة تسول طلبة القرآن الكريم، تم تدارس الأمر للخروج برؤية أو وسيلة تسهم في تخفيف المعاناة، ونتَجَ عن هذا التفكير إقامةُ برنامج لتأهيل حفظة القرآن، تأهيلاً مزدوجًا، الجانب الأول منه: زيادة العلوم الشرعية، والثاني: التدريب المهني في إحدى الحرف، التي تمكن الطالب من كسْب العيش الكريم من دون اللجوء إلى التسول، أو الارتزاق بالقرآن عن طريق الدجل والشعوذة[٨].

إيجابياتها:

- هي معلمة الأجيال، كانت ولا تزال من أخطر وأهم المؤسسات التعليمية التي عنيت بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم عبر أجيال متوالية، حافظت على اللغة العربية واستقامة اللسان العربي، وكانت بمثابة الدروع التي حافظت على تراث الأمة في مواجهة مدارس الإرساليات التي غزت البلدان المستعمرة منذ بدايات القرن التاسع عشر.
- كانت الكتاتيب وما زالت الأداة التعليمية الرئيسية التي ينتقل بها العلم الديني وبالذات القرآن الكريم من جيل إلى جيل كما كانت الأداة التي تشع منها قاعدة التنوير الديني وحفظ القرآن ونشره، وهي كذلك الأداة التي توجد قاعدة من المتعلمين الذين يستطيعون بعد ذلك بسهولة تعميق دراستهم الدينية وإتقان شتى فروع العلوم الإسلامية، كما أن الدهاليز هي النظام التعليمي المناسب والملائم لاحتياجات المجتمع المتنوعة بحيث كانت تندمج بشكل طبيعي في نشاطات وحياة المجتمع الصغير اليومية، سواء في القرية أو في الحضر كما كانت الدهاليز نظامًا تعليميًا مجانيًاأو شبه مجاني، لا يكلف المجتمع أية أعباء للدراسة فوق أنها تستمد تكاليفها المادية إما من نظام الأوقاف أو من التبرعات البسيطة والجهود التطوعية للمجتمع. هذه الدهاليز هي النظام التعليمي الأمثل من عدة نواح، على الأقل من ناحية التعليم الأساسي والأولى، ولا يعني هذا أن فائدة الدهاليز قد انعدمت في الزمن الحاضر، ذلك لأنها وبالذات من ناحية تعليم وتحفيظ القرآن والأحاديث النبوية والقراءة والكتابة والقيم الاجتماعية والدينية الأساسية، فهي منظومة ضرورية في حياة المجتمع المعاصر ولا يمكن القول مثلاً أن نظام رياض الأطفال أو السنوات الأولى من التعليم

الأساسي يمكن أن تحل محل الدهاليز لأن هذه الأنظمة الحديثة لا تتمتع بنظامها في التعليم المباشر وفي إتقان الجوانب الدينية.

- لعل أبرزَ المظاهر الإيجابية لهذه المدارس هي التمكُّن من حفظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة، وهو في الوقت نفسه حفظٌ لكتاب الله والهُويَّة الإسلامية، وهو ما يشغل الأطفال والشباب بالقرآن عن سواه من الملاهي ومصاحبة الأشرار، وحفظ الكيان الإسلامي للأمة من الذوبان والاضمحلال في خضم الغزو الفكري والثقافات الوافدة.

سلبياتها:

- رغم أن التجربة حملت عديدًا من الإيجابيات، إلا أن هناك سلبيات عديدة لها، تتمثل في هجرة الطالب عن والدَيْه، وما يترتب عليه من مضاعفات نفسية في سنٍّ مبكرة، وافتقاد الطلاب كذلك السكن الملائمَ لهم والفصول الدراسية اللائقة، والتي تقي الدارسَ تقلبات المناخ من حرٍّ وبردٍ، فضلاً عن عدم وجود نظام إعاشة للطالب، حيث يُتركُ للتسوُّل وسؤال الناس في الطرقات والبيوت، وهو ما يشوه صورةَ طلاب هذه المدارس أمام غيرهم، بل تصِلُ المشكلة مداها مع تسخير بعض المعلمين الطلاب للعمل لهم في مزارعهم أو أي أعمال أخرى لمصلحتهم الخاصة وحدهم.

- هناك سلبيات أخرى تتعلق بنظام هذه المدارس، أولها: عدم وجود فصلٍ بين الأعمار المختلفة، وهذا يجعل الطالب عرضةً للظلم والاستغلال من الأكبر سنًّا، وكذلك غياب – عدم وجود الدراسة المدنية الموازية المساعدة للطالب في حياته المستقبلية، مثل: تدريس المواد المهنية، أو مواد أخرى كالرياضيات واللغات، بل حتى مواد الفقه والتفسير واللغة العربية لا وجودَ لها في منهج هذه المدارس، إلا في نطاق ضيّقٍ في مراحل متقدمة في المدن الكبيرة فقط، ولدى عدد قليل من العلماء.

- ومن السلبيات الشديدة أيضًا: عدم اعتراف الحكومة بخريجي هذه المدارس، وعدم اعتمادهم في التوظيف وسوق العمل، بالإضافة إلى عدم وجود تمويل ثابت لهذه المدارس، بل تترك للصدقات ومساعدة المحسنين الذين لا يقومون بالواجب كما هو مطلوب، فالمنطقة مكتظَّةٌ بالسكان والمحتاجون كثيرون[٩].

-الثواب والعقاب في الدّهليز: يأخذ بعض التربويين على معلّمي القرآن الكريم إفراطهم في العقاب الجسدي للطالب الّذي أخفق في أداء واجباته اليومية المتعلّقة بحفظ القرآن الكريم، أو الّذي ارتكب مخالفة أيّا كانت نوعها. ويحاجج المعلّمون بأنّ العقاب وسيلة فعّالة لتأديب الصغار، ولعلّهم بذلك آمنوا المقولة الشهيرة القائلة بأنه "من أمن العقاب أساء الأدب"، ويحاججون أيضا بأنهم يعلّمون القرآن ويقتدون في ذلك بجبريل عليه

السلام حيث شدّد على الرسول ﷺ عند نزول الوحي عليه أول الأمر، ويفنّد التربويون حجّة المعلّمين الأخيرة بأن جبريل لم يعاقب الرسول ﷺ على جرم ارتكبه، بينما المعلّمون يفرطون في عقاب الطلاب بسبب مخالفة بسيطة حسب رأي بعض التربويين. ومهما يكن من أمر فإنّه يبدو في الآونة الأخيرة أن العقاب بدأ يتراجع في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، وخاصة في المدارس القرآنية النظامية وشبه النظامية[١٠]. إذا كان هذا الحال في الصومال ففي نيجيريا قد يصل العقاب في الدهاليز إلى القيد بالسلاسل إذا أحسَّ المحفظ أن الطالب يبدو علية أمارات العناد وعدم الانصياع ، أو كان ممن يتعاطون المخدرات.

أثر القران في اللغة:

١. إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن جعلها محفوظة بحفظه، وباقية ببقائه؛ فكم من لغات كثيرة قد انزوت بموت أهلها أو ضعفت بضعفهم، كالبابلية القديمة، والسريانية، و المصرية، والآشورية، وغيرها كثير، وبقيت لغة القرآن صامدة لا تهزها العواصف ولا تغيرها الحوادث، لها قابلية التطور والتجدد، لما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاقتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول محمد صادق الرافعي :: «نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك؛ لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه؛ لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود؛ لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم»[١١].

٢. حفظ القران للعربية معانيها الضياع بين براثن اللهجات المختلفة حييث جمعها في لهجة قريش.

٣. أمد القران العربية بألفاظ ومعان جديدة لم تكن موجودة من قبل .

٤. جعل القران العربية لغة عالمية للإنس والجان لأن القران لسان الرسالة العالمية (وما

أرسلناك إلا رحمة للعالمين بلسان عربي مبين)[١٢]

مساهمة المدارس القرانية في دعم العربية:

زيادة على ما تقدم في الفقرة السابقة من تأثير القران الكريم على اللغة العربية في الجوانب المذكورة ، يأتي السؤال البارز: ما مساهمة المدارس الإسلامية في دعم اللغة العربية في نيجيريا قديما وإلى يومنا هذا؟

نيجيريا - كغيرها من الدول – لم تكن العربية لسانها الأول ولا الثاني ، فلم تكن لغة الشارع أو التعامل اليومي لتخالط الناس في مآكلهم ومشاربهم ولم يكن موقعها الجغرافي مجاورا لدول عربية ، ومع ذلك نجد اللغة العربية حاضرة باسم نيجيريا في المحافل الدولية والإقليمية والمحلية ، محتلة المراكز الأُول في : المسابقات القرآنية ، وفي الدراسات العربية والإسلامية حتى في البلدان العربية وفي المؤتمرات العلمية ...فما السر في ذلك؟

لعله من الأسرار الإلهية الخفية التي لم تدرك كنهها في حفظ اللغة العربية ، وأن هناك إعجازا للقران الكريم لم تدرك ماهيته تكمن في الذين لم تكن العربية لسانهم يحفظون القرآن كاملا دون أخطاء ،وأن بعضا منهم لايفهم معناه تفسيرا مع إحساسه ضمنا ،- ولله في خلقه شؤون –

ومن هنا يأتي دور المدارس القرآنية كعامل أساسي في حفظ اللغة العربية ونشرها ، لأنها حاضنة للقران الكريم الذي يسكن الأفئدة ويخالط اللحم والدم ، ويحرك الكوامن الداخلية للقارئ ، يسري بين جوانحه فيزداد خشوعا ،فالعربية مستقرة في عقله الباطني ،وإن كان لا يتحدث بها في المعاملات اليومية، كيف لا ؟ وقد أحكم الله آياته بقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[١٣]

فمن مظاهر دعم العربية وانتشارها ما يلي:

- كثرة المخطوطات في نيجيريا دليل على حفظ العربية من الضياع .
- المسابقات القرانية العالمية والمحلية.
- كان القرآن – ولا يزال – سببا لكثرة المدارس القرانية وانتشارها في نيجيريا بدرجة كبيرة ،لا يكاد يصدقها العقل دون أن توجد هيئات رسمية تقوم بشؤونها إلا قليلا، فإذا قارنا المدارس القرانية في كثير من البلدان العربية ودول شرق آسيا وجنوبها وبعض الدول الإفريقية كجززر القمر والصومال والتي تدعمها الحكومات بشكل مباشر ومنتظم لم

تنتشر- المدارس القرآنية فيها - انتشارا واسعاكما هو الحال في نيجيريا رغم المعوقات وقلة السند والميرة والزاد، فهي تسير بصورة ذاتية تلقائية تحت عناية إلاهية ، يسخر لها من يشاء من خلقه للقيام بدعمها.

الخاتمة :

بذا وصل الباحث في هذه العجالة إلى خاتمة المطاف و التي تناول فيها شذرات من ثمار المدارس القرآنية : نشأتها وأهميتها وإيجابياتها ومميزاتها وسلبياتها ومساهمتها في دعم مسيرة اللغة العربية ، في مقاربة لعلها تسهم في مد جسور التواصل والسعي الدؤوب لدفع عجلة تقدم الدراسات القرآنية إلى الأمام كواجب على أعناق المنتسبين إلى الإسلام في أيّ موقع كانوا ، فبجهودكم وجهودنا في أيّ موقع كنَّا يجتمع الشمل وتسير القافلة

المراجع والهوامش:

١- إبوبكر مصطفى، الثقافة العربية في نيجيريا، مط عبد الحفيظ،بيروت ، بيروت – لبنان ص٢٧٠

٢- زائد، مصطفى : المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة.- الجزائر، مجلة ثقافية العدد ٩٣، شعبان- رمضان ١٤٠٦،

٣- موقع اليونسيف، تقرير بعنوان "المدارس القرآنية في نيجيريا تنضم للجهود العالمية لدعم التعليم"، بتاريخ ٢٠١٥/١/١٥م.

٤- ٤-آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ط٣، ١٩٧٨م)، ص١٥٢.

٥- موسى عبد السلام أبيكن: مقال بعنوان "ثنائية التعليم في نيجيريا .. اتجاهات وتطلعات"، مجلة البيان، بتاريخ ٢٠١٠/١١/١٠م.

٦- موقع مؤسسة الشيخ عيد الخيرية، تقرير بعنوان "عيد الخيرية تفتتح مدرسة لتعليم القرآن الكريم في نيجيريا"، بتاريخ ٢٠١٥/٤/٢٨م

٧- ٧--حوار مع الأكاديمي الإفريقي الطاهر محمد داود الأستاذ بجامعة بايرو بكنو (موقع شبكة الوكه) تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/٥/١٠ ميلادي ١٤٣٦/٧/٢١ هجري

٨- المصدر السابق نفسه

٩- المصدر السابق نفسه

١٠- ١٠-مدارس تفيظ القرآن بالصومال magadishucernter.com
١١- الرافع مصطفى صادق ، وحي القلم ، دار الجيل بيروت ١٩٧٦م ج١ ص ٣٢٠
١٢- سورة الأنبياء الآية: ١٠٧
١٣- سورة الحجر الآية:٩

"دور علم الدلالة ودوره في تفسير القرآن الكريم كلمات مختارة من القرآن الكريم نموذجا

محمود أبوبكر غربة

قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة عمر موسى يرأدوت،
كشنة –ولاية كشنة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين وجعل اللغة العربية طريق الدلالة والبيان إليه، والصلاة والسلام على أفصح اللأنام أفصح من نطق الضاد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وبعد :

فإن تفسير القران الكريم من أهم العلوم بل هو أجلها لأنه دراسة وبحث عن كلام الله تعالى وقد نزل القرآن باللغة العربية أفصح اللغات وأفضلها ومن المعلوم والواضح أن اللغة العربية ثرية جدا بل هي أثرى لغة عرفت في الأرض،حيث تجد أن للشيء الواحد أكثر من اسم في هذه اللغة العظيمة، فالعسل له ثمانون اسما، والأسد له خمسمائة اسم والسيف له ألف اسم وهكذا، ولعلم الدلالة دور كبير في تفسير القرآن الكريم من حيث أن الآية تنزل بكلمات قليلة محدودة ومع ذلك فإنها تحمل من المعاني ما لا يتخيل حصره، وكلما نظر المفسر في الآية استخرج معاني معينة وتمر الأزمان ويأتي المفسرون يستخرجون معاني جديدة .

وهذا البحث بعنوان" :علم الدلالة ودوره في تفسير القرآن الكريم "يهدف إلى البحث في علم الدلالة في سورة البقرة نموزجا، وقد اختار: التضاد، والمشترك، والترادف ...واختار "التضاد " لإبراز أهمية علم الدلالة في تفسير القرآن الكريم .ويشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث ثم الخاتمة .وقد اتبع الباحث منهج الدراسة التحليلية الدلالية لبعض الكلمات في سورة البقرة نموذجا.

علم الدلالة ودوره في تفسير القرآن الكريم:

مفهوم الدلالة:

لغة :تدل مادة "دلل" على إبانة الشيء بإمارة تتعلمها ثم اشتق من هذا الأصل كلمة"الدلالة"، فالدليل ما استدل به، وقد دله على الطريق يدله دِلالة و دَلالة، والفتح أعلى، فالدلالة بمعناها اللغوي تعني الإرشاد إلى الشيء، والإبانة عنه.

اصطلاحا:

عرفت الدلالة بأنها كون الشيء بحالة يلزم العلم بشيئ آخر، والأول الدال، والثاني المدلول . ويمكن القول إلى العلاقة بين الدال والمدلول هي تلك الدلالة التي تربط بينهما، فقد استقر في

المفهوم اللغوي الحديث أن الدلالة" :هي العلاقة بين الدال"اللفظ و المدلول " المعنى" حيث ينظر إليها على اعتبار أنها" :الحدث الذي يقترن فيه الدال بالمدلول .فإذا جاز بشيئ من التسامح أن نقول :إن الضرب اتصال الضارب بالمضروب جاز قياسا على ذلك أن نقول :إن الدلالة هي اتصال الدال بالمدلول أو العلاقة بينهما.

أنواع الدلالة:

الدلالة في علم اللغة إلى أنواع مختلفة على حسب معنى الكلام، حيث يجد المتكلم أبعادا دلالية مختلفة في التركيب الواحد. قسم العلماء الدلالة إلى خمسة أنواع، كالاتي:

- الدلالة الصوتية.
- الدلالة الصرفية.
- الدلالة المعجمية.
- الدلالة النحوية أو التركيبية.
- الدلالة الاجتماعية.

نبذة عن سورة البقرة:

سورة البقرة أطولُ سورةٍ في كتاب الله، وثانيةٌ في ترتيب المُصحف بعد سورة الفاتحة، وهي مدنيةٌ، سُمّيت كذلك نسبةً إلى ورودِ قصّةِ بقرةِ بني إسرائيل فيها، والّتي أمرهم نبي الله موسى -عليه السلام -بذبحها .عددُ آياتها مئتان وست وثمانون آية، تتخلّلُها آية الكرسي :أعظم آية في كتاب الله، وفيها أطول آية في القرآن الكريم وهي آية الدَّين.

فضل قراءة سورة البقرة:

تأتي يوم القيامة شافعة لقارئها تُظلّه من حرارة ذاك اليوم وتخُصّه بالحفظ والرعاية، فقد رُوِي عن النواس بن سمعان في صحيح مسلم أنّه قال :سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم -يقول» :يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ .«وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ثَلاَثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ» كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَأوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا .«تطرد الشياطين والوساوس من نفس وبيت قارئها؛ فعن أبي هريرة أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال » :لا تجعلوا بيوتكم قبورا فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان .« خُتمت السورة بآيتين لهما فضلٌ كبير في حفظ المرء ودفع الكرب عنه؛ فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال :قال النبي صلى الله عليه وسلم :من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه .رواه البخاري .

تناولت آيات الطلاق وأحكامه .وضّحت مدة الرضاعة وحقوقها .ذكرت فضل آيات الصيام في شهر رمضان وما يتعلّق بفدية المرضى وغير القادرين على صيامه .ذكرت عِدّة المرأة المُتوفّى

عنها زوجها وأحكام خِطبتها .بيّنت أركان الحجّ وأحكامه كالوقوف بعرفاتٍ ورمي الجمار . شرحت آيات الربا وبيّنت حكمه .ذكرت حُكم اليمين وكفّارته .فرضت الجهاد في سبيل الله وبيّنت حالاته . وضّحت فضل الصّدقة وفصّلت في النفقة وفضلها .وضعت أساساً لمبدأ الدَّين من إحضار للشهود وكتابة ذلك وتوضيحه بين الطرفين.

ذكرت قصة الاستخلاف في الأرض وسجود الملائكة لسيّدنا آدم .فصّلت قصص بني إسرائيل من بداية نجاتهم من فرعون وخروجهم من أرضهم وكذلك طلبهم للسُّقيا والطعام من موسى -عليه السّلام -وانشقاق الحجر له، وكيف عبدوا العِجل واتّخذوه إلهاً من دون الله .أشارت إلى قصّة أصحاب السّبت .بيّنت قصّة بقرة بني إسرائيل ولونَها وصفاتِها .قصّة أكل آدم وحوّاء من الشّجرة وهبوطهما إلى الأرض .قصّة بناء سيدنا إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام - للكعبة المُشرَّفة .حادثة تحويل وِجهة القِبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المُشرّفة .قصة سيدنا إبراهيم عليه السّلام مع الملك الذي تحدّاه في ربّه .قصّة الرجل الصّالح الذي مرّ على القرية الخاوية فأماته الله ثم أحياه .قصّة طالوت وجالوت.

التضاد:

التضاد نوع من العلاقة بين المعانى، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن، من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعانى، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولا سيما بين الألوان، فذكر البياض يستحضر فى الذهن السواد، فالعلاقة الذهنيّة من أوضح الأشياء فى تداعى المعانى، فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة، عن معنيين بينهما علاقة ما، فمن باب أول جواز تعبيرها عن معنيين متضادين، لأن استحضار أحدهما فى الذهن، يستتبع عادة استحضار الآخر . فالتضاد فرع من المشترك اللفظي) .رمضان عبد التواب، ١٩٧٩ :٣٣٦ .(وكلمات الأضداد كثيرة فى اللغة العربية .وقد جمع ابن الأنبارى ٣٥٧ كلمة من كلمات الأضداد، مستمدا كل ما أورده السابقون فى" كتاب الأضداد"، ويوصف بأنه" أكبر كتب الأضداد وأهمها)."كاصد ياسر الزيدي، ٢٠٠٤ :١.(60

تعريف التضاد:

الضدّ فى اللغة" : المثل والمخالف) ."أحمد نعيم الكراعين، .(122 :1993 وقيل أيضا الضدّ لغة :كل شيء ضادّ شيئا ليغلبه، والسواد ضدّ البياض، والموت ضدّ الحياة، والليل ضدّ النهار، ضد الشيء وضديده وضديدته :خلافه، وضده أيضا مثله .قال ابن السكيت :حكى لنا أبو عمرو :الضد مثل الشيء، والضد خلافه) .محمد نور الدين المنجد، (24 :1999 والأضداد جمع ضد .وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، فالاختلاف أعم من الأضداد، كل متضادين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدان .أما تضاد مصدر من فعل :تضادد – يتضادد – تضاددا، فيجعل تضادّ بالإدغام .الأضداد والتضاد كلمتان لهما معنى واحد.

التضاد فى الاصطلاح له معانى مختلفة، منها :التضاد فى اصطلاح اللغويين هو الكلمات التى تؤدى إلى معنيين متضادين بلفظ واحد، ككلمة" الجون "تطلق على الأسود والأبيض، و"الجلل "تطلق على الحقير والعظيم).محمد بن القاسم الأنبارى، ١٩٦٠ :أ .(والتضاد عند أهل الأصول هو مفهوم اللفظ المشترك إما أن يتباينا، بأن لا يمكن اجتماعهما فى الصدق على شيء واحد، كالحيض والطهر فإنهما مدلولا القرء، ولا يجوز اجتماعهما لواحد فى زمن واحد .)السيوطي، ١٩٨٧ .(387 :وأما التضاد عند المحدثين هو وجود لفظين يختلفان نطقا ويتضادان معنى، كالقصير فى مقابل الطويل والجميل فى مقابل القبيح) .أحمد مختار عمر،١٩٨٢:١٩١م.

وليس المراد بالتضاد هنا ما يريده علماء اللغة المحدثون من وجود لفظين يختلفان نطقا ويتضادان معنى، وإنما المراد به مفهومه القديم وهو اللفظ المستعمل فى معنيين متضادين . فالتضاد نوع من المشترك اللفظي، التضاد أخص من المشترك اللفظي والمشترك اللفظي أعم من التضاد، كل التضاد هو المشترك اللفظي وليس العكس.

أهمية معرفة الألفاظ المتضادة فى القرآن الكريم:

يبدو أن جزءا من اهتمام اللغويين بالتأليف فى الأضداد يعود إلى ورود بعضها فى القرآن الكريم .وقد كشف عن ذلك صراحة أبو حاتم السجستاني الذى يقول فى صدر كتابه الأضداد)) :حملنا على تأليفه أنا وجدنا من الأضداد فى كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا فأوضحنا ما حضر منه، إذ كان يجيئ فى القرآن" الظنّ "يقينا وشكا، و"الرجاء "خوفا وطمعا .وهو مشهور فى كلام العرب .فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال) :إنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون)...البقرة :٤٥-٤٦ (وإنما المعنى : يستيقنون) .(...أحمد مختار عمر، ١٩٨٢ :١٩٩-2001).

فشرح لنا وجود ظاهرة التضاد فى القرآن الكريم، وخاصة فى سورة البقرة أطول السورة فى القرآن الكريم وجدت الألفاظ المتضادة الكثيرة، كما ظهرت فى الآية)) :إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مّا بعوضة فما فوقها) ...البقرة :٢٦ (و"فوق "اللفظ من الأضداد، يكون بمعنى "أعظم "ويكون" فوق "بمعنى" دون ."وفى هذه الآية، يقال :معنى" فما فوقها :"فما دونها، ويقال :معناه فما هو أعظم منها .وقال الفرّاء :الاختيار أن تكون" فوق "فى هذه الآية بمعنى "أعظم"، لأن البعوضة نهاية فى الصغر، ولم يدفع المعنى الآخر، ولا رآه خطأ .وقال قطرب : "فوق "تكون بمعنى" دون "مع الوصف، كقول العرب :إنه لقليل وفوق القليل، ولا تكون بمعنى" دون "مع الأسماء، كقول العرب :هذه النملة، وفوق النملة، لأن لم يتقدمه وصف، وإنما تقدمه اسم) النملة .(وردّ قول المفسّرين الذين ذكروا فيه أن" فوق "فى الآية بمعنى "دون) ."محمد بن القاسم الأنبارى، ١٩٦٠ :٢٥٠-٢٥١).

قد أثّرت ظاهرة التضاد فى القرآن الكريم فى فهم آياته بتأثير كبيرة .بأن التضاد له معنيان متضادان، فلابد لنا أن نعرف الألفاظ المتضادة التى تضمنتها آيات القرآن لكي لا نخطئ فى فهم القرآن وتفسير آياته، حتى لن نصل إلى استخراج الفهم الفاسد واستنباط الأحكم الباطلة أم متباينة بما يقصده الخالق .بناء على ذلك، فالبحث عن الألفاظ المتضادة فى آيات القرآن ومعرفة معانيها الصحيحة من أهم الأمور فى فهم القرآن.

الألفاظ المتضادة فى سورة البقرة ومعانيها:

أما السبب فى اختيار سورة البقرة فى هذا البحث يعنى لشملها على معظم الأحكام التشريعية، فى العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والسلم والحرب، وأمور الزوج والطلاق، وغيرها من الأحكام التشريعية، حتى وجدت عدّة من الألفاظ المتضادة التى تصور معظم من الألفاظ المتضادة فى القرآن الكريم.

بعد الملاحظة والبحث، وجدت حول 37 من الألفاظ المتضادة فى سورة البقرة، وهي كالآتي:

أمة :الجماعة .الواحد

الكلمة	**من دلالتها**
إن :	الإثبات" .قد "النفي " :ما"
أسر :	الإخفاء الإظهار
إذ :	الماضي .والمستقبل
إذا :	المستقبل .والماضي
باع :	البيع .والشراء
بين:	الفراق .والوصل
بكر:	التي لم يدخل بها .التي دخل بها.
بلاء:	نعمة ومنحة .نقمة ومحنة .
بعد:	التأخير وقبل التأخير
بصير :	البصير .والأعمى
هبط :	دخول .وخروج
ولي:	فاعل .مفعول
ولى:	الإقبال .والإدبار

وراء: خلف .وأمام

زوج: الذكر .والأنثى

حنيف : المستقيم .والمائل

حسب: الشك .واليقين

لا: الجحد .والإثبات

مولى: المنعم .والمنعم عليه

مضطر : الفاعل .والمفعول

ند: مثل .وضد

نحن: الجمع .والواحد

سميع : الفاعل والمفعول

عسى: اليقين .والشك

فوق: أعلى دون

صار: جمع قطع فرق

صفراء: الأصفر الاسود

قرء: الطهر والحيض

رغب: أحب كره

اشترى : الشراء والبيع

تاب: قبول التوبة استتباب

تواب : الله كثير التوبة على العيد والعبد كثير التوبة إلى الله

خاف : الشك واليقين

خفي : الخفاء والظهور

ظن : الشك واليقين

وستشرح بعضها فيما يلي:

بلاء :

لها معنيان متضادان :يكون نعمة ومنحة، ويكون نقمة ومحنة .قال الله تعالى" :ونبلوكم بالشر والخير فتنة) "الأنبياء .(35:وقد ورد هذا اللفظ عدة مرات فى القرآن الكريم، وست منها بمعنى "الاختبار"، وهو الأصل فى البلاء(.المنجد، .)111 :1999 ويتضمن فى هذا المعنى العام نعمة ومنحة، ونقمة ومحنة .ثم تسمى العرب الخير" بلاء "والشرّ" بلاء) ."الطبرى،.(313 :1999).

وجاءت فى سورة البقرة لفظ البلاء فى الآية 49 قال الله تعالى" :وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ."ويفسر المفسرون هذه الآية بمعنيين :كما قال الزمخشري :البلاء المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون، والنعمة إن أشير به إلى الإنحاء) . الرمخشري، 279 :1977. وقال الصابوني :أنها فيما ذكر من العذاب المهين من الذبح والاستحياء، محنة واختبار عظيم لكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم لتميز البرّ من الفاجر) .الصابوني، د.ع (57 : وأما الطبري يرى أن البلاء فى هذه الآية بمعنى نعمة، وقال :فإنه يعنى :وفى الذى فعلنا بكم من إنجائناكم، مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون إياكم، على ما وصفت بلاء من ربكم عظيم .ثم عرض الطبري كثيرا من أراء العلماء الذين رأوا أن معنه" النعمة) ."الطبري، 313 :1999 . ففى هذه الآية تستعمل معنيان متضادان معا .أما فى الآية" :249 قال إن الله مبتليكم بنهر"، وقال أبو جعفر :أي إن الله مختبركم بنهر، ليعلم كيف طاعتكم له) الطبري، 631 :1999. فهذه تتضمن" البلاء "بمعناها العام" الاختبار."

زوج :

له معنيان متضادن الذكر والأنثى، و"زوج "فى هذه الحالة يدل على علاقة كل منهما بالآخر، فهو بمعنى القرين، فالرجل سمي بالزوج مضافا إلى قرينه، وكذلك المرأة) عمر،206 :1982 . فقد استعمل القرآن الكريم هذيين معنيين فى آيات كثيرة، ويعرف اختلاف المعنى المستعمل فيها بالنظر إلى السياق أو القرينة.

وفى سورة البقرة، فيها ما يدل على معنى الذكر والأنثى، يعنى فى الآية" :102 ما يفرّق بين المرء والزوجه ."فمعناه الذكر والأنثى لأن السياق فى هذه الآيتين هو سياق العام لكل معنيين، فلا قرينة فيها التى تدل على خصوص المعنى للذكر أو الأنثى .وفيها ما يدل على معنى الذكر، كما فى الآية" :230 حتى تنكح زوجا غيره"، وفيها ضمير متصل" التاء "فى فعل نكح ليدل على "الغائبة"، حتى يلازم أن المراد بالزوج فيها الذكر .والآخر ما يدل على معنى الأنثى، ومنها فى الآية " :25ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون"، والأزواج جمع زوج، وهي امرأة الرجل، وقيل "مطهرة "فإن تأويله أنها طهّرن من كل أذى وقذى وريبة، مما يكون فى نساء أهل الدنيا، من

الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمنيّ، وما أشبه ذلك من الأذى والأدناس والريب والمكاره) .الطبري،.(211 :1999

مولى:

يقول الأصمعي" :والمولى منعِم، والمولى منعَم عليه) ."ابن الآنباري، .(217 :1960 وسبب الضدّية في هذا اللفظ :للتحسين القبيح .أما في القرآن الكريم ووجد هذين معنيين .وقال الله تعالى في آخر سورة البقرة في الآية" :286 أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين".، أي أنت يا الله ناصرنا ومتولي أمورنا، فلا تخذ لنا وانصرنا على أعدائنا وأعداء دينك، فمعناه هنا "المنعِم"

نحن:

ويكون نحن بمعنى الجمع، فهو أصلا، ويكون بمعنى الواحد، وهذا كثر في القرآن الكريم، ووجد لفظ" نحن "في مواضع كثيرة في سورة البقرة، ومما ورد بمعنى الجمع يوجد في الآية :11 "نحن مصلحون"، وفي الآية" :14 نحن مستهزئون"، وفي الآية" :30 نحن نقدس بحمدك"، وغيرها .ومما ورد بمعنى الواحد، في الآية" :34 وإذ قلنا للملآئكة اسجدوا"، وفي الآية :35 "وقلنا يئآدم السكن أنت"، وفي الآية" :36 وقلنا اهبطوا"، وفي الآية" :38 قلنا اهبطوا منها جميعا ."وهذه كلها استعملها الله تعالى في القرآن الكريم لإخبار عن نفسه وحده بقصد التفخيم والتعظيم) .ابن الآنباري، 201 :1960.

صار:

فيه معنيان متضادان، بمعنى جمع وبمعنى قطّع وفرّق .وقد نشأ التضاد عن هذا اللفظ لتطور صوتي، هو القلب .وقال الفراء :لا نعرف صار بمعنى" قطع "إلا أن يكون الأصل فيه "صرى"، فقدمت اللام إلى موضع العين، فأصبح" صار) ."عمر، .(211 :1982 وورد اللفظ في الآية 260 من سورة البقرة" :قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك"، وقال ابن الأنباري أن معناه على الضربين :فقال ابن عباس :معناه قطّعهنّ، وقال غيره :معناه ضُمّهن إليك .فالذين قالوا :معناه قطّعهن، قالوا" إلى "مقدمة في المعنى، والتأويل" :فخذ أربعة من الطير إليك فصرهنّ"، أي قطّعهن) .ابن الآنباري، .(36 :1960 واتفق الصابوني بهذين معنيين في تفسير هذه الآية، فقال أن معنى هذه الآية :خذ أربعة طيور فضمهن إليك ثم اقطعهن ثم اختلط بعضهن ببعض حتى يصبحن كتلة واحدة) .الصابوني، د.ع 166.

قرء:

"القرء "في إطلاقه على معنى الحيض والطهر، لأن عموم معناه الأصلي، يعني وقت معتاد،ثم يستعمل في الحيض والطهر لأن كليهما وقت معتاد للمرأة).علي عبد الواحد وافي، د.ع (195 : وقيل أيضا أن سبب الضدية في هذا اللفظ لاختلاف اللهجات العربية، يقول الأصمعي :

"القرء "عند أهل الحجاز" الطهر"، وعند أهل العراق" الحيض) ."المنجد، (192 :1999 وجمع من قروء .وجاء هذا اللفظ فى سورة البقرة فى الآية" :228 والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء ."وقد اختلف علماء الفقه والمفسرون فى تفسير هذه الآية، فبعضهم يقولون أن معنى القروء فيها الحيض، منهم أبو حنيفة وأحمد، وبعض الآخر يقولون أنه الطهر ومنهم إمام مالك والشافعي.

أما حجّة إمام مالك والشافعي بأن القروء الطهر يعنى : الأول :وجود حرف التاء فى" ثلاثة " الذى يدل أن لفظ" القروء "مذكر، وهو الطهر، لأن الحيض هي مؤنث، إذا كان معنى المراد الحيض، فأصبح اللفظ" ثلاث قروء ."والثاني :قالت عائشة رضي الله عنها" :أتدرون ما الأقراء؟ الأقراء الأطهار .والثالث :قوله تعالى فى سورة الطلاق الآية"1: يآيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهنّ لعدّتهن . "وقد شرح لنا أن الطلاق فى وقت الحيض ممنوع، فالمقصود فى الآية الطهر، فالقروء بمعنى الطهر.

وأما حجّة أبي حنيفة وأحمد بأن قروء الحيض يعنى : الأول :لأن الغرض الأصيل فى العدة استبراء الرحم، والحيض هو الذى تستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الإستبراء من الأمة بالحيض .والثاني :قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة" :دعي الصلاة أيام أقرائك"، ومعناه أيام الحيض .والثالث :قوله تعالى" :واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار) .الرمخشري، .(365 :1977 وقال الزمخشري وابن العربي صاحب أحكام القرآن، أن الرأي الثاني هو أصح وحجته أقوى من غيره.

توّاب: :

وهو اللفظ الذى يقع التضاد فى صيغته الصرفية بمعنى الفاعل والمفعول .والتوّاب له معنيان متضادان" :الله كثير التوبة على عباده "و" العبد الكثير التوبة إلى الله ."وقد وردت عدة الآيات فى سورة البقرة التى تتضمن فيها لفظ" التوّاب "بمعناه الأول، فهي فى الآية :37 "إنه هو التوّاب الرحيم"، وفى الآية" :54 إنه هو التوّاب الرحيم، وفى الآية" :127 إنك أنت التوّاب الرحيم"، وفى الآية" :160 وأنا التوّاب الرحيم ."وكله فى معنى واحد فهو الله كثير التوبة على عباده .وأما الآية التى تدل على لفظ التوّاب بمعناه الثاني هي الآية" :222 إن الله يحب التوّابين ويحبّ المتطهّرين ."التوّابين هو جمع المذكر السالم من توّاب، أي التوّابين من الذنوب، وهنا بمعنى العباد الذين يكثرون التوبة إلى الله .فالتوّاب فى السياق الأول بمعنى الفاعل) من يعطِى التوبة (وفى السياق الثاني بمعنى المفعول) من يعطَى التوبة.

ظن:

كان له معنيان متضادان :الاول الشك والثاني , اليقين الذى لا شك فيه .وورد اللفظ بأحد معنيين فى السياق، وبمعنى ضده فى السياق الآخر .وكان فى سورة البقرة ما ورد بمعنى الشك فى الآية" :78 وإن هم إلا يظنّون"، أي :وما هم إلا يشكون، ولا يعلمون.

وفى الآية " :230 إن ظنّا أن يقيما حدود الله"، أي :إن كان فى ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية، ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى، لأن الإنسان لا يعلم ما فى الغد وإنما يظن ظنا).الرمخشري، .(368 :1977 وأما فى الآية" :46 الذين يظنّون أنهم ملقوا ربهم"، أي الذين علموا ويستيقنون أنهم ملاقو ربهم .وفى الآية" :249 قال الذين يظنّون أنهم ملقوا الله"، أي قال الذين يعلمون ويستيقنون أنهم ملاقو الله .الطبري،). .(637 :1999 ولفظ "الظن "فى كليهما يدل على يعلمون ويستيقنون.

هبط:

كلمة" هبط "من المتضاد بمعنى الدخول والخروج في الآية 61 في هذه السورة قال تعالى : "اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم "قال الصابوني في صفوة التفاسير :أي ادخلوا مصرا من الأمصار وبلدا من البلدان أيا كان لتجدوا فيه هذه الأشياء.

وقال الطبري رحمه الله في تفسير قوله" :اهبطوا مصرا "وقد دللنا- فيما مضى -على أن معنى"الهبوط "إلى المكان، إنما هو النزول إليه والحلول به . وهو بمعنى الخروج.

ولّى:

كلمة ولّى لها معنيان متضاديان :الإقبال والإدبار ففي الأية 64 في سورة البقرة جاءت بمعنى الإدبار في قوله تعالى" :ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ "قال أبو جعفر :يعني بقوله جل ثناؤه):ثم توليتم :(ثم أعرضتم .وإنما هو"تفعلتم "من قولهم":ولاني فلان دبره "إذا استدبر عنه وخلفه خلف ظهره .ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة أمر بها، ومعرض بوجهه (2) .يقال":قد تولى فلان عن طاعة فلان، وتولى عن مواصلته"، ومنه قول الله جل ثناؤه):فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ] (التوبة[76 :، يعني بذلك :خالفوا ما كانوا وعدوا الله من قولهم):لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ] (التوبة[75 :، ونبذوا ذلك وراء ظهورهم.

وفي الآية 149 جاءت كلمة" ولّى "بمعنى الإقبال في قوله تعالى } :وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون{

قال أبو جعفر :يعني جل ثناؤه بقوله":ومن حيث خرجت"، ومن أيّ موضع خرَجْت إلى أي موضع وجَّهتَ، فولِّ يا محمد وَجهك - يقول :حوِّل وَجْهك .وقد دللنا على أن"التولية "في هذا الموضع شطر المسجد الحرام، إنما هي :الإقبالُ بالوجه نحوه.

فوق :

لها معنيان متضادن في سورة البقرة ففي الآية (26) جاءت بمعنى" دون "في قوله تعالى) :إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (يقول :خصها الله بالذكر في القِلة، فأخبر أنه لا يستحي أن يضرب أقلّ الأمثال في الحق وأحقرَها وأعلاها إلى غير نهاية في الارتفاع، جوابًا منه جل ذكره لمن أنكر من منافقي خلقه ما ضرَب لهم من المثل بمُوقِد النار والصيِّب من السماء، على ما نَعَتهما به من نَعْتهما.

وفي الآية (93) جاء بمعنى الأعلى في قوله تعالى) :وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .(قال أبو جعفر :يعني بقوله جل ثناؤه):وإذ أخذنا ميثاقكم(، واذكروا إذ أخذنا عهودكم، بأن خذوا ما آتيناكم من التوراة - التي أنزلتها إليكم أن تعملوا بما فيها من أمري، وتنتهوا عما نهيتكم فيها - بجد منكم في ذلك ونشاط، فأعطيتم على العمل بذلك ميثاقكم، إذ رفعنا فوقكم الجبل.

اشترى :

لها معنيان متضادن" :الشراء والبيع "جاءت بمعنى" الباع "في قوله تعالى) :أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) (قال أبو جعفر :إن قال قائل :وكيف اشترى هؤلاء القومُ الضلالةَ بالهدى، وإنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقَهم إيمانٌ فيقال فيهم :باعوا هداهم الذي كانوا عليه بضلالتهم حتى استبدلوها منه؟ وقد علمتَ أن معنى الشراء المفهوم :اعتياضُ شيء ببذل شيء مكانه عِوَضًا منه، والمنافقون الذين وصفهم الله بهذه الصفة، لم يكونوا قط على هُدًى فيتركوه ويعتاضوا منه كفرًا ونفاقًا.

وجاءت بمعنى الشراء في قوله تعالى) :أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ((175) قال أبو جعفر :يعني تعالى ذكره بقوله":أولئك الذين اشترَوُا الضلالة بالهدى"، أولئك الذين أخذوا الضلالة، وتركوا الهدى، وأخذوا ما يوجب لهم عذاب الله يوم القيامة، وتركوا ما يُوجب لهم غفرانه ورضْوَانه .فاستغنى بذكر"العذاب "و"المغفرة"، من ذكر السبب الذي يُوجبهما، لفهم سامعي ذلك لمعناه والمراد منه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، هذا ما تيسر لي جمعه في البحث عن الأضداد كأحد خصائص اللغة العربية .وقد تضمن البحث المقدمة ثم تعريف بعلم الدلالة ثم نبذة عن سورة البقرة ثم البحث عن الأضداد دراسة تحليلية دلالية .وجدت 37 من الألفاظ المتضادة فى سورة البقرة، وتحللت بعضا منها نموذجا .يرجى إلى من يحب اللغة العربية، من متعلمها ومعلّمها ومعلّم العلوم الدينية التى تستعمل فيها اللغة العربية أن يعرف التضاد – أحد خصائص ومميزات اللغة العربية، لغة القرآن ولغة الحديث ولغة العلم ولغة الجنة .ويرجى إلى معلمي اللغة العربية على الأخص أن يتعمقوا بدراسة فقه اللغة وعلم اللغة عامة، والتضاد خاصة لكى يفهموا المعانى المتضادة فى اللغة العربية وخاصة فى القرآن الكريم حتى لا يخطئوا فى فهم وتفسير أيات القرآن .ويرجى إلى من يتعمق بفهم آيات القرآن وبحث عنها أن لا يتحدد فى استخدام التفاسير البسيطة والعام فحسب، بل فليستخدم أيضا أنواع التفسير اللغوية نحو الكشّاف لزمخشري أو غيره.

المراجع:

١- معجم المقاييس في اللغة – تاليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا "ت 390ه .تحقيق :شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1418ه، (1998م).

٢- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم أبي القاسم بن منظور،) ت 711ه (طبعة دار المعارف، القاهرة،) دلل.

٣- كتاب التعاريفات، تأليف :علي بن محمد بن علي الجرجاني،) ت819 ه(، تحقيق : عبد المنعم الحقي، دار الرشاد، القاهرة1991 م، ص .139

٤- علم الدلالة بين النظر والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعة، بيروت،1413 ه1993 -م، ص84.

٥- إبراهيم صبيح، وآخرون :اللغة العربية – دراسات في اللغة والنحو والأدب، عمان :دار المناهج 2004م.

٦- ابن جعفر مححد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد الأول بيروت :دار المكتبة العلمية1999م.

٧- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوازرمي .الكشاف، الجزء الأول -بيروت دار الفكر1996 .م.

٨- أحمد محمد قدور .مبادئ اللسانيات لبنان :دار الفكر المعاصر 1996م.

٩- صفوة التفاسير .المجلد الأول .مكة المكرمة :دار الكتب الإسلامية ١٩٩٩م.

١٠- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي .المزهر في علوم اللغة وأنواعها .الجزء الأول ببيروت المكتبة العصرية.1987 .م.

١١- الراغب الأصفهاني .معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت :دار الفكر.

١٢- ربحي كمال، التضاد في ضوء اللغات السامية -دراسة مقارنة .بيروت دار النهضة العربية 1975م.

١٣- علي عبد الواحد وافي .فقه اللغة – القاهرة، دار النهضة مصر،

١٤- محمد المبارك .فقه اللغة وخصائص العربية .دمشق دار الفكر 1964م.

١٥- محمد نور الدين المنجد التضاد في القرآن الكريم دمشق دار الفكر 1999م.

دور علم الدلالة في تفسير القرآن الكريم :سورة البقرة نموذجًا

علي أبوبكر

و

بخاري علي

مدرسان بكلية أسماء الإسلامية للبنات، صكتو

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيدنا وحبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، وقد يدل هذا على أهميته عند المسلمين، وهو كتاب يتعبد بتلاوته، الذي وعد الله بحفظه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) الحجر: ٩

والذي يأتي يوم القيامة شفيعا لأهله. وقد ظهرت عدة علوم، منذ قديم، من أجل خدمة القرآن الكريم، ومن بينها علم التفسير الذي يبحث في القرآن الكريم من حيث دلالة كلماته وتراكيبه لفهم مضامينها. وكما يخدم علم التفسير القرآن الكريم؛ هكذا كان علم المعاجم يخدم علم التفسير. وفي العصر الحديث ظهر علم الدلالة الذي يبحث في مضامين ومعاني المفردات والجمل وأصبح علما مستقلا، الذي تعود جزوره عند العرب إلى نظرية معاني الغريب في القرآن الكريم، والحديث عن مجازي القرآن ومثل التأليف في الوجوه والنظائر في القرآن والمعاجم وحتى ضبط القرآن بالشكل يعد من قبل الدلالة. ويريد الباحث هنا الإشارة إلى الأهمية والدور الذي يقوم به هذا العلم في علم التفسير ومدى علاقتهما، لعل هذا هذا يساعد إلى جزب انتباه القراء والمفسرين لكتاب الله تعالى ليكونوا على وعي تام بدلالة الألفاظ والعبارات في القرآن الكريم، ويعرف، كذلك، كيف كانت الكلمات تستخدم وتنساق تنسيقا عجيبا في القرآن الكريم، تصلح في موضع ولاتصلح في موضع آخر، وكل هذا من أجل خدمة المعنى والدلالة. وقد شملت المقالة على المستخلص والمقدمة وتعريف القرآن الكريم وعلم التفسير ومفهوم علم الدلالة والوحدة الدلالية ونماذج من كلمات مختارة من القرآن الكريم ثم الخاتمة والنتائج والمراجع. وبه نستعين.

القرآن الكريم:

كتاب ختم الله به الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، بدين عام ختم به الأديان، وهو كتاب الله تعالى لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الخلق، أنهى إليه منزله كل تشريع وأودعه كل نهضة وناط به كل سعادة[١].

أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ) القيامة: ١٧

ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ، من باب إطلاق المصدر على مفعوله.[٢]

وفي الاصطلاح: "كلام الله المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته"[٣].

التفسير لغة: الإيضاح والتبيين، (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) الفرقان:٣٣

والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[٤]. وعرف أيضا بأنه "علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بألألفاظ والمتعلقة بالأحكام[٥].

شرف التفسير:

التفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرا، وهو أشرف العلوم موضوعا وغرضا وحاجة إليها؛ لأ موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية، وإنما اشتدت الحاجة إليه؛ لأن كل كمال ديني أو دنيوي لابد أن يكون موافقا للشرع، وموافقته تتوقف على العلم بكتاب الله[٦].

نشأة علم التفسيروتطوره:

التفسير في عهد الرسول ﷺ وأصحابه: كان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون القرآن الكريم؛ لأنه نزل بلغتهم وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه. ولكنهم مع هذا كانوا يتفاوتون في الفهم، فقد يغيب عن واحد مالا يغيب عن الآخر، ويعتمدون على تفسير القرآن بالقرآن. وكثيرا ما يعتمدون على النبي ﷺ في الفهم المبين للقرن الكريم. وعلى سبيل المثال حين نزلت هذه الآية (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) الأنعام: ٨٢

شق ذاك على الناس فقالوا أينا لايظلم نفسه، فقال إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال عبد الصالح (وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لقمان: ١٣

إنما هو الشرك. وبعد وفاة الرسول ﷺ، كانوا يعتمدون على الاجتهاد في فهم القرآن الكريم[٧].

التفسير في عصر التابعين: وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسو الله، وعلى ما رووه عن الصحابة من

تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى، وما نقل عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسروا ما غمض فهمه على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض على تدرج كلما بعُد الناس عن عصر النبي ﷺ والصحابة، فاحتاج المشتغلون من التابعين إلى أن يكملوا هذا النقص، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض. ثم جاء من بعدهم فأتموا تفسير القرآن تباعا، معتمدين على ماعرفوا من لغة العرب ومناحيهم في القول، وعلى ما صح لديهم من من الأحداث التي حدثت في عصر نزول القرآن وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل البحث[٨].

ولما جاء عصر التدوين، وذلك في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين، كان التفسير من العلوم التي دوّنت، واشتدت عناية جماعة برواية التفسير المنسوب إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين. وجاء بعد هولاء من أفراد التعبير بالتأليف وجعله علما قائما بنفسه[٩].

مفهوم علم الدلالة والوحدة الدلالية:

علم الدلالة "يُعرف بأنه دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"١٠. أو "هو علم مضامين ومعاني المفردات والجمل[١١]"

الوحدة الدلالية:

"يختلف علماء اللغة المحدثون في تعريف الوحدة الدلالية، وفي المصطلح العلمي الذي يطلقونه عليها، فمنهم من أطلق عليها مصطلح SEMANTIC UNIT، ومنهم من أطلق عليها مصطلح SEMEME".[١٢]"وتختلف وجهات النظر اللغوية حول تعريف الوحدة الدلالية. فمنهم من قال إنها: الوحدة الصغرى للمعنى. ومنهم من قال إنها: تجمع من الملامح التمييزية. ومنهم من قال إنها: أي امتداد من الكلام يعكس تباينا دلاليا".[١٣]

"وقد قسم نَيْدَا الوحدة الدلالية إلى أربعة أقسام:

١- الكلمة الواحدة: وتعد الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية، لأنها تشكل أهم مستوى أساسي للوحدات الدلالية، حتى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى.

٢- أكبر من كلمة (تركيب): أما الوحدات الدلالية الأكثر شمولية، فهي المتركبة من وحدات على مستوى الكلمة، فنعني بها تلك العبارات التي لا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها، وضم هذه المعاني بعضها إلى بعض. وفي هذه الحالة يوصف المعنى بأنه تعبيري، وعلى سبيل المثال: ضرب كفا بكف،الذي يحمل معنى (تحيّر).

٣- **أصغر من كلمة:** أما الوحدة الدلالية التي تعد أقل من كلمة، فتتمثل في المورفيم المتصل، ويشمل ذلك السوابق[١٤] والدواخل[١٥] واللواحق[١٦]. فالأولى مثل أحرف المضارعة- والسين للدلالة على الاستقبال، والثانية مثل الألف في كلمة(فاعل) الضمائر المتصلة.

٤- **أصغر من مورفيم (صوت مفرد):** أما الوحدة الدلالية التي تعد أقل من مورفيم، فمثل دلالة الضمة على المتكلم، والفتحة على المخاطب، والكسرة على المخاطبة، وذلك في الضمائر: كتبتُ-كتبتَ-كتبتِ.[١٧] " .

ويمكن أن يلاحظ، أن الكلمة تتكون من الأصوات، وتغيير صوت بصوت آخر، يؤدي إلى تغيير دلالة الكلمة. وأصوات الكلمة تؤدي دورا فاعلا في قوة المعنى أو ضعفه.وأن هذه الدراسة تكون على الوحدة الدلالية المتركبة من أكثر من كلمة.

نماذج من دلالة الكلمات في كلمات القرآن الكريم:

يتناول هذا القسم الجانب التطبيقي من هذه المقالة في القرآن الكريم على مستوى كلمات تعود إلى جذر واحد وتختلف دلالتها لاختلاف وزنها، وتشير إلى القلاقة الوثيقة بين علم التفسير والدلالة.

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) العنكبوت: ٦٤

الحياة – الحيوان: والسبب في استخدام القرآن كلمة "الحيوان" للدار الآخرة دون استخدام كلمة "الحياة" مع أن كلا منهما مصدر لفعل "حيي"، أن كلمة "الحيوان" أتت على صيغة المبالغة بزيادة "ألف ونون" وفي بنائها زيادة معنى ليس في بناء كلمة "الحياة". وفي دلالة وزن "فعلان" يدل على الحركة والإضطراب. والحياة حركة كما أن الموت سكون.[١٨]

(إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) الأنعام: ٩٥

يخرج الحي- مخرج الميت: وقد عبر القرآن بلفظ الفعل مع كلمة "الحي" واسم الفاعل مع الميت. والسر في ذلك، إن جملة "يخرج الحي من الميت" فعلية وهي تدل على أن هذا الفعل يتجدد ويتكرر في كل آن، وجملة "مخرج الميت من الحي" اسمية تدل على الدوام والثبات. فحصل بمجموع ذلك أن كلا الفعلين متجدد وثابت[١٩].

والمعتبر هنا، إن الحياة تقتضي الحركة والاضطراب؛ لذا عبر بما يدل على ذلك، والموت تقتضل السكون وعدم الحركة، فجيئ بما تناسب دلالته ذلك وهي الجملة الاسمية.

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ص: ٥

(بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ) ق: ٢

شيئ عجاب و شيئ عجيب: و"عجيب" على وزن "فعيل" كحميد وهو الذي لايزال يحمد كثيرا[٢٠]

وعجاب هو وصف الشيء الذي يتعجب منه كثيرا؛ لأن وزن "فُعال" بضم أوله ، يدل على تمكن الوصف، مثل طوال بمعنى المفرط في الطول[٢١]

إذن، دلالة الفتحة الطويلة مثل "عجاب" أبلغ وأظهر من دلالة الكثرة الطويلة مثل "عجيب". وهذا ينطبق على "تكرار وتكرير" "جلال وجليل".

(مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ) القمر: ٨

(ذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ) المدثر: ٩

عسِر و عسير: عسر على وزن "فعِل" وعسير على وزن "فعيل" كلاهما صفتان متشبهتان باسم الفاعل، الذي يدل على اللزوم والثبوت، غير أن "فعيل" أبلغ من "فعل". وعسير صفة مشبهة من العسر، وهو الشدة والصلابة[٢٢].

والصرفيون دائما يقولون إن زيادة في المبني زيادة في المعنى.

(نَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ)الأنعام: ٣٦

(أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ) النحل: ٢١

(تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ) الزمر: ٣٠

الموتى و الأموات و الميتون: موتى على وزن "فعلى" وهو جمع يدل على آفة من الهلاك والمكروه؛ لأن ذلك أمر أدخلوا فيه وهم له كارهون[٢٣] . وقداستخدم القرآن كلمة " الموتى والأموات والميتون" للميت، فاستعمل "الموتى" لمن أصابهم الموت حقيقة، واستعمل "الأموات" لمن ماتوا حقيقة وغير حقيقة أي الموت المعنوي.[٢٤] (كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)البقرة: ٢٨

وجمع سلامة يدل في الغالب على القلة، وهنا يدل على الكثرة.

وفي أصحاب الكهف (ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا)الكهف: ١٣

(وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ) يوسف: ٦٢

فتية-فتيان: والسبب في هذا الاستخدام يعود إلى القلة والكثرة، وأصحاب الكهف لم يصل عددهم إلى عشرة. فجيئ بكلمة "فتية". وعمال العزيز في قصة يوسف الذين يعملون على الطعام أكثر من عشرة. فاستعمل "الفتية" للقليل، و"الفتيان" للكثير[٢٥].

(وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ) البقرة: ٥٨

(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ) الأعراف: ١٦١

خطاياكم-خطيئاتكم: فجيء بالأولى على الكثرة وبالثانية على القلة، والقصة واحدة. والسبب في ذلك، أن المقام في البقرة يقتضي التكثير والتفضل، إذ إنه لما أضاف ذلك القول إلى نفسه فقال "وإذ قلنا" لاجرم قرنَ به ما يليق بجوده وكرمه، وهو غفران الذنوب الكثيرة ، فذكر بلفظ الدال على الكثرة. وفي الأعراف لم يضف ذلك إلى نفسه، بل قال" وإذ قيل" لاجرم ذكرذلك بجمع قلة[٢٦] .

والخطايا جمع تكسير يدل على الكثرة، والخطيئات جمع سلامة يدل على القلة.

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) البقرة: ٢٤٧

(أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الأعراف: ٦٩

بسطة-بصطة:بسطة بالسين وبصطة بالصاد، وذلك أنه في آية البقرة كانت "بسطة" لشخص واحد، وفي الأعراف كانت "بسطة" في قوم، فأبدل السين صادا؛ لأن الصاد أقوى وأظهر من السين. فالسين الذي هو أضعف لشخص واحد، والصاد الذي هو أقوى وأظهر لقوم[٢٧] .

(فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ) الشعراء: ٥٧

(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ) الأعراف: ١٧٩

عيون و أعين: وكلاهما جمع للعين، والعيون تدل على عيون الماء كما في الآية، و"أعين" للعين الباصرة[٢٨] . وصيغ الجمع هي التي تدل على المراد في كل موقف.

(فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا) مريم: ٢٦

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) البقرة: ١٨٣

الصوم والصيام: حيث يدل الصوم على الصمت، والصيام على العبادة المعروفة بالكف عن شهوات البطن والفرج.[٢٩]

(وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) الروم: ٤٦

(وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ)الذاريات: ٤١

الرياح والريح: الرياح تكون في الخير والريح في الشر والعقوبات، فلا يستعمل بناءين مختلفتين بمعنى واحد وذلك توسيع لرقعة المعنى واستثمار لطيف للصيغ والألفاظ[٣٠].

الخاتمة:

ناقش الباحث عن تعريف القرآن الكريم وعلم التفسير ومفهوم علم الدلالة والوحدة الدلالية وصولا إلى نماذج من كلمات مختارة من القرن الكريم لإجراء الدراسة. وتوصل إلى أن علم الدلالة، وخصوصا في العصر الحديث، يوضح ويساعد المفسر على إدراك معاني الكلمات والعبارات في تفسير القرآن بشكل أوضح من السابق، وعلى سبيل المثال تفسير "التحرير والتنوير" كفى لنا شاهدا على ذلك. وهكذا أن الكلمات العربية على الرغم من كثرتها ووفرتها وتشابهها لا تستخدم هكذا عفوا؛ وإنما تستخدم على نسق معين بحيث لو اختلت هذه التنسيقات لما استقام المعنى. وعلى سبيل المثال، كلمات " الصوم والصيام" و"الريح والرياح" و" الموتى والأموات والميتون و "يخرج و مخرِج". وكل هذه الكلمات في الآيات السابقة لا تقبل الاستبدال وإحلال نظريها في محل أخرى. و السر في كل هذه التنسيقات يعود إلى اختلاف أوزان هذه الكلمات. وتوصي المقالة بمزيد من البحوث في القرآن الكريم وتفاسيره لاستخراج الكنوز المدفونة في القرآن الكريم.

قائمة الهوامش والمراجع:

١- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ت: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤١٥ هـ،ص:١٢.

٢- المرجع السابق،١٦.

٣- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة القاهرة، ص:١٥.

٤- عبد المجيد محمود مطلوب، **مباحث في علوم القرآن والحديث**، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص:١٧٧.

٥- المرجع السابق، ص:١٧٨.

٦- سيد قطب، **التصوير الفني**، دار الشروق -القاهرة، ١٤٢٥هـ، ص:٣٢٠.

٧- عبد المجيد محمود مطلوب، مرجع سابق، ص:١٨٦-١٨٧-١٨٨.

٨- المرجع السابق، ص:١٩٠.

٩- مناع القطان، مرجع سابق، ص:٣٣٢.

١٠- أحمد مختارعمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، ط:٦، القاهرة، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، ص:١١.

١١- كارل ديتر بونتنج، **المدخل إلى علم اللغة**، ترجمة د. سعيد حسن بجيري،مؤسسة المختار، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ، ص:.٢٤٨

١٢--المرجع السابق، ص:.٣١

١٣- أحمد مختارعمر، **علم الدلالة**، مرجع سابق، ص:.١١

١٤-الأصوات التي تزاد في أول جزر الكلمة، مثل النون في نكتب

١٥-" " " وسط جزر الكلمة، مثل الألف في فاعل

١٦-الأصوات التي تزاد في آخر جزر الكلمة، مثل التاء في معلمة

١٧-أحمد عمر مختار: **علم الدلالة**، مرجع سابق،ص: ٣٢ -٣٣

١٨- أنظر: أحمد ياسوف، **جماليات المفردات القرآنية**،دار المكتبي-دمشق، ط١٤١٩،٢هـ، ص:١٦٢.

١٩- أنظر: الأصفهاني، محمد بن عبد الله، **درة التنزيل وغرة التأويل**، ت: مصطفى آيدين،معهد البحوث العلمية مكة المكرمة،ج١، ص:١١٥.

٢٠- فاضل صالح السامرائي، **معاني الأبنية في العربية**، دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤٢٨هـ، ص:٦٣.

٢١- ابن عاشور، **التحرير والتحوير**، الدار التونوسية، تونس، ١٩٨٤م، ج٢٣،ص:٢١٠.

٢٢- المرجع السابق،ج٢٧،ص:١٧٨.

٢٣- فاضل صالح السامرائي، مرجع سابق، ص:١٤٠.

٢٤- المرجع السابق، ص:١٤٠.

٢٥- المرجع السابق،ص:١١٠.

٢٦- المرجع السابق،ص:١١٩.

٢٧- فاضل صالح السامرائي، **الجملة العربية والمعنى**، دار ابن حزام- لبنان،ص١٤٢١هـ،ص:٢٦١.

٢٨- المرجع السابق،ص:٢٦٣،

٢٩- المرجع نفسه والصفحة.

٣٠- المرجع نفسه والصفحة.

- أحمد مختارعمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، ط:٦، القاهرة، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.
- أحمد ياسوف، **جماليات المفردات القرآنية**،دار المكتبي-دمشق،ط١٤١٩،٢هـ.
- الأصفهاني، محمد بن عبد الله، **درة التنزيل وغرة التأويل**، ت: مصطفى آيدين،معهد البحوث العلمية مكة المكرمة،ج١.
- ابن عاشور، **التحريروالتحوير**، الدار التونوسية، تونس، ١٩٨٤م، ج٢٣.
- حمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ت: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤١٥ هـ.
- سيد قطب، **التصويرالفني**، دار الشروق -القاهرة، ١٤٢٥
- عبد المجيد محمود مطلوب، **مباحث في علوم القرآن والحديث**، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- فاضل صالح السامرائي، **معاني الأبنية في العربية**، دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- فاضل صالح السامرائي، **الجملة العربية والمعنى**، دار ابن حزام- لبنان،ص١٤٢١هـ.
- كارل ديتر بونتنج، **المدخل إلى علم اللغة**، ترجمة د. سعيد حسن بجيري،مؤسسة المختار، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ.
- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة القاهرة،.

دور اللغة العربية في تطوير المدارس القرآنية في نيجيريا

محمد بشير

المقدمة:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن، ولا أحد ينتمي إلى الإسلام إلا وقد شرب من ينابيعها خلال تعلّم القرآن، يتعلّم بعض ألفاظها، وهذه اللبنة الأساسية التي حصل عليها في العربية هي التي تحفزّه إلى المزيد منها، ويتعمّق في تعلّمها وفهمها، لأنها لغة القرآن، كتاب رب العالمين. فلا ريب أن يتمثّل تأثير اللغة العربية في تلاميذ الكتاتيب القرآنية تأثيرًا بالغًا يترك بسماته على نظامها وطريقة التعليم فيها إلى حدّ تتغيّر فيه نمط السير والتوجه فيها.

قبل سيطرة الاحتلال البريطاني على المناطق التي تمثّل نيجيريا حاليًّا كانت الكتاتيب القرآنية تعتبر المرحلة الأولى للتعليم، يلتحق بها الصبيان إذا ترعرعوا ليتعلّموا قراءة القرآن الكريم وكتابته، ومنها ينتقلون إلى المراحل المتقدمة، وبعد ذلك يكتسبون ثقافة دينية واجتماعية ومهارة لغوية تؤهلهم ليحتلوا مكانة مرموقة في المجتمع، مندمجون في رَكب المقربين إلى ولاة الأمر.

وقد أثّر الاحتلال البريطاني في طمس معالم اللغة العربية والثقافة الإسلامية بعد دخوله إلى نيجيريا، مستغلا إحكام قبضته على البلاد وبسط سيطرته عليها، ففتح مراكز علمية لنشر ثقافته وعقيدته المسيحية والتصدي للكتاتيب القرآنية والمعاهد الدينية. فقامت اللغة العربية بمقاومة الاحتلال على مخططاته، ولعبت دورًا محوريًّا في تطوير الكتاتيب القرآنية وتأهيلها إلى مستوى تستطيع الصمود أمام الريح العاتية المتمثّلة في جهود الاحتلال في تهميشها وطمس معالمها نهائيا. وهذه الأدوار من قِبل اللغة العربية قد آتت ثمارها، حين ظلّت المدارس القرآنية قائمة على قدميْها إلى الوقت الراهن.

عرض موجز عن الكتاتيب القرآنية في نيجيريا:

الكتاتيب: جمع ومفرده كتّاب. يقول ابن منظور: والكتّاب: موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب والمكاتِب، ويسمّى أيضا مكتَب.[1] قال عبد الله بن مسعود ﷺ: " قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد بن ثابت له ذؤابة في الكتّاب".[2] وهو اسم يطلق في شمال أفريقيا على مدرسة تعليم القرآن الكريم. أما في بلاد الهوسا فيطلق عليه اسم (Tsangaya) أو (Makarantar allo) أي مدرسة اللوح، سمّيت بهذا الاسم لأن التلاميذ المنتسبين إليها كانوا يكتبون دروسهم على الألواح الخشبية.

هذه المدرسة هي التي يتعلم فيها الأطفال مبادئ القراءة والكتابة وكيفية قراءة القرآن الكريم، وقد تكون غرفةً في بيت المعلم أو دكانًا أو دهاليز المنزل أو المسجد. وتعتبر المرحلة الأولى من التعليم العربي الإسلامي. لذلك يبدأ الولد بتعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم يتعلم قراءة القرآن الكريم، وذلك مقابل أجر أو جُعل معيّن أو غير معيّن يدفَع إلى المعلم كل أسبوع أو كل شهر أو كلّ سنة.[٣] وتختلف الكتاتيب باختلاف مكان وجودها، ففي البوادي غالبا تكون ملحقة بالمسجد، وقلّما تنفصل عنه، أما في المدن فإنها تكون ملحقة بالمسجد أو منفصلة عنه.

يصعب تحديد الفترة الزمنية التي وصل من خلالها تعليم القرآن الكريم إلى نيجيريا، ولكن ما هو مشهور عند المؤرخين أن دخول تعليم القرآن الكريم في نيجيريا يعود إلى بداية دخول الإسلام في هذه البلاد، لأن من اعتنق الإسلام أول ما يتبادر إليه هو تعلّم مبادئ الإسلام وتعاليمه ليتمكّن من القيام بالالتزامات الدينية.[٤] وقد أسهم عدد كبير من العلماء والدعاة الذين زاروا هذه المنطقة في انتشار التعليم العربي والإسلامي فيها، وخلّدوا تراثًا ثقافيًّا هائلاً استفاد منه أهلها، ولا شك أن الملوك الذين اعتنقوا الإسلام قاموا بدور بارز في نشر التعليم الإسلامي، فقد فتحوا مؤسسات لتعليم القرآن الكريم واستقدموا العلماء من بلدان أخرى واستوطنوهم في مملكاتهم، وكذلك المواطنون الذين درسوا وتخرّجوا على أيدي هؤلاء العلماء أو الذين تغرّبوا عن ديارهم وتجوّلوا في الممالك المجاورة أو في شرق أفريقيا لطلب العلم والمعرفة.[٥]

والإشكالية الأخرى التي تواجه الباحثين هي تحديد الفترة الزمنية التي أصبح تعليم القرآن الكريم تخصصًا مستقلاً عن بقيّة علوم الدين، والمشهور أنه في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي قد انتشر تعليم القرآن الكريم في مملكة كانم برنو، حتى إن السلطان الثاني عشر للدولة والأول بالنسبة لملوك الإسلام، *هُمّي جِلمِي* (Hummi Jilmi B. Selemma) الذي حكم ما بين ١٠٨٦م – ١٠٩٧م) قد حفظ القرآن الكريم كاملا.[٦]

وإن القراءة القرآنية التي دخلت إلى نيجيريا في بادئ الأمر هي رواية ورش عن نافع، وذلك عن طريق مصر مرورا بالقيروان. ومن هناك انتشرت في غرب أفريقيا ومنها مملكة كانم برنو.[٧] أما رواية حفص عن عاصم فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها وصلت إلى نيجيريا مع إيفاد أساتذة وشيوخ من السودان إلى نيجيريا للتدريس بكلية الشريعة التي أنشئت في مدينة كنو في عام ١٩٣٤م.[٨]

أما كلية الشريعة فقد أسست في عام ١٩٣٤م خِصيصًا لتدريب القضاة، وفي عام ١٩٤٧م غيّر اسمها إلى مدرسة العلوم العربية وأُلحق بها تدريب مدرسي اللغة العربية، فعمّها طلاب

العلم من جميع أنحاء نيجيريا، وأصبحت كعبةً علميةً ونموذجًا فريدًا لتطوير التعليم العربي الإسلامي في نيجيريا.[٩]

وتنقسم كتاتيب القرآن إلى قسمين: فالأول هو القسم الذي يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن فقط من غير حفظ، وهي الأكثر انتشارا، وتسمّى (makarantar allo) بمعنى مدرسة اللوح- كما ذكرنا سابقا- ويكتبون فيها القرآن. وكان من عادات أهل هذه البلاد إذا ترعرع الطفل وبلغ خمس سنوات تقريبًا يرسل إلى هذه المدرسة، وهي بمثابة المرحلة الابتدائية من مراحل التعليم فيها، وقلّ ما تجد طفلا سواءٌ في المدن أو في القرى إلا وتعلّم في مثل هذه المدارس، حتّى وإن لم تكن موجودةً في قريته يرسل إلى القرى المجاورة التي توجد فيها المدرسة. أما القسم الثاني فهو الذي يحفظ فيه الطلاب القرآن الكريم عن ظهر القلب، وتعتبر هذه المرحلة بمثابة مرحلة ما بعد الابتدائية، ويطلق عليها (Tsangaya). يقع معظمها في منطقة برنو وما جاورها، وعددها قليل بنسبة إلى القسم الأول، ولا يلتحق بها الولد غالبا إلا إذا أتمّ مرحلة الابتدائية (القسم الأول). وتقع غالبا خارج المدن وفي القرى، ويبنون بيوتهم من الأخصاص، ويعيشون هناك مع معلميهم.[١٠]

وقد اتخذها الملوك والعلماء لغة رسمية لهم، بها تصدر المراسيم وتجرى المراسلات وتدوّن القرارات السياسيّة والقضائيّة، وبها تبرم العقود التجاريّة والعهود والمواثيق، إلى جانب استعمالها لغة للدين، ولا تزال تتخذ وسيلة للتعليم الديني والتأليف. وإن تعلّم القراءة والكتابة بهذه اللغة يحتاج إلى أن يلتحق الطالب بمدرسة يتعلم فيها أو يذهب إلى معلّم يتعلّم منه، فكانت الكتاتيب هي المدرسة الابتدائية التي يتعلم فيها التلميذ كيفية الكتابة والقراءة بالخط العربي، فإذا تعلّم قراءة القرآن يستطيع من خلال ذلك أن يكتب ما يشاء من الرسائل وغيرها بلغته المحلية مستعملا الحروف العربية، لذلك يمكن اعتبار الكتاتيب القرآنية هي المؤسسات الأولى لمحو الأمية في المجتمع، يلجأ إليها الناس ليحاربوا الجهل وليتزوّدوا بثقافةٍ عربيةٍ إسلامية تمكّنهم من الاندماج في المجتمع والقيام بدورٍ كبيرٍ في الشؤون السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

وكان الخط العربي المغربي هو الخط المنتشر والمستعمل في الكتابات في نيجيريا، وذلك لأن قراءة ورش عن نافع التي دخلت إلى نيجيريا عن طريق المغرب كانت مكتوبة بالخط المغربي، وهو الذي يُستخدم في كتابة المصاحف والرسائل وغيرها. وقد استطاع العلماء في مملكة برنو تطوير شكل هذا الخط بصياغة جديدة تختلف عن الخط المغربي المعروف مع بقاء صورة الحروف على حالها دون تغيير، ويمكن أن يطلق عليه اسم الخط المغربي البرناوي بدلا من الخط المغربي فقط، لأن طريقة رسمهما مختلفة اختلافا بيّنا.[١١]

ويصعب تحديد الفترة الزمنية التي بدأ الناس استعمال الحروف العربية في كتابة اللغة المحلية في نيجيريا، والمعلوم أن هذه الحروف كانت تستعمل في الكتابات في شمال أفريقيا منذ القرن الحادي عشر ميلادي، وعندما دخل الإسلام في المناطق الموجودة داخل نيجيريا حاليّا وانتشر تعليم القرآن الكريم فيها بدأ الناس يستعملون الخطوط العربية في كتابة لغاتها المحلية،[١٢] فكان الهوساوي والكانوري والفلاني واليرباوي وغيرهم يكتبون لغاتهم بالخطوط العربية، والفضل في ذلك يعود إلى كتاتيب القرآن الكريم، لأنها مراكز لتعلم القراءة والكتابة إضافة إلى تعليم القرآن الكريم، فكان الذي لا يستطيع أن يكتب يذهب إلى المعلّم في الكتاتيب أو يطلب من أحد طلابها أن يكتب له.

والجدير بالذكر أنهم استطاعوا وضع رموز لأصوات موجودة في لغاتهم المحلية ولا توجد حروفها في الخطوط العربية، وذلك عن طريق وضع نقاط على أو تحت حروف عربية تجانس أصواتها تلك الأصوات الموجودة في اللغة العربية. ولكن لم يحدّد المؤرخون الفترة الزمنية التي بدأ الناس فيها استعمال الخطوط العربية في كتابة اللغة المحلية، لذلك إن هذه النقطة بالذات تحتاج إلى بحث دقيق لبلورتها وكشف مضامينها ومراحل تطويرها.

هكذا ظلّ الحال إلى أن جاء الإنجليز المحتلّ واستولوا على المناطق التي تحت نيجيريا حاليًّا، وبعد أن ثبتت أقدامهم على أراضيها شنّوا حربا على اللغة العربية، ودبّروا مكائد حتى استطاعوا من تقليص نفوذها وعزلها عن الساحة السياسية والإدارية واستبدلت بلغة المستعمر.[١٣] وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الخطوط العربية تستعمل في نيجيريا وخاصة في الكتاتيب القرآنية، وتدرّس في الجامعات إلى الوقت الراهن.

تأثير الثقافة العربية في الكتاتيب القرآنية:

إن الكتاتيب القرآنية قد أسهمت بشكل كبير في انتشار الثقافة العربية إضافة إلى اللغة العربية، وكان اتصال مسلمي نيجيريا بمصر وشمال إفريقيا والحجاز من أجل التعلم اتصالا قويًّا، تبلورت آثارها جليًّا في كثير من نواحي الحياة، حتى صارت هذه البلاد تضاهي تلك البلاد في العقيدة ومظاهر الحياة والتعليم.

وأكّد الباحثون أن منهج التعليم في الكتاتيب القرآنية في نيجيريا منقول إلى حدّ كبيرٍ من المنهج المتبع في الكتاتيب في المغرب العربي،[١٤] حيث وصفه ابن خلدون في مقدمته فقال:

(فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله ... لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه)

إلى أن قال:

(وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر).[١٥]

وكذلك طريقة التدريس وأدوات التدريس فيها وأيام الدراسة والإجازة وطريقة إقامة الحفلة للأولاد الذين ختموا القرآن أو وصلوا إلى جزءٍ معيّنٍ فيه فهي قريبة جدًّا إلى طريقة أهل غرب إفريقيا بشكل عام بتغيير يسير. يقول ليون الإفريقي في وصف مدينة فاس المغربية:

> ***(وهنا يعلمهم المعلم القراءة والكتابة، وليس في كتاب معيّن، بل بالاستعانة بألواح خشب كبيرة يكتب عليها التلاميذ. ويقتصر درس كل يوم على آية من القرآن.. إلى أن يجيد الطفل تعلمه بصورة مقنعة جدا ويحفظه عن ظهر الغيب أو يدرك ذلك بعد انقضاء مدة سبع سنين)***[١٦]

إلى أن قال:

> ***(وحينما يختم الطفل حفظ القرآن يقوم الأب بصنع وليمة فخمة لكل التلاميذ. وفي أثنائها يكسى الطفل وكأنه أمير. ثم يذهب به على ظهر جواد.. ثم تكون الوليمة التي يحضرها أصدقاء الوالد ويقدم كل واحد منهم شيئا للمعلم).***[١]

منهج تعليم اللغة العربية في الكتاتيب:

يعتبر المسلمون في نيجيريا قديمًا بأن تعلّم القرآن الكريم أمرًا ملزمًا لكل فرد، لذلك انتشرت المدارس القرآنية في جميع أنحاء البلاد، وما زالت إلى الآن هي الأكثر انتشارا في المناطق التي يقطنها المسلمون، لذلك كان الناس يتعلمون اللغة العربية جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم حسب المرحلة التي يكون فيها الطالب. ويمكن تقسيم مراحل التعليم في الكتاتيب القرآنية إلى ثلاث مراحل: الابتدائية والمتوسطة والمتقدمة.

ففي المرحلة الابتدائية يتعلم فيها التلميذ الحروف العربية مجرّدة ومتحرّكة، وذلك عن طريق تحليل حروف سورة فاتحة الكتاب، وعشر قصار السور الأخيرة في القرآن الكريم، أي من سورة الفيل إلى الناس. مثال ذلك: {الحمد لله رب العالمين } يتعلمها هكذا: { ألف، لام، حاء، ميم، دال، لام، هاء....}. ثم ينتقل إلى تعلم نفس السور عن طريق تحليل الحروف، لكن هذه المرة يتعلم الحروف بالحركات مثال ذلك: {اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يتعلمها هكذا: {ألف بالفتحة مع لام ساكنة = (اَلْ)، حاء بالفتحة مع ميم ساكنة = (حَمْ)، دال بالضمة = (دُ).... }. إلى هنا يتمكّن الولد من تعلم القراءة، ثم يتولّى المدرّس كتابة الدرس للتلميذ في هذه المرحلة.

ثم ينتقل التلميذ إلى المرحلة المتوسطة ليتعلم الكتابة وإتقان القراءة أيضا، وفيها يتولّى الولد نسخ الدرس بنفسه، ويتعلّم سور القرآن الكريم، يبدأ عادةً من سورة فاتحة الكتاب، ثم

ينتقل إلى الأسفل فيتعلّم سورة الفلق ثم سورة الناس وهكذا إلى أن يختم تعلّم القرآن بسورة البقرة. وفلسفة هذا المنهج هو أن الولد يبدأ بتعلّم قصار السور التي يسهل عليه ختمها سريعا، ثم ينتقل إلى السور المتوسطة ثم السور الطوال. واستعمال اللغة العربية كلغة للتعليم في هاتين المرحلتين معدوم، إذ إنّ الاهتمام مركّز على جانب القراءة والكتابة والحفظ، دون الالتفات إلى جانب المعنى الذي يدرك بواسطة معرفة اللغة العربية.[١٨]

أما المرحلة المتقدمة فهي للشباب والكبار فقط، وقلّما تجد ولدًا صغيرًا فيها؛ وتنقسم إلى قسمين: قسم يتخصّص فيه الطالب في حفظ القرآن الكريم فقط، وقسم يتخصص فيه الطالب في تعلّم اللغة العربية والدراسات الإسلامية. فالطلاب الذين تخصصوا في القسم الأول يتفرّغون لحفظ القرآن وإتقانه دون غيره من العلوم العربية والإسلامية. والطلاب الذين تخصصوا في القسم الثاني يكتفون بتعلّم القرآن قراءة دون حفظه كاملا وينصرفون إلى تعلّم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، أحيانا، فالذي أتقن القرآن في القسم الأول ينتقل إلى هذا القسم ليواصل تعليمه فيه.[١٩]

ومن خلال اللغة العربية يدرسون الكتب التي أحضرها العلماء المغاربة معهم، وأهم المواد المقررة من العلوم والفنون هي: التوحيد الأشعري، والفقه المالكي، والقصائد الوعظية، ومتون اللغة؛ كمقامات الحريري ومختار الشعر الجاهلي، وقواعد النحو والصرف والبلاغة والعروض والقافية والتجويد والقرآن والتفسير والحديث والأصول والمنطق والفلك. أما الكتب المقررة فهي الكتب المشهورة قديمًا في بلاد العرب، وربما أضافوا إليها بعض كتب أخرى من مؤلفات علمائهم،[٢٠] ككتاب أصول الدين للشيخ عثمان بن فودي، وكتاب العشريات، وكتاب الحصن الرصين في الصرف كلاهما للشيخ عبد الله بن فودي.[٢١]

دور الكتاتيب في افتتاح المدارس العربية والإسلامية الحديثة:

لعبت اللغة العربية دوار بارزا في تطوير الكتاتيب القرآنية إلى المدارس العربية والإسلامية على غرار المدارس الابتدائية التي أسسها المستعمرون في نيجيريا، هذا الدور لم يكن ليقع صدفة، بل هناك أسباب مسبقة دفعت المسلمين في نيجيريا في تطوير المدارس القرآنية. ذكر بعض الباحثين بأن أهم الأسباب التي أدت إلى تأسيس المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا هي:[٢٢]

أوّلا: إن المسلمين لم يرتاحوا إلى المدارس التي فتحها المحتلّون التي يشرف عليها المنصّرون بغرض نشر المسيحية وثقافتهم على حساب الإسلام والثقافة العربية.

ثانيا: إن نظام المدارس القرآنية في ذلك الوقت غير قادر على مواجهة نظام المدارس الجديدة المدعومة من قِبَل المحتلّين بالمال والسلطة، فإذا أراد المسلمون المحافظة على هوّيتهم الدينية

وتربية أطفالهم والثقافة العربية فلا بد من تطوير الكتاتيب إلى نظام يضاهي النظام الذي أدخله المحتل.

ثالثًا: إتباع المدارس القرآنية في نيجيريا المنهج والأسلوب التقليديَين، حيث لم تدرج العلوم الدينية واللغة العربية فيه، والناس في حاجة إلى تعليم أطفالهم مبادئ الإسلام والتحدث باللغة العربية، كل هذه الأمور تحتّم عليهم وجود مدارس لتعليم الأطفال علوم الدين واللغة العربية بأسلوب حديث غير الذي تعوّدوا عليه في الكتاتيب حيث يشوبه تجاوزات في التأديب حتى كان يقيّد التلميذ في سلاسل من حديد.[٢٣]

ففي عام ١٩١٢م فتح المحتلّون أوّل مدرسة ابتدائية في كنو، وهي الأولى من نوعها في شمال نيجيريا لتعليم القراءة والكتابة والحساب بالحروف اللاتينية، ولمّا قوبلت بالتحفظ من قبل المسلمين أضيف في مناهجها حصص الدين واللغة العربية وإن كان إدراجهما في المنهج شكليًّا، لأنه لم يُوضع لها المنهج ولا انتُدب لتدريسهما أساتذة أكفاء.[٢٤] وعلى الرغم من هذا التطوّر لم يطمئن المسلمون إلى هذا النظام الذي أدخله المحتل إلى بلادهم، ومما يؤكد ذلك أنه في المرحلة الأولى من الاحتلال وبالتحديد عام ١٩٠٣م قام المحتلّون بإحصاء الكتاتيب القرآنية في المناطق الموجودة في شمال نيجيريا حاليًّا، فبلغ عددها خمسا وعشرين ألفًا (٢٥،٠٠٠)، وعدد تلاميذها مئتان وخمسون ألف (٢٥٠،٠٠٠).[٢٥] ثم في عام ١٩٦٠م بعد استقلال نيجيريا من الاحتلال البريطاني كوّن رئيس وزراء شمال نيجيريا آنذاك أحمد بلّو سَرْدَونَنْ سُوكُوتو لجنة للنظر في شؤون الكتاتيب القرآنية فقامت هذه اللجنة بإحصاء هذه المدارس في شمال نيجيريا فبلغ عددها واحدا وخمسين ألف تسع مئة وواحد وعشرون مدرسةً (٥١٩٢١)، أما عدد التلاميذ فبلغ ثلاث مئة ثمان وتسعين ألفا مئة وثمانية عشر تلميذًا (٣٩٨١١٨).[٢٦] ويلاحظ بأن عدد المدارس والتلاميذ قد ارتفع على ما كان عليه في بداية الاحتلال.

من هنا فكّر بعض المواطنين وخاصّة من الطبقة المثقّفة في تطوير نظام التعليم السائد في ذلك الوقت، والمتمثل في الكتاتيب القرآنية إلى نظام جديد على غرار المدارس الابتدائية، يجمع بين الأصالة والتطور يشرف عليه المسلمون يناوئ التيار الجديد الذي تمثّله المدارس الابتدائية للإنجليز.

ويمكن القول بأن هذا النوع من المدرسة قد وصل إلى نيجيريا قبل أن يفرض الاحتلال سيطرته الكاملة على نيجيريا، وإذا اعتمدنا على ما ذكره بعض الباحثين من أن أوّل من جمع الأولاد على المقاعد والسبورة في نيجيريا عام ١٨٩٠م أو ١٨٩٩م - على اختلاف بين المؤرخين- هو الشيخ عبد الكريم الطرابلسي[٢٧] الرحالة المغربي الذي طاف بأقطار أوروبا وآسيا، كما طاف بكثير من بلاد أفريقيا إلى أن توفي بمدينة كنو النيجيرية في عام ١٩٢٦م،[٢٨] وما لم

يتوقف عليه الباحث هو هل هناك ارتباط بين جهود هذا الشيخ وانتشار المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا أم لا؟

أما الافتتاح الرسمي لهذا النوع من التعليم كان في عام ١٩٢٢م، عندما فتحت جماعة أنصار الدين مدرستها في لاجوس، ومن هناك دخل نظام المدارس الإسلامية والعربية إلى شمال نيجيريا.[٢٩] وأول مدرسة إسلامية لتعليم الدراسات الإسلامية واللغة العربية فتحت في شمال نيجيريا كان في عام ١٩٢٧م في إمارة بَرْنُو، وقد سمحت الحكومة المركزية بإيفاد ثلاثة مدرسين من السودان للتدريس فيها، وتجرى الدراسة فيها باللغة العربية.[٣٠] وهذه الصحوة الطيّبة من قِبَل المسلمين هي التي أدّت إلى افتتاح مدرسة العلوم العربية في كنو - أشار الباحث إليها سابقا-، ومع استقلال نيجيريا عن الاحتلال البريطاني انتشرت المدارس الإسلامية والعربية في جميع المناطق التي توجد فيها المسلمون في نيجيريا. ففي ستينات القرن الماضي توجد في مدينة كنو فقط أكثر من سبع مدارس إسلامية وعربية.[٣١]

تطوير الكتاتيب القرآنية إلى الإعدادية والثانوية العربية:

بعد استقلال نيجيريا عن حكم الاحتلال وجد المسلمون فرصة ذهبية لتنظيم شؤون التعليم بأنفسهم حسب حاجاتهم ورغباتهم، فانتشرت المدارس العربية والإسلامية انتشارًا كبيرًا جنبًا إلى جنبٍ مع الكتاتيب القرآنية التقليدية، وفُتحت مدارسُ عربيّة إعداديّة وثانويّة كثيرة؛ للذكور وللإناث؛ حكومية وغير حكومية. وفي ثمانينات القرن الماضي تطوّر تعليم القرآن الكريم في المدارس العربية والإسلامية وانتشرت فيها رواية حفص عن عاصم، وانتشر علم تجويد القرآن نظريًّا وتطبيقا. وهذا النشاط الكبير الذي شهده تعليم القرآن الكريم قد دفع الحكومة في بعض ولايات نيجيريا إلى أن تفتح أقساما لتحفيظ القرآن والتجويد في بعض المدارس العربية الثانوية، وقد كلّل هذا الجهد من قِبل الحكومة بالنجاح، لأن إضافة أقسام لحفظ القرآن الكريم إلى هذه المدارس أعطاها طابعا خاصّا، فزادت شهرتها وكان الطلاب يؤمّونها من جميع أنحاء البلاد، وخاصّة بعد بداية المسابقة القرآنية في نيجيريا في عام ١٩٨٦م.[٣٢]

فمثلا، في ولاية كنو بشمال نيجيريا فتح قسم تحفيظ القرآن الكريم والتجويد في عدد من المدارس العربية الحكومية، منها:

١- مدرسة العلوم العربية، التي أسست في عام ١٩٣٤م
٢- كلية معلمي اللغة العربية "غُولي"
٣- كلية اللغة العربية للبنات "غُورُوندُوظي"
٤- المدرسة الثانوية العربية للبنات " طَنْ بَتّ"

٥- المدرسة الثانوية للدراسات الإسلامية للبنات " أَلْبَسُو "

٦- المدرسة العربية الثانوية للبنات " تُدُنْ وَدَا "

الكليتان الأولى والثانية للذكور، فتح فيهما قسمان: قسم تحفيظ القرآن وقسم للتجويد. في القسم الأول يدرس الطالب فيها ستّ سنوات يحفظ من خلالها القرآن الكريم. وفي القسم الثاني وهو خاص للحفّاظ، يدرس الطالب فيه أحكام التجويد وعلوم القرآن لمدّة ستّ سنوات. أما بقية المدارس الأربعة الأخيرة فهي للبنات، وفتح فيهنّ قسم لتحفيظ القرآن الكريم فقط.

وهكذا استمرّ الأمر وتتوسّع المدارس القرآنية وتتزايد شعبيّتها إلى أن فُتحت ثانويات خاصّة لتحفيظ القرآن الكريم والتجويد حكومية وغير حكومية. ففي عام ١٩٨٩م فُتحت أول مدرسة باسم كلية القرآن الكريم وعلومه، ثم بعد ذلك غيّر اسمها إلى كلية عبد الله بايرو لعلوم القرآن. وفي العام الدراسي للعام ٢٠١٨/٢٠١٧م في ولاية كنو فقط بلغ عدد المدارس القرآنية والتجويد إلى أربع وخمسين مدرسةً (٥٤). واحد وعشرون (٢١) منها حكومية والبقية غير حكومية.[٣٣]

أما المواد التي تدرس في هذه المدارس تشمل: القرآن وعلومه، والقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والنحو والصرف، والقراءة والفهم، والأدب العربي، والإنشاء والنحو، وإحدى اللغات المحلية واللغة الإنجليزية، والرياضيات، والعلوم، وعلم الاجتماع.

وفي الوقت الراهن يمكن القول بأنه تمّ تطوير الكتاتيب القرآنية من مدارس تقليدية إلى مدارس حديثة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، خلال هذه المراحل يمكن للطالب أن يحفظ القرآن الكريم ويتعلم علوم الدين ويتقن اللغة العربية. أما الكتاتيب القرآنية التقليدية فقد تقلّص عددها جدًّا، لأن آباء الأطفال تولّوا عنها وفضّلوا إرسال أبنائهم إلى المدارس العربية والإسلامية، حيث يتعلّم الولد علوم الدين واللغة العربية إضافة إلى تعلّم القرآن الكريم وحفظه وفق منهج وأسلوب جميل، خال من العنف والشدة في التأديب الموجودين في بعض الكتاتيب. كما أن ظهور جماعة (بوكو حرام) المتشددة قد أثّر تأثيرا سلبيًّا على هذه المدارس، لأن بعض أفراد الجماعة ومنهم مؤسسها الذي يدعى محمد يوسف ينتسبون إليها. هذه العوامل أجبرت بعض الكتاتيب إلى أن تتحوّل إلى النظام الجديد أو تجمع بين النظام الجديد والنظام التقليدي ليختار الأب لولده القسم الذي يناسبه، وبعضها قد تمّ إغلاقها وخاصة في المدن، أما في القرى فما زال النظام التقليدي قائما يتنافس مع النظام الجديد.

المشكلات التي تواجه التعليم العربي والإسلامي في الكتاتيب القرآنية:

على الرغم من التطورات التي شهدتها المدارس القرآنية، والنجاحات التي حقّقتها اللغة العربية فيها، فهناك مشكلات تواجهها، وهذه المشكلات لا تختلف كثيرا عن مشكلات التعليم العربي والإسلامي في نيجيريا بصفة عامة، ومنها:

١- قلّة التمويل، لأن بعض الحكومات لا تتدخّل في شؤون الكتاتيب القرآنية وإنما كانت تترك الأمر تحت رعاية المجتمع، وهذا هو واقع المدارس القرآنية في جنوب نيجيريا، حيث لا تدعمها الحكومات ماديًّا على الرغم من كثرة نسبة المسلمين في المنطقة. بخلاف شمالها إذ إن الحكومات في المنطقة الشمالية كانت تتدخّل بشكل كبير في شؤون المدارس القرآنية وتتكاتف مع الأفراد والمجتمع في تطويرها، لذلك كان انتشار تعليم القرآن الكريم وعلومه في شمال نيجيريا أكثر من جنوبها.

٢- الإهمال من أولياء أمور الأولاد، حيث يوجد بعض الآباء لا يولون أيّ اهتمام للمدارس الإسلامية والعربية، وإنما كانت اهتماماتهم موجهة نحو تعليم اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية، وخاصةً عندما نجدهم ينفقون من أجل ذلك أموالا طائلة، بينما يمتنعون من دفع رسوم المدارس الإسلامية أو يتأخرون عن التسديد مع كون المبلغ قليلا، حتى يؤدي الأمر إلى إيقاف أبنائهم من الدراسة أو فصلهم عنها نهائيا، وأحيانا يشلّل عمل المدرسة لعدم التمويل الكافي، وهذه الحال تجبر قائمين عليها إلى إغلاقها نهائيا.

٣- عدم توفّر المقررات الدراسية التي يتعلّم منها التلاميذ، الأمر الذي دفع بعض المدارس إلى اعتماد مقررات صادرة من قِبل بعض الدول العربية كالسعودية وليبيا والسودان ومصر، وجلّ هذه الكتب لا تستجيب للمطالب الثقافية للمجتمع ولا تتلاءم مع بيئتها ولا تتناسب مع مستوى التلاميذ التعليمي.

٤- عدم مراجعة وتطوير المناهج الدراسية لتستجيب متطلبات العصر وحاجات المجتمع المتجددة، لذلك يصعب على المدرسين تطبيقه حسب ما تتطلّبه العملية التعليمية.

٥- نقص كفاءة بعض المدرّسين وقّلة الخبرة في مجال التدريس، لأن توظيف مدرّسين أكفاء يحتاج إلى تمويل جيّد. الأمر الذي يمكّن المدارس من جلب مدرّسين جيّدين يدفع لهم رواتب مجزية[٣٤].

الخاتمة:

خلال هذه المسيرة البحثية ناقش الباحث دور اللغة العربية في تطوير الكتاتيب القرآنية في نيجيريا، إذ كانت برفقة الإسلام أثناء دخوله وانتشاره في كل مكان، وما اعتنق إفريقي هذا

الدين إلا وقد عرف شيئا من الألفاظ العربية. والذي يحرص على الاغتراف من ينابيع تعاليم هذا الدين ينتهي إلى الإفادة من الثقافة العربية الإسلامية. وهكذا دخلت اللغة العربية إلى نيجيريا مع انتشار تعليم القرآن الكريم وتوغلّت فيها، وتركت آثارا طيّبةً ينطق بها الواقع الملموس.

ومن مظاهر تأثير اللغة العربية في نيجيريا ظهور الكتاتيب القرآنية وانتشارها في جميع أنحاء البلاد، وكانت قبل الاحتلال البريطاني وبعد دخوله بوقت طويل تمثّل مراكز ثقافية لمحو الأميّة ومحاربة الجهل، حيث صار الطلاب يتعلّمون القراءة والكتابة باللغة العربية فيها، ومنها يتخرّج الطالب ويلتحق بالمعاهد العلمية ليتعمّق في الدراسات الإسلامية واللغة العربية. ثم تطوّرت بعد ذلك إلى نمط المدارس الابتدائية لتسد فراغا كبيرا الذي أحدثه المحتلون بين الكتاتيب القرآنية والمدارس التي أدخلها، والتي تتلقى دعمًا ماديًّا ومعنويًّا من قِبل السلطة الحاكمة بغرض إزاحة اللغة العربية عن عرشها وقيمتها وغرس الثقافة الغربية مكانها، ولكن المسلمين دافعوا عنها أمام هجمات المحتلّين المغرية في ذلك الوقت.

وبعد استقلال نيجيريا عن الحكم البريطاني استطاع المسلمون فيها أن يدبّروا شؤونهم ويعيدوا تنظيم التعليم العربي والإسلامي على نمط يتماشى مع حاجات الشعب الدينية والاجتماعية، فانتشرت المدارس العربية والإسلامية في طول البلاد وعرضه، وتطور نظام الكتاتيب القرآنية تطورًا كبيرًا، بحيث يستطيع الطالب أن يتعلّم القرآن الكريم ويحفظه ويتعلم معه اللغة العربية والدراسات الإسلامية باللغة العربية في جميع مراحل التعليم؛ من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية.

ومما يجب الاعتراف به هو وجود مؤثرات سلبية للغة العربية، الأمر الذي جعلها تخسر كثيرا من مميزاتها ومكانتها المرموقة في نيجيريا نتيجة عبث المحتلين بها، وعلى الرغم من ذلك كله فقد ظلت هذه اللغة تلعب دورًا مهمًّا لكونها لغة الدين والثقافة، وأنها تدرّس في جميع مراحل التعليم، ويؤلف بها الكتب، ويكتب طلاب الجامعات بحوثهم ورسائلهم الجامعية بها، وإضافة إلى ذلك فإن اللغة العربية هي اللغة الأجنبية الثانية الأكثر انتشارا بعد اللغة الإنجليزية.

التوصيات والمقترحات:

وتتجلى توصيات الباحث ومقترحاته في النقاط التالية:

- أن تقوم المراكز الثقافية والجمعيات المعنية باللغة العربية بدور فعّال في تطوير المدارس القرآنية الحديثة، من خلال إقامة علاقات ثقافية مع الجهات التي تشرف عليها.

- تنظيم دورات تدريبية للمدرّسين ومديري مدارس القرآن الحديثة، مع تزويدهم بوسائل التعليم المبتكرة من أجل تأهيلهم ورفع كفاءتهم العلمية والمهنية.
- مراجعة مناهج اللغة العربية للمدارس القرآنية الحديثة وإعادة صياغتها استجابةً لمتطلّبات العمليّة التعليمية الجديدة والتحديات المعاصرة، لأن المنهج المعتمد حاليًّا قديمًا ويفتقد إلى المرونة.
- توفير وسائل التعليم الحديثة للمدارس القرآنية وتدريب المدرسين على كيفية استعمالها وتوظيفها في العملية التعليمية.
- إصدار مجلات وصحف باللغة العربية لمتابعة وتقييم حركة اللغة العربية وآدابها.
- انعقاد مؤتمرات حوارية وندوات ثقافية لمناقشة تطورات اللغة العربية والتحديات الجديدة والمتجددة التي تواجهها، مع إيجاد سبل معالجتها.
- تفعيل دور الجمعيات العربية والثقافية العاملة في إفريقيا وتوحيد جهودها في معالجة التحديات التي تواجهها.
- أن تقوم حكومات الدول الإسلامية بدعوة الجمعيات التابعة للأمم المتحدة مثل UNESCO, UNICEF وحثّها على مساندة الحركة الثقافية للغة العربية والمدارس العربية والإسلامية في إفريقيا باعتبارها جزءًا من تراث وثقافة الشعب الإفريقي، وخاصة في جنوب الصحراء.

قائمة المصادروالهوامش:

١- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب: كلمة: كتب

٢- بن حنبل، أحمد: (١٩٩٥) مسند الإمام احمد، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مكتبة الرسالة- بيروت، رقم الحديث: ٣٦٩٧، ج: ٦، ص: ٢٢٥

٣- الإلوري، آدم عبد الله (١): (١٩٨١م)، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار العربية- بيروت ص: ٣٥

٤- Fafunwa, A.B, (1995): History of Education in Nigeria, NPS Educational Publishers Limited, p. 51

٥- الدكو، فضل كلود: (١٩٩٨م)، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي الإمبراطورية "كانم"، منشورات كلية الدعوة الإسلامية- طرابلس، ص: ٩٢ .

وغلادنثي، شيخو أحمد سعيد: (٢٠١٦م،) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار الأمة- كانو ص: ٤٠

٦- الدكو، ص: ٩١

٧- Dahiru, U. (2011) Qur'anic Studies in Borno, p. 30

٨- Ibrahim, Kabiru Uba: (2008), Tarihi da Ci Gaba da Aka Samu a Gasar Karatun Alkur'ani Mai Girma, Mai-nasara, Printing Press, p.19

٩- أبو بكر، علي: (١٩٧٢م)، الثقافة العربية في نيجيريا، دار الأمة- نيجيريا، ص: ٢٥٨

١٠- المصدر نفسه، ص: ١٨٨

١١- إدريس، إدريس عيسى وآخر: المصحف النيجيري البرناوي: خصائصه، ومميزاته ومحتوياته الفنية، في مجلة الماهر في الدراسات القرآنية، الإصدار الأول: ٢٠١٦م ص: ٥١

١٢- Mu'azu, Rahina: Islamic Art: The West Afric-an Qur'an Manuscript, in the AL-MAHIR Journal for Qur'anic Studies, Maiden Edition: 2016, p.132

١٣- المسكين، تجاني وأخرون: (٢٠١٧م)، اللغة العربية في نيجيريا، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ص: ١٣

١٤- يقول: الأستاذ الدكتور محمد الثاني زهر الدين العميد السابق لجامعة بايرو كنو، وإمام وخطيب الجامع الكبير في كنو حاليا، يقول: "حتى في أواخر الخمسينات كانت الوثائق في أرشيف الملك كنو توثّق باللغة العربية." (نقلت هذه المعلومة من محاضرة ألقاها الشيخ على طلاب مرحلة الدكتوراه في شهر سبتمبر ٢٠١٨م بجامعة بايرو).

١٥- الإلوري، آدم عبد الله (٢): (٢٠١٤م): الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، دار الكتب المصري- القاهرة ص: ٧٦. وDahiru, p.126

١٦- ابن خلدون، عبد الرحمن: (٢٠٠٠م) مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ٤٦٢

١٧- الزياتي، ابن الريّان، (ترجمة: عبد الرحمن حميدة): (٢٠٠٥م) وصف إفريقيا، مكتبة الأسرة – مصر، ص: ٢٦٣

١٨- المصدر نفسه، ص: ٢٦٤

١٩- الإلوري، (٢)، ص: ٣٦

٢٠- Dauda, Aliyu: Fundamentals of Islamic Education, Triumph Publishing Company p.77

٢١- الإلوري، (٢)، ص: ٧٨

٢٢- أبو بكر، ص: ١٩١

٢٣- Dahiru, p. 234

٢٤- أرزي، سكيرج سليمان: (٢٠١٨م)، الكتاتيب في "كنو" بين الماضي والحاضر، مؤسسة غورون دوتسي للبحث والفتوى والإرشاد، ص: ١٣٤

٢٥- أبو بكر، ص: ٢٥٥

٢٦- Dahiru, p 233

٢٧- Abubakar, Aminu Shehu, Appraisal of Qur'anic Education in Nigeria, in Huda-Huda A Multi-discplinary Journal of Languages, p. 121

٢٨- لم أحد من ترجم له حسب المراجع التي اطلعت فيها

٢٩- الإلوري، (١) ص: ٥٧

٣٠- Dahiru, p 235

٣١- أبو بكر، ص: ٢٥٦

٣٢- Dahiru, p 235

٣٣- Ibrahim, p. 27

٣٤- تحصلت على هذه المعلومات من مكتب مسؤول الامتحانات في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بوزارة التربية والعلوم والتكنولوجية بولاية كنو

٣٥- ذكر الباحث حلولا لهذه المشكلات ضمن التوصيات والمقترحات